الجمــــهوريـــة الجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



كلية الآداب واللغـــات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث

أبو القاسم سعد الله أديبا

إعداد الطالبة :

لطيفة بن سعيد

إشـــراف:

أ.د. محمد مهداوي

أعضاء اللّجنة المناقِشة

أ- . د محمد مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ- . د محمد مهداوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا و مقررا
أ- . د أحمد طالب	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
د- . أحمد قريش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا
د- . منصوري مصطفى	أستاذ محاضر (أ)	جامعة س/ بلعباس	عضوا

السنة الجامعية : 14332 - 1433هـ/2011-2012 م

شكر و تقدير

إنّي و قد أنجزت هذا العمل ، أتقدّم بالشّكر و الامتنان إلى :

أستاذي المشرف الدكتور محمّد مهداوي على تفضله بالإشراف على

مذكرتي وللأستاذ الدكتور أحمد طالب على مجهوداته القيمة ، وإلى جميع

الأساتذة الأفاضل الّذين تجشّموا عناء قراءة هذه المذكرة و قدموا ملاحظات قيّمة .

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كل من أسهم معي في إنجازه لا سيما أولئك

الّذين ساعدوني في جمع المادة .

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين الغاليين ... مع تحية ثناء و حبّ و دعاء.

إلى جدّتي و جدّي اللّذان سهرا على تربيتي و تعليمي حفظهما الله ورعاهما

إلى عماتي العزيزات اللائي كن سندا و عونا لي في السراء و الضراء

و بالأخص "سعاد" التي شجعتني على طلب العلم منذ نعومة أظافري

إلى زوجي ... مع تحية ولاء و وفاء

إلى كلّ أفراد عائلتي كبيرا و صغيرا

إلى أغلى و أعز صديقة " أمينة "

و إلى كلّ من يضيء للإنسانية مشعلا

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

المقدّمة :

بسم الله الرّحمن الرّحيم و الصّلاة و السّلام على أشرف المرسلين سيّدنا محمّد و على آله و صحبه و سلّم ، أمّا بعد :

يمثّل الأدب الجزائري صفحة هامّة من الأدب العربي ، و لئن حالت الظّروف دون نشر هذه الصّفحة أو إلقاء الضّوء عليها، فإنّ ذلك لا يقلّل من أهمّيتها القوميّة ، فرغم الظّروف القاسية الّتي كانت تعاني منها الحركة الأدبية في الجزائر مطلع القرن العشرين فقد ظهرت نخبة من الأدباء و المفكّرين حملوا على عاتقهم مهمّة النّهوض بالأدب العربي في الجزائر و عملوا على إرساء قواعده على أسس سليمة ، و نذكر من بين هؤلاء المفكرين العلامة " عبد الحميد بن باديس"
و الشيخ " البشير الإبراهيمي " و " عبد الله الرّكيبي" و " أبو القاسم سعد الله موضوع دراستي و غيرهم .

و على غرار جميع الطلبة الباحثين ، فقد فكّرت كثيرا في اختيار موضوع بحثي ، وواجهتني بعض الصعاب الّتي جعلتني مترددة لفترة طويلة بين اختيار هذا الموضوع أو ذاك، و بعد تفكير ، وقع اختياري على أعمال الدّكتور سعد الله الأدبية فسجلت بحثي هذا تحت عنوان : " **أبو القاسم سعد الله أديبا** " .

وكان اختياري لهذا الموضوع نتيجة لعدة أسباب و محفزات أبرزها :
التّنويه بالأعمال الأدبية الّتي أنجزها الدكتور سعد الله في بداية عطاءه العلمي ، خصوصا و أنّ العديد من الباحثين يعرفونه باحثاًفي مجال التاريخ، بل وعلى أنه شيخ المؤرخين الجزائريّين، و لعلهم يجهلون أن بداياته الأولى كانت في

مجال الأدب وبالتّحديد الشّعر، حيث أن جلّ شعره مرتبط ارتباطا وثيقا بقضيّة الجزائر ومحنتها إبان الاحتلال الفرنسي .

و من الأسباب أيضا أنّني لمست في شعره تجربة رائدة في الشّعر الجزائري الحديث ، وهي تجربة تستحقّ الدّراسة والتّنويه ، هذا إضافة إلى إبداعاته في فن القصة القصيرة وأدب الرحلة، و بعض محاولاته في النّقد الأدبي . وهذا التّنوع في مجالات البحث أكسبه خصوصية ميزته عن غيره من الباحثين الّذين نجدهم يفضلون التّخصّص في فنّ واحد من فنون الأدب دون غيره .

كذلك من بين الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع رغبتي الملحة الّتي أملت عليّ فكرة الإسهام في إثراء الأدب الجزائري الحديث بنفض الغبار عن أحد أعلامه في الأدب و التاريخ .

كما أن إعجابي بأسلوب الدّكتور سعد الله في البحث العلمي كان أيضا ضمن الأسباب الّتي جعلتني أختار هذا الموضوع دون غيره.

و بناء على هذه الأسباب الذّاتية و الموضوعية الّتي جعلتني أتشبّث بهذا الموضوع حاولت الإجابة عن بعض التّساؤلات أبرزها ما يلي :

- هل وفق المفكر أبو القاسم سعد الله في ترك بصمته في مجال الأدب الجزائري الحديث كما فعل في مجال التّاريخ ؟
- وهل كانت تجربته رائدة في الشّعر الحرّ ؟
- و هل كانت له محاولات ناجحة في مجال النقد ؟
- ثمّ كيف نظر سعد الله إلى أدب الرّحلة وأقسامه بصورة عامة؟ وإلى أدب الرّحّالة الجزائريين بصورة خاصّة؟ و ما قيمة ما كتبه في هذا المجال؟
- وفي الأخير، هل كانت له كتابات تعنى بالفنّ القصصي ؟

انطلاقا من هذه التساؤلات و غيرها ، حاولت الرّحيل إلى عالم سعد الله الشّعري والقصصي، كما سلّطت الضّوء على شخصه المتواضع من خلال

دراسة لسيرته الذّاتية والعلميّة. و كان ذلك وفق خطة تتضمن مقدمة ومدخل وثلاثة فصول . يتناول المدخل النّهضة الأدبيّة الحديثة في الجزائر والأسباب الّتي أدت إليها. فأشرت في البداية إلى الوضع الثّقافي و الاجتماعي السّائد في الجزائر بعد نكبة الاحتلال ، ثم انتقلت بعدها إلى مختلف العوامل الّتي أسهمت في النّهضة الأدبية الحديثة .

وخصّصت الفصل الأوّل للسّيرة الذّاتية والعلمية والنّضالية للأستاذ سعد الله فأبرزت من خلاله العوامل الاجتماعية والسّياسية والبيئيّة الّتي كان لها دور في إبراز ملكاته الأدبيّة والتّاريخيّة على حدّ السّواء ، مع تتبّع أهمّ المحطّات في مساره الدّراسي بدءا بالجزائر و تونس ، ثم مصر و أمريكا لأنهي الفصل بقراءة مختصرة في بعض مؤلفاته الّتي تعنى بالأدب و التاريخ و الثقافة أو تلك التي تعنى بالتّرجمة و التّحقيق و النّقد.

أمّا الفصل الثّاني ، فقد خصّصته "لفن الشّعر و النقد الأدبي"، فبيّنت في الفقرة الأولى حركة الشّعر الحرّ في الجزائر ، و خصّصت الفقرة الثّانية للتّجربة الشّعرية عند سعد الله فحاولت بذلك إبراز دوره الرّيادي في التّأسيس للشّعر الحرّ في الجزائر . أمّا الفقرة الثالثة ، فقد حاولت من خلاله ا انجاز دراسة لأهمّ السّمات الفنّيّة الّتي تميّز شعره، بدءا بال معجم اللّغوي الشّعري ثم الصّورة و الموسيقى و أخيرا الرّمز .كما تناولت في الجزء الثاني من هذا الفصل بعض إسهامات الدكتور سعد الله في مجال النقد الأدبي .

أما الفصل الثّالث الموسوم ب " أدب الرحلة و القصّة القصيرة عند سعد الله " فقد حاولت من خلاله أن أ شير إلى بصمة سعد الله في مجال القصّة و ذلك

باعتباره أوّل من تطرّق إلى كتابة المواضيع ذات الطّابع النّفسي في الجزائر ، كما بينت دوره في البحث و الكتابة حول الرّحلة، سواء تعلق الأمر بالرّحالة الجزائريّين أو رحلاته الخاصّة داخل الوطن و خارجه ، خصوصا و أنّه يعتبر من بين الباحثين القلائل الّذين اهتموا بهذا الفنّ في الجزائر .
وجاءت الخاتمة لتسجّل أهمّ النّتائج الّتي تم التّوصّل إليها في هذا البحث المتواضع.

ونتيجة لما تتطلبه طبيعة البحث، فقد اعتمدت على المنهج التّاريخي الوصفيّ كما استعنت بالمنهج التّحليلي ، و هذا لا ينفي استفادتي أيضا من بعض الإجراءات السّيميائية الّتي تفكّ رموز النّص و تستنطق إشاراته عن طريق التّأويل و التّحليل .

وكان زادي في هذه الدّراسة المتواضعة ، مجموعة من المصادر و المراجع تأتي في مقدمتها أبحاث و مؤلفات الدّكتور سعد الله الأدبية ، و الثقافية ، و التّاريخية أذكر منها :
ديوانه "الزّمن الأخضر" ومجموعته القصصية "سعفة خضراء" وموسوعته الثقافية " تاريخ الجزائر الثّقافي " وكتبه "تجارب في الأدب والرّحلة" و" مسار قلم " و " خارج السرب " . كما اعتمدت على بعض الكتب الّتي ألّفت حول شخصيّته أو حول أعماله أبرزها: " حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله" للباحث مراد وزناجي، و " شاعر و ثورة " لمؤلفه حسن فتح الباب . إضافة إلى ذلك قمت بانتقاء بعض المقالات من الشبكة العنكبوتية الّتي اهتمت بأبحاثه كمقال للباحث رضوان شافو . واستعنت كذلك ببعض المجلاّت و الدّوريات أذكر منها : مجلة " آمال "
و "الثّقافة " و " التّواصل" و غيرها .

وأثناء إنجازي لهذا البحث، واجهتني بعض الصّعوبات منها : افتقار المكتبات إلى مؤلفات سعد الله الّتي تعنى بالأدب. ضف إلى ذلك قلة الدراسات الأكاديمية الّتي تناولت الجانب الأدبي في أبحاثه.

و بهذا القدر من البحث ، آمل أن أكون قد وفقت في دراسة الجانب الأدبيّ من أعمال سعد الله ، أو على الأقلّ فتحت الباب أمام سواي من المهتمّين لإعادة دراسته و تقويمه .

و في الختام أسأل الله التّوفيق فيما نويته من خدمة خالصة لأدبنا الجزائري الحديث من خلال هذا الجهد العلمي المتواضع ، فإن استطعت أن أنبه إلى فكرة قد تمهد لغيري ممن يشتغل في هذا المجال فتلك غايتي المنشودة و مبتغاي و إن قصّرت في بلوغ المراد فعزائي أنّني بذلت جهدا خالصا .

أخيرا أتقدم بالشّكر الجزيل للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة ، الّذين قبلوا مناقشة هذه المذكرة قصد تصويبها و تقويمها ، وأعدهم بأخذ تصويباتهم بعين الاعتبار، كما لا أنسى شكر الأستاذ المشرف على ما بذله من جهد حتى ترى هذه المذكرة النور ، فشكرا لكم أساتذتي الأفاضل

لطيفة بن سعيد :

يوم الاثنين 07 نوفمبر 2011 .

المدخل:

النّهضة الأدبية الحديثة في الجزائر

المدخل: النّهضة الأدبّية الحديثة في الجزائر

يلعب الأدب دورا هامّا في حياة الأمم والشّعوب، فهو زيادة على تخليده للمآثر والأمجاد الوطنية ونقله لأحاسيس الإنسان واهتماماته وتجاربه المختلفة، يشكّل عاملا حيويّا في مسيرة تعميق الوعي السّياسي والاجتماعي من جهة. ورفع مستوى الذّوق من جهة أخرى، ولعلّ أكبر دليل على هذا الدّور الهامّ، هو ما يتعرّض له الأديب من مضايقات وعقوبات أحيانا، وتصفية جسدية أحيانا أخرى، وتتساوي في ذلك أو تكاد النّظم الاستعماريّة والنّظم الوطنيّة الاستبداديّة.

وبالرّغم من كلّ شيء يظل الأدب مرتبطا بالواقع مشخصا عوامل القوة وأسباب الضّعف فيه، لأنه يُعرَّف منه ويتأثّر به ويؤثّر فيه.

والحديث عن الأدب الجزائريّ هو جزء من الحديث عن الأدب العربيّ عموما "للجذور المشتركة الضّاربة في العمق رغم الفروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي. وهي فروق لا تلغي طبيعة التّلاقح والتّكامل فكرا وفنّا "[1]. كما لا يمكن فصله عن الأدب العربيّ العامّ " من حيث الاتّجاه العامّ الّذي اتّجهه نحو الغاية والهدف. ونحو المسعى في تحقيق القيم الحضارية والتّراثية وفي الحفاظ على معاني الأصالة والإباء والشّرف والحرّية وفي تثبيت الشّخصية"[2]

[1]- عمر بن قينة ، " في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 195.
[2]- محمد عباس ، " البشير الإبراهيمي أديبا "، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 1983م، ص 21.

- ***الوضع الثّقافي والاجتماعي في القرن 19م:***

ليس من شكّ في أنّ سنة 1830م هي نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الجزائر الحديثة، فقد كان حادث احتلال الجيش الفرنسي لمدينة الجزائر صدمة عنيفة هزّت نفوس الجزائريّين الأحرار من الأعماق، فظهر في كتابات الأدباء آنذاك الشّعور القوميّ الوطنيّ التحرري طافحا بالآلام ومرارة الهزيمة أمام جيش الاستعمار الذي أذلّ الرّقاب وأتى على كل شيء جميل ونفيس فاغتصبه، وهو ما تجسده مظاهر "البكاء والعويل، والشّكوى من ويلات الدّهر، و من غفلة الشّعب، بل من غطيطه في سبات عميق، والنّعي على الاستعمار الفرنسي."[3]

ولم يكتف المستعمر "بالتّحكم سياسيّا في الجزائر بقوة النّار ، بل وضع يده على جميع الميادين من اقتصادية و ثقافية و دينية " [4] فقد كان هذا الاحتلال مدبّرا و " مبيّتا على برنامج واسع يدور كلّه على محور واحد ، و يرمي إلى غاية واحدة و هي إذلال المسلمين و محو الإسلام في الشّمال الإفريقي كله "[5]فامتدت يد المستعمر الآثمة إلى المقدّسات، فاعتدى على المساجد وحولها إلى ثكنات وكنائس، حتّى صار المواطن الجزائري يتمنى الموت ألف مرة على أن يشاهد بلده ومقدساته الدّينية تضيع منه . و قد عبر ابن الشاهد عن ذلك قائلا [6]:

أَمُوتُ وَ مَا تَدْرِي البَوَاكِي بِقِصَّتِي
وَ كَيْفَ يَطِيبُ العَيْشُ وَ الأُنْسُ فِي الكُفْر
فَيَا عَيْنُ جُودِي بِالدُّمُوعِ سَمَاحَةً
وَ يَا حُزْنُ شَيِّدْ فِي الفُؤَادِ وَ لَا تَسْرِي

---

[3] - عبد المالك مرتاض، " مقدمة منهجية في دراسة الشعر الجزائري" ، مجلة دراسات جزائرية، العدد: 03، مارس، جامعة وهران، ص 75، 76.
[4] - يحي الشيخ صالح ، " شعر الثورة عند مفدي زكريا " ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1987 م ، ص 17 .
[5] - محمد البشير الابراهيمي ، " في قلب المعركة " ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م ، ص 66 .
[6] - أنظر ، أبو القاسم محمد الحفناوي ، " تعريف الخلف برجال السلف " ، ط 1، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1982 م .

وبلغ " خبث المستعمر و مكره و عبقريّته في تشخيص المأساة ، أن جمع بين المصيرين على صعيد واحد و لزم المتضادّين في قرن فجمع العربدة بالشّطحات الصّوفية و الانحراف بإقامة "الموالد " و زيارة الأضرحة " [7] ، كلّ ذلك كان بهدف فصل الشّعب عن عقيدته حتّى يتسنى له" طرد القرآن الكريم الّذي هو أساس الإسلام ، و أساس اللّغة العربيّة ... و حتّى تتمكن أعلام النّصرانية أن ترفرف وحدها " [8] في سماء الجزائر المسلمة العربية. ففتح بذلك المجال واسعا أمام الطّرقيّة والشّعوذة والدّجل مستغلاّ فساد ضمائر بعض الأئمّة الّذين كانوا يتاجرون باسم الدّين لهثا وراء تحقيق مطامعهم المادّية وكسب المال بطرق غير مشروعة، مهملين دورهم الرّئيسي تجاه المجتمع والّذي تمثل في التّوعية و الهداية. فانتشرت الأمّية وفسدت الأخلاق والذّمم، وأصبح الشّعب الجزائري يتخبّط في ظلمات الجهل [9]، بعدما " كانت المساجد و الزوايا تقوم بمهمّتها في تعليم الأمة و تنشئتها النّشأة العربيّة الدّينية الصّالحة " [10] قبل سنة 1830 م.

وينتقد الزّاهري هؤلاء الأئمّة المنافقين الّذين ابتعدوا عن روح الإسلام الحقيقية فتسببوا في ضياع الشّعب، فيقول[11]:

---

[7] - صالح خرفي ، "المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث "، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1983، ص 37

[8] - تركي رابح عمامرة ،" الشيخ عبد الحميد بن باديس ، باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة " ، موفم للنشر ، ط 2 ،الجزائر ، 2003 م ، ص 7 .

[9] - " حين احتلت فرنسا أرض الجزائر كان يوجد بها 2000 مدرسة و أربع جامعات بكل من الجزائر العاصمة و تلمسان و مازونة و قسنطينة " ، أنظر، رابح لونيسي ،" تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989 " ،الجزء 1 دار المعرفة ، الجزائر ، 2010 م ،ص 75 . كما كان يوجد " في مدينة عنابة 39 مدرسة و 37 جامعا ...لم يبقى منها بعده سوى 3 مدارس و 15 جامعا " أنظر ، مجلة الأصالة الجزائرية ، عدد 6 (يناير ، فبراير 1972 م) ، ص 135 ، وأصبح " التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا "أنظر ، أحمد توفيق المدني " جغرافية القطر الجزائري " ، مكتبة النهضة ، ط 2 ، مصر ، 1963 م

[10] - أنظر ، أحمد توفيق المدني ، " هذه هي الجزائر " مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت ، ص 139 .

[11]- " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " ، ج 1 ، ص 12 .

يَا وَيْحَنَا مِنْ أُمَّةٍ لَمْ تَتَّبِعْ فِي الدِّينِ غَيْرَ مَشَائِخ وَذِئَاب
قَسَّمُوا عِبَادَ اللهِ أَغْنَامًا لَهُمْ فَالجَاهِلُونَ لَهُم مِنَ الأَذْنَاب
مَلَكُوا مِنَ البَسْطَاءِ مِنْ جُهَّالِهِا مَا كَانَ مِنْ مُهَجٍ وَمِنْ أَسْلاَب
وَيْلٌ لِأَشْيَاخِ الزَّوَايَا فَرَّقُوا الإِ سْلَامَ فِي طُرُقٍ لَهُمْ وَشِعَاب
لَوْلَا الشُّيُوخُ الطَّامِعُونَ لَمَا هُوَ الإِسْلَامُ بَيْنَ مَهَالِكٍ وَخَرَاب

ويقول رمضان حمود [12]:

وَنَزْعَمُ أَنَّا مُسْلِمُونَ وَدِينُنَا تَعِيثُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَالكُلُّ ذَاهِلُ

هكذا إذن كان للاحتلال الفرنسي لبلادنا نقطة انطلاق في تاريخ الأدب الجزائري الحديث كما كان بمثابة الصّدمة المولّدة للهمّة والّتي عملت على بعث الشّعور الوطني القومي يضاف إلى ذلك عامل الدّولة الجزائرية الحديثة التي شرع الأمير عبد القادر في إرساء قواعدها العسكرية. وكان هدف الأمير الأسمى والأمثل، هو جعل الجزائر شعبا واحدا "واستمالتهم إلى المبادئ الإسلامية، واستدعائهم إلى فضائل أهل القرون الأولى للهجرة وإيقاظهم من الغفلة"[13]، ف " أضحت حركة الأمير و تجربته الجهادية رأس نمو المقاومات الوطنية الكفاحية الّتي خاضها الشعب الجزائري دفاعا عن استقلاله " [14] فقد عمل على الخصوص على " الحد من نفوذ شيوخ الطّرُق الصوفية والزوايا

[12]- صالح خرفي، "الشعر الجزائري الحديث"، معهد البحوث والدراسات العربية"، 1969 م ، ص 89.

[13]- الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، " تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" ، دار اليقظة ، ط 2 ، بيروت ، لبنان ، 1964 م ، ص 53.

[14] -- سليمان عشراتي " الأمير عبد القادر السياسي " دار الغرب، الجزائر، 2002، ص7

الميالين بشكل مفرط إلى الظهور بمظهر الدعاة المبشرين أو الأولياء الصالحين"[15].

لقد اجتمعت في الأمير عبد القادر " الخصال العظام الّتي من حقنا أن نلح لتكون في رجل الدّولة"[16]. و قد كان الأمير عبد القادر بالإضافة إلى كونه قائدا عسكريا محنّكا، متعدد المواهب "بسبب اغتناء شخصيّته بالقابليات الّتي جعلت منه إنسانا استثنائيا حربا وسلما، إذ أنّ بلاءه في ساحة القتال كان له ما يعادله على صعيد القدرات العقلية والرّوحية، وذلك ما أتاح له أن يترك لنا تراثا فكريا وأدبيا يعد – بالقياس إلى مرحلته– إنجازا جديرا بالتقدير، حقيقا بالمدارسة"[17].

"فرسائله وخطبه وأحاديثه كلها تحمل طابعها الخاص في الجدة والأصالة"[18]، فقد سار بالشِّعر " في منعطف مستجدّ بتوظيفه القصيد في المواجهة الحضارية... لقد حلحل الأمير عبد القادر أرضية الشِّعر من صعيدها التقليدي العتيد وانزاح بالخطاب نحو وجهة واقعية، وسعى إلى تطويع عود البيان العربي ليعبر بكفاءة عن أحوال الصّدام الحضاري"[19]. فمعجم الأمير الفني " ثري بروافد تتجاوز العصر الّذي عاش فيه حيث يرجع أصول بعضها إلى العصر الجاهلي ، مرورا بالعصور الّتي تلت الجاهلية ، و يتطلع بعضها الآخر إلى آفاق العصر الحديث ." [20] ، و من بين أشهر قصائده الّتي تشهد له بالتّميز تلك الّتي نظمها عقب معركة " خنق النّطاح " قرب وهران عام 1832 م و تبلغ زهاء ثلاثين بيتا يقول فيها [21]:

---

[15]– كاتب ياسين ، " الأمير عبد القادر و استقلال الجزائر " ترجمة : محمد هناء " المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 م ص 35 .

[16]– " مجلة الجزائر" ، العدد 6، الجزائر ،2003 م ، ص1.

[17]- سليمان عشراتي، " الأمير عبد القادر المفكر"،دار الغرب، الجزائر، 2002، ص10.

[18]- فؤاد صالح السيد، "الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 54.

[19]- سليمان عشراتي، " الأمير عبد القادر الشاعر"، دار الغرب، الجزائر، 2002، ص9.

[20]- زكريا صيام ، " ديوان الأمير عبد القادر " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 م ، ص 72 .

[21] - " الديوان " ، ص : 99 ، 103

توسد[22] بمهد الأمن ، قَدْ مرْت النَّوَى

و زال لغوب[23] السير، مِنْ مَشْهَدِ الثَّوَى

وعر جيادا ، جَادَ بِالنَّفْسِ كرهًا

وَ قَدْ أَشْرَقَتْ - مِمَّا عَرَاهَا - عَلَى الثَّوَى

....

أَلَمْ تَرَى فِي خَنَقِ النِّطَاحِ نِطَاحَنَا

غَدَاةَ الْتَقَيْنَا كَمْ شُجَاعٌ لَهُمْ هَوَى

ومما يشهد بمكانة الأمير الأدبية الرّفيعة كتابه في التّصوف "المواقف في التصوف" وكتابه الآخر "المقراض الحاد" [24]. أمّا من يطّلع على كتاب السيرة الذاتية للأمير عبد القادر الّذي ألّفه ابنه بعنوان:"تحفة الزّائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر"[25]، فسيجد فيه من النّصوص الأدبية الجزائرية شعرا ونثرا لشعراء وكتاب معاصرين للأمير تشهد كلّها بالتّنوع في أساليب الكتابة الفنّية وتعدّد الأغراض وبعضها لا يبعد أن يكون في الطّليعة من أدب ذلك العصر، ولعل شعر

الأمير نفسه يعد في هذه المنزلة ، إذا ما قيس بحالة الخمول والجمود السّائدة على الأدب العربي في ذلك الوقت. و إذا تجاوزنا شعر الأمير في تلك الحقبة من الزمن ، لم نكد نجد شاعرا مرموقا ينافسه إلاّ بعض الكتّاب كقدور بن رويلة [26] ، و الشيخ مصطفى الكبابطي [27] مفتي الجزائر و القاضي الأديب محمد

[22] - توسد : فعل أمر و المخاطب هنا الأمير نفسه

[23] - لغوب : إعياء شديد ، الثوى : الهلاك

[24] - "المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد " منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،د.ت

[25] - مرجع سبق ذكره.

[26] - هو كاتب ديوان الأمير .

[27] - (....هـ - 1277) ، (.... م - 1860 م) أنظر ، محمد الصالح صديق ، " أعلام من المغرب العربي " ، ج 1 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2000 م ، ص 21 .

الشاذلي القسنطيني و لعله أقرب هؤلاء الفقهاء و الكتاب إلى فنّ الأدب و الشّعر و أكثرهم إنتاجا شعريا ، و قد خصه الدكتور أبو القاسم سعد الله بكتاب ذكر فيه عددا من المقطوعات الشعرية بعضها كان مساجلة بينه و بين الأمير عبد القادر حين كان في منفاه بفرنسا ، و من أهم هذه المقطوعات الشعرية و أجودها قصيدته السياسية يقول فيها: [28]

و بلغ له شكوى قسنطينة بما يسوء ذوي الأحلام و الله يشهد

و ذلك أن الكفر حل بها و في عمالتها من كل أرجائها يبدو

و حل الورى راض بدولته و ما درى أن رب العرش للكفر مبعد

ترى أهل الدين حقا أذلة و ذو الكفر في عز و للحق يجحد

إذن ، في هذه الحقبة من تاريخ الجزائر الحديث إلى نهاية القرن (19م) لا نستطيع أن نتحدث عن عوامل حضارية أجنبية أثّرت حقيقة في نهضة الأدب الجزائري يومئذ " باستثناء آلة الدّمار والموت الممثلة في جيش الغزو الفرنسي وأسلحته المستعملة في تقتيل الجزائريين مما أثر سلبا في نفوس أدبائنا تجاه ثقافة الغرب الصّليبي عموما، فلا شيء من مرافق العلم والحضارة والتّنوير الّذي يشّع في أوروبا قد وصل إلى عقول الجزائريين أو لامس نفوسهم بعكس ما هو مشهور على حملة نابليون[29] على مصر عام 1798م[30]. إذ " بمجرد أن تمكّنت الجيوش الغازية من احتلال الجزائر حتّى شرعت السّلطات الاستعمارية بإصدار أوامر لإبادة الشّعب الجزائري بالقتل والنّفي حتّى يتيسّر لها إلحاق البلاد بالأرض الفرنسية كإحدى مقاطعاتها، فسنّت قوانين "الأندجينا" الجائرة التي

---

[28] ـ أبو القاسم سعد الله ، " محمد الشاذلي القسنطيني " الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1974 م ، ص : 69 ، 71

[29]ـ " رغم فشل سياسة نابليون بونبارت الحربية و الإدارية ، فقد أسس مجمعا علميا على غرار المجمع الفرنسي ، من أجل البحث و الدراسة في موضوعات الطبيعة و الصناعة و التاريخ " ،أنظر ، أندري ميكال ، " الأدب العربي " ، تعريب رفيق بن وناس ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1980 م ، ص 100 .و أنظر كذلك ، علي المحافظة ، " الاتجاهات الفكرية عند العرب " ، الأهلية للنشر ، بيروت ، 1983 م ، ص 03 .

[30] ـ الحملة الفرنسية على مصر بين (1798 – 1801) أنظر ، أدونيس ، " الثابت و المتحول " ، ج 3 ، دار العودة ، بيروت ، 1983 م ، ص 35.

لا تعترف بآدمية الإنسان الجزائري، بل تنزله منزلة الحيوان، وتعده جنسا من أجناسه، فأباحت شعب الجزائر وما يملكه ليكون ضمن ممتلكات الغزاة"[31].

لذلك نشأ في نفس كل جزائري حرّ الضّمير مثقّفا كان أم فردا من النّاس هذا النّفور من كلّ ما ينتمي إلى دولة المستعمر. وعمل على الابتعاد عنه حتّى لو كان من نوع تعلّم اللّغة الأجنبية ومعارفها العصرية، وبهذا كانت مرافق الحياة الثّقافية الّتي أنشأها الجيش الاستعماري في الجزائر خاصة به وبأفراد الجالية الأوروبية فقط. وفي هذا الصدد يقول الزّبير سيف الإسلام: "الحقيقة من خلال ما درسنا من الصُّحف تبين أنّ حركة الكلام والتّعبير والصّحافة والكتابة كانت طوال سبعين عاما (1830–1900) مسألة وحقا مقتصرا على الأوروبيين وخاصّا بهم، فلا ينازعهم في ذلك أحد"[32].

مما سبق ذكره نخلص إلى أن مقاومة الاحتلال الغاشم كان الهمّ الوحيد بالنّسبة للمواطن الجزائري، فلم يسعه الوقت للدّرس والتّحصيل العلمي أو كتابة القصائد إلا ما كان عارضا في أوقات محدودة، وإذا كتب فلا يجد المنابر التي ترحب بنشره، أمّا تأسيس النّوادي والجمعيات والأحزاب الوطنية والمدارس الحرة فلا يمكننا الحديث عنها في ظل القمع العسكري الفرنسي وأعمال التّدمير والتّهجير طيلة القرن التاسع عشر.

- **<u>بداية النّهضة وعواملها:</u>**

بحلول القرن العشرين " الّذي هو قرن العلم والتقدم بدأت بوادر النّهضة الأدبية والثّقافية عامة نتيجة عوامل كثيرة منها اليقظة الفكريّة والسّياسية وظهور

---

[31]- أنظر أبو القاسم سعد الله ، "الحركة الوطنية الجزائرية " ، ، دار الآداب ، بيروت ، 1969 م ، ص 75.

[32] - الزبير سيف الإسلام ، "تاريخ الصحافة في الجزائر"، ج 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971 م ص20.

الأحزاب مثل "حزب نجم شمال إفريقيا" [33] و"حركة الأمير خالد" [34] وغيرهما [35]،كما كانت عودة الجزائريين الّذين أتموا دراستهم في الخارج (الحجاز ، و مصر ، و سوريا ، و تونس) عاملا من عوامل اليقظة الفكرية ، و نموّ الوعي الدّيني و الوطني " [36] فظهرت بعض " المدارس الحرّة الّتي شرع فيها أولا بعض الأفراد

المحسنين مثل مدرسة الشّبيبة و مدرسة الفلاح، ثم تبنتها الهيئات الوطنية مثل جمعية العلماء منذ إنشائها و حزب الشّعب في عهده الأخير. و كانت هذه المدارس الحرّة تقوم على كواهل معلمين تأثروا على العموم بالإصلاح الإسلامي ، و تخرج معظمهم من الزّيتونة و القرويين و الأزهر. و كانت الكتب المدروسة إمّا مؤلفة في المشرق أو هي أصلا كتب التّراث العربي الإسلامي، أو متأثرة بتيار الفكر القومي الذي أخذ في الظّهور بالمشرق ." [37] و بدأ بذلك الصّراع بين " الثّقافة المجترة القابعة في الزّوايا ، و بين خطوات الإصلاح التي امتدت إلى المشرق العربي أو احتكت به عن طريق غير مباشر في تونس لتعود بها إلى الجزائر محاولة فك الدّين من رقبة الشعوذة و الوثنية و الخروج به من دائرة المستعمر" [38]

---

[33] - تأسس هذا الحزب لأول مرة سنة 1927 م أنظر أبو القاسم سعد الله ، " في الجدل الثقافي " ، دار المعارف للطباعة و النشر ، سوسة ، تونس ، 1992 م . " و قد نادى هذا الحزب بتعليم اللغة العربية إجباريا و ذلك منذ 1930 م ، و قد نصت المادة الثالثة في برنامجه على أن اللغة الرسمية للبلاد ستكون هي اللغة العربية " أنظر ، عبد الحميد زوزو ، " دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية " ،الجزائر ، 1980 م ، ص 188 ، 189 .,

[34] - هو حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ، ولد بدمشق سنة 1888 م ، و توفي بها سنة 1939 م . أنظر عبد العزيز شرف ، " المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر " ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1971 م ، ص 28 . له كذلك بعض المقطوعات الشعرية ، منها نشيد ألقاه عند زيارته لتلمسان سنة 1922 م يقول فيه : **هيا بنا أهل الوطن نحي الفرائض و السنن** أنظر ، محمد قناش ، " ذكرياتي مع مشاهير الكفاح " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 م ، ص 127

[35] - من الأحزاب التي ظهرت كذلك " حزب الشعب " لمزيد من التوسع أنظر ،
Mahfoud KADDACHE , “Le parti du peuple algerien 1937 – 1939 , office des publication universitaires , algerie, 2009 p 53

[36] - عبد القادر فضيل " إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس " ، دار الأمة ، الجزائر ، 1998 م ، ص 18 .

[37] - أبو القاسم سعد الله ، " أفكار جامحة " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 م ، ص 27 .

[38] - محمد الهادي بوطارن ، " رمضان حمود شاعر التقليد و التجديد " ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 م ، ص 43 .

إلى جانب ذلك انتشرت الدّعوة "الإصلاحية إلى إحياء الشّعر خاصة باعتباره التّراث الّذي يتمتع بتقاليد عريقة في أدبنا العربي منذ فجره، ومن ثم أصبح هناك عامل الاتّصال بين الجزائر والمشرق العربي من جهة وبينها وبين جيرانها في المغرب العربي من جهة أخرى" [39]، وبالخصوص تونس الّتي كانت "مركزا للحضارة والعلم لكثرة مدارسها ونواديها الأدبية وصحافتها الحرة"[40].

وإذا ما حاولنا وضع إطار زمني لهذه النّهضة الأدبية وجب علينا الإشارة إلى أنّ هناك من الدّارسين من أرجعها إلى " الأمير عبد القادر ليجعل من الأمر الحد الفاصل بين الأدب الجزائري القديم، والأدب الجزائري الحديث الّذي أخذ يشق طريقه بفضل الأعمال الشّعرية الّتي أنجزها الأمير"[41].

وقد حاول هؤلاء الدارسون ومن بينهم صالح خرفي "أن يثبتوا أن النّهضة في المشرق العربي ومغربه كانت نهضة متزامنة، لأن ظهور الأمير الشّاعر في الجزائر يصادف عهد محمد علي في المشرق" [42]، إلاّ أنّ لِلدكتور سعد الله رأى مخالف لرأي الدكتور خرفي فيما يتعلق بإمكانية اعتبار الأمير بداية نهضة أدبية جزائرية حديثة وذلك ما نستشفه من قوله :"من الممكن اعتبار شعر الأمير عبد القادر آخر مرحلة للشعر القديم في الجزائر"[43].

أما الدّكتور عبد الله الرّكيبي فيرى أنّ "بداية القرن العشرين كانت إيذانا بسريان دم جديد على قلته في شرايين الأدب الجزائري الذي أخذ يتخلى عن

[39] - عبد الله الركيبي، " الشعر في زمن الحرية "(دراسات أدبية ونقدية)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994م ، ص152.
[40] - شعبان الوناسي، " تطور الشعر الجزائري منذ 1945 حتى سنة 1980"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 16.
[41] - عمار بن زايد، "النقد الأدبي الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص11.
[42] - المرجع السابق، ص 14.
[43] - أبو القاسم سعد الله ، " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " ، دار الرائد للكتاب ، ط 5 ، الجزائر ، 2007 .

الشّطحات الصوفية"[44]. وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ بداية القرن العشرين كانت " انطلاقة نوعية في مسيرة الأدب الجزائري بما يتضمن من دلائل حية على حدوث يقظة فعلية على المستويات السياسية والأدبية والفكرية"[45].

وعلى غرار الدّكتور عبد الركيبي، يرجع الدكتور عبد المالك مرتاض بداية النّهضة الأدبية في الجزائر إلى مطلع القرن العشرين وبالتّحديد سنة 1925، إذ يقول:" لأننا نعتبر بداية النّهضة الحقيقية كانت سنة خمس وعشرين من هذا القرن حين أسّس ابن باديس[46] جريدة "المنتقد" وحين أسس مبارك الميلي قسمين للدراسة العصرية المنظمة بمدينة قسنطينة"[47].

ثم يضيف قائلا:" وليس يضرّ هذه النّهضة أن لا تكون قائمة على التّأليف المباشر، على الرّغم من أنها تتوفر على عدد محدود من الكتب المؤلفة، بل لعل وجود حركة تأليفية خصبة، مما يميز نهضتنا عن غيرها بكونها تعول على المقالات الأدبية المحكمة الراقية"[48].

و في هذه الفترة كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور بارز في النّهوض بحركة الأدب في الجزائر و ذلك من خلال المواضيع الّتي "اهتمّ بها أعضاءها و الّتي تصبّ في خانة الإصلاح الدّيني و الإيديولوجي ، و هو

---

44 - عبد الله الركيبي، "دراسات في الشّعر العربي الجزائري الحديث " ، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ص 12.

45 - عبد الله الركيبي، "الشعر الديني الجزائري الحديث"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م ، ص 7.

46 - "فترته فترة ذهبية خصبة من الصّراع الفكري و العمل على تغيير المجتمع في تاريخ الجزائر المعاصر ، فابن باديس هو الذي أدخل الجزائر في معركة النّهضة الإسلامية العامّة ". أنظر ، ابن باديس ، حياته و آثاره " ج 1 ، جمع و دراسة عمار طالبي ، الشركة الجزائرية ، ط 3 ، الجزائر ، 1997 م .

* أنظر أيضا ، Ahmida MIMOUNI , “ BENBADIS par lui meme , edition MIMONI Alger , 2009 , p 106

47 - " نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954" ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983م، ص9.

48 - المرجع السابق، ص 11.

المسار الّذي رسمته الجمعية لتحقيق أهدافها الإصلاحية بالدفاع عن أفكارها من جهة وبالتصدي لمختلف السّموم الاستعمارية من جهة أخرى "[49] فجمعية العلماء " حينما تبنت في برنامجها محاربة الطّرقية ، و إقامة المدارس الحرة ، و طالبت بفصل الدّين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية كانت بذلك قد حققت نصف الاستقلال "[50]، كما "ساهم الإعلام متمثلا في الصّحافة على الخصوص بقسط وافر في النّهضة الشّاملة، فلقي من المستعمر حربا شعواء، حيث أوقفت العديد من الصّحف الجزائرية، وبخاصة تلك الّتي تعنى بالقضايا الوطنية والفكر القومي الثّائر. وقد أظهر الأدباء الجزائريون، ومعظمهم اشتغل بالصّحافة، إعجابهم بالصّحافة الشّرقية لما فيها من غذاء فكري، وأساليب رفيعة ، تلك الصّحافة الّتي حملت على أعمدتها شعرا ونثرا، فساهمت بذلك في رفع مستوى الأدباء الجزائريين سياسيا وأدبيا وفكريا"[51].

وموازاة مع هذه الحركة التجديدية فقد عرف الأدب في بلادنا "نتيجة للاحتلال الأجنبي الطّويل والشّاذ، تطورا جعله يعيش بعض الخصوصيّات. ومن هذه الخصوصيّات أن الأدباء الجزائريين أنتجوا باللّغة العربية وباللّغة الفرنسية"[52].

وقد كان إنتاجهم باللّغة الفرنسية نتيجة السّياسة الّتي انتهجها المستعمر في بلادنا والّتي تهدف وبالدّرجة الأولى إلى ضرب الهويّة الوطنية واقتلاع الشعب من جذوره العريقة وطمس ثقافته الأصلية ومحاولة إدماجه في ثقافته، إذ حاصر اللّغة العربية في عقر دارها، فأصبح الجزائري غريبا في لغته وفرض عليه

[49] - أحمد طالب ، " الأدب الجزائري الحديث (المقال القصصي و القصة القصيرة)" ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، 2007 م ، ص 10.

[50] - " الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية (1889 – 1940) ، دار الهدى ، الجزائر ، ص 49 .

[51] - عمار بن زايد،"النقد الأدبي الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 20.

[52] - أبو القاسم سعد الله، "حوارات" ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2004 م ، ص185.

الالتحاق بالمدارس الفرنسية لأن لغته ممنوعة ومحاربة وهو ما عبر عنه مالك حداد قائلا[53]:

أَنَا الَّذِي أُغَنِّي بِالفَرَنْسِيَّةِ أَيُّهَا الشَّاعِرُ يَا صَدِيقِي
لاَ تَلُمْنِي إِذَا مَا صَدَمَتْكَ رَطَانَتِي لَقَدْ أَرَادَنِي الاسْتِعْمَار
أَنْ أَحْمِلَ اللَّكْنَةَ فِي لِسَانِي أَنْ أَكُونَ مَفْقُودَ اللِّسَان.

ويقول الشّاعر ابن رحمون متحسرا على اللغة العربية[54]:

وَيَضِيقُ بِي رَحْبُ البَسِيطَةِ إِذْ أَرَى هَذِي البِلاَدُ فَرِيسَةَ الجُشَعَاءِ
وَأَرَى مَدَارِسَهَا يُعَطِّلُهَا العِدَى وَمَكَاتِبُ المُحْتَلِّ فِي خَيْلاَء
وَأَرَى تمنع والسجون تفتحت يُزْجَى إِلَيْهَا مَعْشَر الزُّعَمَاء
وَا رَحْمَتَا لِلضَّادِ وَسطَ بِلِادِهَا وا رَحْمَتَا لِحُمَاتِهَا السُّجَنَاء

وعلى العموم، فقد "تميز أدب اللّغة العربيّة بالشّعر والمقالة، وتميز أدب اللّغة الفرنسية بالقصّة والرّواية[55]، وإذا كان أدب اللغة العربية عريقا ممتدا عبر الأجيال فإن أدب اللغة الفرنسية لم يظهر إلا منذ الخمسينات مع إرهاصات ظهرت بين الحربين".

تلك هي أهم العوامل الّتي أسهمت في تكوين النّهضة الفكرية في الجزائر، وأعلنت عن ميلاد عصر جديد في مجال الأدب واتجاهاته. فظهرت الدعوة إلى

[53] - "الشفاء في خطر" ، ترجمة مالك ابيض العسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1979، ص37.
[54] - " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " ص137، 138
[55] - لقد برز عدد كبير من كتاب القصة باللغة الفرنسية في الجزائر نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : " مولود فرعون " ولد سنة 1913 و توفي عام 1962 من أشهر قصصه (ابن الفقير) أنظر:
Le fils du Pauvre , Editions TALANTIKIT , Bejaia , Algérie , 2002 , P 03 و ينظر كذلك :
Mouloud Mammeri , La colline oubliee , Edition Bouchene , Alger , Algerie .

حياة جديدة في الميدان الاجتماعي وتخطته إلى التّجديد في ميدان الأدب. فأخذ الأديب يترجم أحاسيسه، "ويصوغها أدبا حيا نابضا بمعاناتها في كلّ مرحلة من مراحله"[56].

يقول رمضان حمود[57]:

أَلا جَدِّدُوا عَصْرًا مُنِيرًا لِشِعْرِكُمْ فَسِلْسِلَةُ التَّقْلِيدِ حَطَّمَهَا العَصْرُ

سِيرُوا بِهِ نَحْوَ الكَمَالِ وَرَمِّمُوا مَعَالِمَهُ حَتَّى يُصَافِحَهُ البَدْرُ

و إجمالا ، يمكن القول أنّ الأدب العربي الحديث في الجزائر تميز بمرحلتين بارزتين

" المرحلة الكلاسيكية، و قد عبر عنها مجموعة من الشعراء ، ظهرت أسماؤهم في كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) الّذي صدر سنة 1927 في جزأين ، ثم واصلها مفدي زكريا و محمد العيد و أحمد سحنون و مبارك جلواح و الأخضر السائحي و أحمد معاش. أمّا أدب المقالة فقد جلي فيه عبد الحميد بن باديس و الطيب العقبي و أحمد توفيق المدني و محمد البشير الإبراهيمي و أبو اليقظان و غيرهم . و ضمن هذه المدرسة الكلاسيكيّة ظهرت أيضا تباشير القصّة على يد أحمد رضا حوحو. "[58]

و تعتبر مدرسة الثّورة و الاستقلال (المدرسة الجديدة) " فتحا في ميدان الشّعر و القصّة و الرّواية. و لم تظهر جدّة هذه المدرسة في الأشكال التّعبيرية فقط و لكن في المضامين و الأساليب أيضا ، مسايرة في ذلك نهضة الأدب العربي في المشرق و منافسة لمدرسة التّعبير بالفرنسية، بل يمكننا القول إن

[56] - أنظر ، زينب الأعوج " السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر" دار الحداثة ، بيروت، 1985م ، ص7.

[57] - صالح خرفي، "شعراء من الجزائر"، معهد البحوث والدراسات العربية"، 1969 م ، ص 132.

[58] - أبو القاسم سعد الله ، "حوارات " ، ص 185

هناك طعما جديدا في الأدب العربي بالجزائر لم يألفه الأدب العربي في المشرق قد
يكون مجالا لنقاش النّقاد هنا و هناك، و ذلك راجع إلى تكسير كثير من القيود الّتي ما تزال تتحكم في أدب المشرق. و قد حمل راية التّجديد في الشّعر محمد الصّالح باوية و أبو القاسم خمار ... و عبد العالي رزاقي و عمر أزراج و أحلام مستغانمي ، كما حمل راية القصّة و الرّواية الدكتور أبو العيد دودو و الأعرج واسيني و جيلالي خلاص و الطّاهر وطّار وعبد الحميد بن هدوقة. أما النّقد الأدبي فيقوده أمثال الدّكاترة عبد الله الركيبي، و عبد الملك مرتاض و محمد ناصر، و المرحوم محمد مصايف، و عمر بن قينة الخ.
و هناك أيضا كوكبة من كتاب المقالة الأدبية و النقدية"[59]

مما سبق يتّضح أن احتلال الجزائر كان مأساة اجتماعية عاشها الشّعب الجزائري بكلّ الأبعاد ، حيث كانت ميدانا للاضطهاد الفكري من قبل المستعمر و هذا ما أدى إلى تأخر نهضتها في مختلف المجالات ومنها المجال الأدبي.

ثم جاء القرن العشرين، وكان للحرب العالمية والأحداث الّتي عرفها الوطن العربي في المشرق والمغرب أثر بالغ في انتشار الوعي السّياسي في الجزائر الّتي شرع أبنائها يطالبون بإصلاحات سياسية بالجزائر ويفتحون الطّريق تدريجيا نحو الحرّية و الانعتاق.

وهكذا أدت هذه العوامل إلى بعث دم جديد في شرايين المجتمع الجزائري، وكان من نتائج ذلك أن شهدت البيئة الجزائرية نهضة أدبية حقيقية تتميز بالحيوية والحداثة، وفتح بذلك المجال على ما فيه من عثرات، أمام النّشاط

[59]- المرجع السابق ، ص 186

النّقدي، كما عرف الشّعر حركة وتطوّرا بسيطا. فهو وإن لم يطفر طفرة كبيرة فقد انفلت

من الصّومعة والمسجد ليعالج هموم وقضايا الشّعب الجزائري.

الفصل الأول:

السّيرة الذّاتية والعملية و النّضالية لأبي القاسم سعد الله

الفصل الأول: السيرة الذاتية والعملية و النضالية لأبي القاسم سعد الله:

I. المولد والنشأة:

ليس في الناس من يكره التّحدث عن نفسه، حتّى من يقول ذلك بلسانه إنّما يعاني ألما شديدا لكفّ لسانه عما يشتهيه إذا هو استطاع ذلك.

وإذا كان الحديث عن النّفس " بطريقة شفوية عامة حظا مشاعا بين أبناء الإنسانية، فإنّه من بعض صوره قسمة تختص بالأديب أو الفنان, لأنّ <<الأنا>> حاضرة لديه مقنعة أو مكشوفة وهي تتقنع وراء شخصيات المسرحية والقصة، لأنّ صاحبها يحب أن يخلق المرايا المجلوة وينظر إلى نفسه فيها، وهي مكشوفة إذا كان يترجم لذاته، ويتحدث عن سيرة حياته " [1]

ولأنّ أديبنا يدرك أنه من الصعب على المرء أن يقدم نفسه بنفسه على حقيقتها، لأنّ النفس ترغب بالمدح وتنسى الأشياء الأخرى. فإننا نجده في كثير من الأحيان يفضّل أن يقدمه الغير بناء على ما شاهدوه أو عرفوه عنه أو بناء على ما وجدوه في كتبه ومؤلفاته .

تذكر جل المراجع الّتي ترجمت للأستاذ سعد الله بأنه ولد سنة 1930م، إلاّ أن المعني نفسه لا يحدد بين سنتي 1930 و1931 فيقول:

" ولد في البدوع بجوار مدينة قمار بواد سوف، ولا يذكر أهله سوى أنه ولد في صيف شديد الحرارة عام ترميم الجامع الكبير ومدرسته حوالي سنة 1930م " [2].

نشأ فقيرا لعائلة تمارس الفلاحة ، لا تملك من أثاث الدّنيا و زخرفها إلاّ الأرض وطاؤها و السماء غطاؤها فكان هو كذلك عند خروجه إلى الدّنيا.

---

[1]- احسان عباس، "فن السيرة"، دار الثقافة، بيروت، لبنان ، د.ت ، ص 98.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، "أفكار جامحة "، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 م، ص 177.

تدعى عائلته << ولاد علي مسعودة >>، " ينتسب إلى عرشين كبيرين هما أولاد علي عبد القادر من جهة الأب، وأولاد بوعافية من جهة الأم " [3].

و كان كباقي الأطفال في قريته ينتعل "العفان "[4] فيمشي به " على الرّمال في الشّتاء فقط حتى لا يؤذيه البرد والصقيع ، أمّا بقية أيّام السنة فيمضيها حافيا" [5]

و عن مسقط رأسه ، يصفه أبو القاسم سعد الله على النّحو التّالي: "منطقة سوف الّتي ولدت بها ذات هواء طلق، وهي أكثر من صحراوية، إنّها واحات مفتوحة للرّما ل والرّياح. تربتها قاحلة بعيدة الماء غالبا، قليلة الإنتاج معظم إنتاجها غرسات نخيل وشجيرات دخّان....اشتهرت سوف بالحفاظ على اللّغة العربية وحبّ العلم والصّبر على شظف العيش أمّا العربيّة فهي من اللّسان الدّارج القريب من الفصيح، وأمّا العلم فيتمثل في احترام أهله والرّحلة في طلبه خصوصا إلى تونس، وأمّا شظف العيش فلا سبيل لأهل سوف إلّا الصّبر على المعاناة والجوع والتّعرض للخطر"[6].

وعلى غرار باقي مدن الجزائر وبواديها فقد رحّب أهل وادي سوف بالطّرق الصّوفية الّتي ملأت الفراغ الرّوحي بعد التّدهور الّذي أصاب الدّين والأخلاق. وكان لسكّان قمار حظهم من الحركة الإصلاحية الّتي شهدتها الجزائر، فرحّبوا بزعمائها ومدارسها وفلسفتها كما رحبوا أيضا بحزب الشعب. وأسهموا بعد ذلك في الثورة التحريرية، وذلك بتهريب السلاح والتطوع وخوض المعارك.

---

[3] - مراد وزناجي، "حديث صريح مع أ.د أبو القاسم سعد الله"، منشورات الخبر، الجزائر ،2008 م ،ص 17.

[4]- العفان هو حذاء مصنوع من الشعر و الصوف .

[5]- " حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله " ،منشورات الحبر ، الجزائر ، 2009 م ، ص 35 .

[6] - المرجع السابق، ص 18.

وعن خطواته الأولى في طلب العلم، فلقد لقي أبو القاسم الطفل دعما خاصا من والدته وذلك منذ سنواته الأولى في التعلم ، يقول:" وقفت والدتي ورائي في حفظ القرآن الكريم في جامع البدوع "[7]اقتداء ببعض إخوتها، ومنهم "خالي الشيخ الحفناوي هالي"[8]، لأكون مثله عالما محترما، " معتقدة أنّ الله قد فتح عليها <<القدري>> (ليلة القدر) وأنا طفل، فلم تطلب من الله شيئا غير العلم الشريف، وهي الّتي رسخت في هذه الفكرة حتّى عشت بها كل حياتي، معتقدا في قرارة نفسي أنّني رجل <<قدري>> وأنّ الله اختارني لمهمة وهي خدمة العلم الشريف (الدراسة والبحث) وأنني لم أخلق لغير هذه المهمة. وقد طغت عليّ هذه الفكرة حتّى إذا حدّثتني نفسي بتغيير مساري راودني (القَدَري) وحضرت أمامي صورة والدتي وصوتها فأعود إلى مساري وقدري"[9].

وكان لوالده بعد ذلك دور في تعليمه ، حيث آثره على بقية أبنائه ليواصل دراسته في تونس ، تأثرا بعديله الشيخ محمد الطاهر التليلي و إيمانا منه بدور العلم في النّهوض بالأمة و إصلاحها ، فسافر إلى تونس بعد أن اشتد عوده و بلغ من العمر أربع عشرة سنة .

وببلوغه سن الشباب، أخذ والداه يلحان عليه بالزواج إلاّ أنه كان يتهرب دائما من هذه المسألة " يقينا منه أنه إن تزوج فسيتوقف عن مساره العلمي"[10].

واستمر على هذه الحال إلى أن بلغ سن الأربعين فاقترن بشريكة حياته (أم احمد)"الّتي فهمت طبيعته وطموحه وحدود حركاته فساعدته بما تعرف وتملك، أوّلا بتوفير شروط العمل رغم صعوبات المحيط الّذي عاشا فيه، وثانيا

[7] - أبو القاسم سعد الله،"حوارات" ، دار الغرب الإسلامي ، ط2،بيروت ،2005 م ،ص221 .
[8]- مراد وزناجي ، "حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله" ،ص 18 .
[9]- "حوارات"، ص 222.
[10]- أنظر، " حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله "، ص 81.

بإعانته بِشتّى الوسائل وإبداء الرأي أحيانا فيما يكتب. فهي صاحبة رأي حصيف وثقافة واسعة...وكان تفرغه لأبحاثه وكثرة أسفاره يحرمانها أحيانا من بعض حقوقها ومع ذلك كانت تقبل ذلك بكل رضًا وطيب خاطر، وتشجعه على مواجهة الصعاب في سبيل هدفه النبيل."[11]

II. دراسته ومصادر اطلاعه

بعد خمس سنوات تقريبا على ميلاده، " دخل سعد الله الجامع القبلي في البدوع، وهذا تقليد قديم عند أهل قمار يقتضي بأن يدخل الولد الجامع حتى يحفظ شيئا من القرآن الكريم قبل أن يحتاجه أهله في الحياة العَمَليّة حتى يستقيم لسانه ويتشرّب حب القرآن في قلبه " [12]. فحفظ القرآن الكريم على يد شيوخ وادي سوف أمثال الشيخ محمد بن بلقاسم الزبيري الملقب (ابن البرية)، وبعد أن كرّره ثلاث مرات أصبح ينوب عن شيخه في صلاة التراوح . وبقي على هذا الحال إلى غاية سنة 1946م، حيث أخذ يستعد للذهاب إلى تونس لمواصلة دراسته إلاّ أن
" المادة لم تتوفر للوالد في تلك السنة ، فنصحه الخبراء بحفظ المتون الأساسية قبل الالتحاق بالزيتونة" [13]، "فحفظ المصنفات والمتون في النّحو والصّرف والفقه والعقائد"[14]، ويقول سعد الله عن العوامل التي حفزته للسفر إلى تونس من أجل مواصلة دراسته" لقد كان لزيارة عبد الحميد بن باديس[15] في الثلاثينات من

---

[11]- أنظر ،أبو القاسم سعد الله ، " حوارات " ، ص 222.
[12]- مراد وزناجي ، "حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله " ، ص 19.
[13]- نظر ، المرجع السابق ، ص 20.
[14] - أنظر ، مدونة الأستاذ ، رضوان شافو ، " منهجية البحث التاريخي عند سعد الله " ، موقع الشهاب للإعلام www.chihab . net
[15]- عاش ما بين (1889 – 1940 م .)

هذا القرن أثرها الواضح في مساري التعليمي فقد أذكت روح النهضة في القرية، ونتيجة لذلك، ولانتشار الحركة السياسية الوطنية، ولتأثير الحرب العالمية الثانية، سافر عدد من شبان (قمار) إلى تونس للدراسة في جامع الزيتونة، وكان هؤلاء الشبان يعودون في صيف كل عام فيتصلون بشبان جدد وينشرون بينهم أفكار جديدة ، فكان عدد الذاهبين إلى تونس يزداد في خريف كل سنة إلى أن كنت من بين هؤلاء "المجندين" عام 1947"[16].

وبالفعل التحق بجامع الزيتونة ومكث هنالك ما بين 1947 و 1954 فانكب على التّحصيل العلمي [17] بكل إرادة وعزيمة إلى أن تحصّل على شهادة الأهلية سنة 1951م، وشهادة التحصيل سنة 1954م "وهي تعادل الثانوية حسب النظام التونسي في ذلك الوقت"[18].

و أثناء ذلك " أقام السنة الأولى فقط بمدرسة صاحب الطابع بالحلفاويين أما السنوات السّت الباقية فقد قضاها بجامع القصر بحي باب المنارة حيث كان يسكن و يطبخ و يدرس في شبه عزلة."[19].

و عن الاتجاهات الّتي أثرت في حياته و هو في تونس يقول : "...غير أنّ هناك ثلاث اتجاهات قد أثرت في حياتي أثناء دراستي بتونس:

الأول هو التربية الدينية و الأخلاقية الّتي تلقيتها بالزيتونة.

و الثاني هو التربية الوطنية التي اكتسبتها:

أ) – عن طريق مشاركتي في نشاط جمعية الطلبة الجزائريين منذ1948

[16]- أبو القاسم سعد الله، "أفكار جامحة"، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 م ، ص 44.

[17]- وللإشارة، فإن مستواه العلمي كان بسيط جيدا عندما ذهب لتونس لأن حفظ القرآن وحده لا يؤهله لدخول الزيتونة مباشرة، لذلك فقد خضع لامتحان عسير أهله للدخول إلى السنة الأولى.

[18]- مراد وزناجي ،"حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله"، ص 23.

[19] - أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، الدار العربية للكتاب، تونس ، 1982 م . ص 44 .

ب)- عن طريق اشتراكي سنة 1953 مع الطلبة الجزائريين في تمثيل رواية "الخليفة العادل" في عدة مدن بالجزائر.

ج)- عن طريق قراءتي " للبصائر " منذ 1948.

أمّا الاتجاه الثالث فهو التربية الأدبية الّتي حصلت عليها بفضل مطالعاتي لإنتاج الشرق العربي، و خصوصا قراءتي " للرسالة" و "أبو للو" و "الآداب" اللّبنانيةِ ."[20]

بدأت حياته العلمية والفكرية منذ تولي ه رئاسة "جمعية البعثة" التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كما ساهم في إنشاء "رابطة القلم الجديد" وهي تضم مجموعة من الأدباء.

وبعد حصوله على شهادة التحصيل الّتي تؤهله لدخول الجامعة، أصبح شغله الشاغل مواصلة مشواره العلمي. "و بحكم دراسته في الزيتونة، و عدم وجود مستقبل لثقافته العربية في الجزائر، و مطالعته الدائمة " للبصائر" و أخبار الفكر العربي من المشرق، فقد كان دائم الحنين إلى متابعة دراسته في إحدى جامعات الوطن العربي . و لكن فقدان الوسائل المادية حال دون ذلك في حينه لذلك تقدم من تونس بطلب منحة من جمعية العلماء الّتي كانت قد فتحت " مجالا لما أسمته "البعثات" إلى المشرق"[21]، وكان ذلك بإشراف الشيخ الإبراهيمي الّذي تولى تسهيل مهمة الحصول على مِنح من بعض الدول العربية والإسلامية لصالح الطلبة الجزائريين، ليدرسوا ثم يعودوا إلى الجزائر، لكن لسوء الحظ لم يُقبل طلب سعد الله المتمثل في الحصول على منحة تؤهله للالتحاق بالجامعة ضمن هذه البعثات لكونه لم يكن طالبا في معهد ابن باديس "فقد سافر إلى تونس في نفس السنة التي افتتح فيها المعهد" [22]. إلاّ أنّ هذا الرفض لم يحبط من

[20] - أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 45 .
[21] - مراد وزناجي ، " حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله " ، ص 32 .
[22]- أنظر المرجع نفسه ، ص 36 .

عزيمته، فقرر العودة إلى الجزائر ليوفّر قدرا من المال يخول له السفر إلى المشرق من أجل إتمام دراسته على حسابه الخاص.

وبعد عودته إلى الجزائر، عيّن مدرسا مؤقّتا في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة مثل مدرسة الثّبات بالحرّاش، ومدرسة التّهذيب العربية بالعين الباردة ، " فدرّس هناك تلاميذ صغار في السن، كما كان يُلقي أحيانا دروسا مسائية على الكبار في التّاريخ الإسلامي بالمدرسة الجديدة " [23]. وقدّم بالإضافة إلى ذلك نوعا آخر من الدّروس لعامة النّاس وكان مقرّها في مُصلى الحيّ. وقد تمثلت هذه الدّروس في مسائل فقهية، وموضوعات دينية أخلاقية...."ولأنه كان صغير السن آنذاك مقارنة بالشيوخ الّذين يقدمون الدروس في المساجد، فقد لُقب بالشيخ الصغير"[24].

وبعد جدّ وكدّ تمكن سعد الله من توفير تكاليف السّفر، فشدّ الرّحال ليسافر هذه المرّة إلى مصر، وكان ذلك سنة 1955، " حيث نزل ضيفا عند الشّيخ الإبراهيمي الّذي آواه في منزله قرابة الثّلاثة أشهر حتّى تمكن من ترتيب أمور دراسته، والتحق بدار العلوم بجامعة القاهرة ... سنة 1955، ليتحصّل منها سنة 1959م على شهادة ليسانس في اللّغة العربية والعلوم الإسلامية. مع العلم أنّ فترة دراسته لم تمنعه من النّشاط العلمي، فقد كان مسئولا على الشّؤون الثّقافية، وهي مكانة خوّلت له لقاء العديد من القيادات الجزائرية أمثال فرحات عبّاس وابن يوسف بن خدّة إلى كريم بلقاسم وبلعيد عبد السلام، والأستاذ مالك بن نبي وإبراهيم مزهودي، و أوعمران والإبراهيمي وتوفيق المدني وعبد الحفيظ بوصوف وعبد الحميد مهري وغيرهم"[25].

---

[23] - مراد وزناجي ،"حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله "، ص 38 ، 39 .

[24]- المرجع نفسه ، ص53.

[25]- المرجع السابق، الصفحة نفسها .

و عن الاتّجاهات الّتي أثرت فيه أثناء دراسته في مصر يقول : "و في القاهرة تبلورت في نفسي عاطفتان: أولهما الوطنية السياسية. فالجزائر لم تعد في نظري هي الأسرة و القرية و الحدود الجغرافية و نحو ذلك، و لكن أصبحت تعني عندي كل أهل القطر الجزائري بقطع النظر عن جهاتهم ، و أحزابهم واتجاهاتهم. و بالتّالي بدأت أفهم حقيقة الثورة الجزائرية و أهدافها . و على هذا الأساس تطوّعت في جيش التحرير الوطني، و ساهمت في حملات جمع التبرعات للجزائر، و شاركت في النشاط الطلابي الجزائري كعضو و كمسئول ...و اشتغلت في مصالح جبهة التحرير الوطني. "[26]

"أمّا على المستوى الثقافي فإنّي إلى جانب نجاحي بدرجة جيّد في كل عام ، قد نذرت نفسي للتعريف بالفكر الوطني و نضال الشعب الجزائري الثقافي. و في هذا الصدد نشرت عدة أبحاث عن الأدب الجزائري و رجاله في الدوريات العربية، كما نشرت كثيرا من الشعر الوطني، منه "شعارات " الّتي أُلقيت في مهرجان الذكرى الثانية للثورة و " الطين" الّتي كانت آخر قصيدة تنشرها " البصائر" قبل احتجابها، و " المروحة" عن قصة الاحتلال، و " إصرار" عن إضراب 1957.

و في نفس الوقت نشرت بالقاهرة مجموعتي الشعرية " النصر للجزائر" سنة 1957 . و دراستي الأدبية عن "محمد العيد :رائد الشعر الجزائري" سنة 1961

[26] - أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 48 .

أمّا العاطفة الثانية الّتي تبلورت في نفسي خلال وجودي بالقاهرة فهي القومية العربية ...كما تعرفت على آمال و آلام الطلبة الفلسطينيين الّذين كان لي شرف تمثيل الجزائر في مؤتمرهم التأسيسي. "[27]

من هنا يتضح لنا أن الوطنية والثورة الجزائرية كانت في دمه وشعره وشعوره وقلمه أثناء إقامته في مصر. فكان يكتب كل ما جادت به قرحته من أفكار تحررية وقصائد شعرية وحماسية. كما سعى للتطوع في العمل المسلح أثناء مجيء ممثل القيادة العسكرية للثورة العقيد أوعمران، ، " إلاّ أن القيادة تركته ليواصل دراسته. ربما لأنه كان ينجح كل سنة، وربّما لأنّ يده كانت معطوبة آنذاك بسبب سقوطه في بئر عشية ذهابه إلى الزيتونة."[28]

وبعد حصوله على شهادة الليسانس، فقد تق دم إلى وزارة الثقافة الجزائرية بثلاث مطالب في نفس الوقت أحدهما التعليم في إحدى البلاد العربية، و ثانيها للدراسة في إحدى البلاد الأجنبية، و ثالثها لمواصلة الدراسة بالماجستير في القاهرة و أخيرا قرر أن يرفض التعليم. كما أعلمه الاتحاد الطلابي من سويسرا بأنّ مطلبه للمنحة غير مقبول بحجة أنّ شهادته الجامعية لا تؤهله للدراسة في الخارج . وهكذا لم يبق أمامه سوى الحل الثالث."[29]

فسجل في مكانين مختلفين لمواصلة الدراسة في الماجستير "الأول هو كلية دار العلوم نفسها تخصص أدب فأنهى الدبلوم في صائفة سنة 1960، وكان على استعداد للمناقشة، إلاّ أن القانون لا يسمح بمناقشة المذكرة في السنة الأولى من الدراسة. فكتب المذكرة ، وكانت حول شعر محمد العيد آل

[27] - المصدر نفسه ، ص : 48 ، 49 .

[28] - أنظر ، مراد وزناجي ،" حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله " ، ص54.

[29] - أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 49

خليفة، لكن وبعد حصوله على المنحة الأمريكية، ترك المذكرة مخطوطة عند الشيخ الإبراهيمي في القاهرة، هذا الأخير، كان معجبا بشعر محمد العيد فقام بطبعه لدى "دار المعارف" وكتب له التصدير، وذلك بطلب من سعد الله"[30].

أمّا الجهة الثانية الّتي سجّل فيها الماجستير فهي معهد العلوم والدّراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، شعبة الأدب والنقد، وكان من بين المحاضرين في هذا التّخصص سهيل إدريس، وإسحاق موسى الحسيني وسلمي الذهان، ويحي حقي وجودة السحار وغيرهم. فأكمل السنة الأولى أيضا إلّا أنه لم يواصل الامتحان بسبب المنحة دائما.

لم تثنه الصعاب والعقبات في سبيل تحصيل العلم والمعرفة ، و رغم العراقيل الّتي واجهها أثناء طلبه للمنحة إلى الولايات المتحدة ، حصل في الأخير على مراده و سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكله حزم وعزم، فالْتحق هناك بجامعة مانيسوتا وسجّل بقسم التاريخ وكان ذلك سنة 1960م، ليتحصل بعد خمس سنوات من الكدّ على شهادة دكتوراه دولة في التاريخ والحضارة الغربية وحضارة الشرق الأوسط بأطروحة "الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954" وبعدها درّس بجامعة أوكلير، كما كان عضوا بعدة منظمات علمية منها منظمة الطّلبة العرب وجمعية الطلبة الإفريقيين.

وعن ظروف إقامته في أمريكا ، و تعلمه للّغة الانجليزية ، يقول سعد الله : " و لم يكن ما تعلمته من الانكليزية ليكفيني للاتصال المباشر السريع مع الشعب الأمريكي.... و هناك عاملان دفعاني إلى مواجهة الصعوبات بتحد كبير: الأول هو أنّ الجزائر كانت في ثورة حياة أو موت، و قد كنت أعتقد بحرارة أنّ أقل

[30] - أنظر ، مراد وزناجي ،" حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله "، ص : 82 ، 83 .

ما يمكن أن أخدم به الوطن في تلك اللّحظات العصيبة هو أن أنجح في مشروعي.

و الثاني هو أنّ مطلبي الأول للمنحة في الخارج كان قد رفض على أساس أنني لا أملك مؤهلات جامعية ... و رغم أنّ المسئولين الأمريكان قد منحوني فترة ستة أشهر لتعلم اللّغة، فإنّي بعد ثلاثة أشهر و نصف فقط طلبت منهم البدء في الدراسة النظامية بالجامعة . و في ربيع 1961 سجلت في جامعة منيسوتا بقسم التاريخ و بدأت أعمل تحت إشراف الدكتور هارولد سي دوتش .....قضيت في هذه الجامعة حوالي خمس سنوات حصلت خلالها على شهادة الماجستير في التاريخ و العوم السياسية سنة 1962، و على شهادة الدكتوراه في نفس المواد سنة 1965. و قد اقتضى حصولي على الشهادة الأخيرة و تخصصي في التاريخ الأوربي أن أتقن قراءة كل من الفرنسية و الألمانية. "[31]

و هناك في أمريكا ، عمل سعد الله على التعريف بالثورة الجزائرية و أهدافها ، يقول : "و لمّا كنت الجزائري الوحيد في حيّ جامعي يغصّ بأكثر من أربعين ألف طالب فقد عملت بالتعاون مع الطلبة العرب و الإفريقيين على التعريف بالثورة الجزائرية و أهدافها."[32].

و في هذه الفترة من حياته ، اضطرته الظروف العصيبة الّتي مرّ بها إلى التوقف عن إنتاج الشعر فيذكر أسباب ذلك قائلا : " و من الجدير بالذكر هنا هو أن الضغط الدراسي ، و ضرورة تعلم لغات جديدة و تحضير الأطروحة قد أدّت إلى توقّفي عن إنتاج الشعر . أمّا النثر فلم أنتج فيه سوى المقالات المترجمة أو الموضوعة ذات الطابع التاريخي . و قد نشرت بعضها في مجلة " المعرفة" الجزائرية و " الآداب" اللبنانية، كما نشرت بعض المقالات بالانجليزية.

[31]- أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 50 .
[32] - المصدر نفسه ، ص 51 .

و من الممكن القول بأنني خلال إقامتي بأمريكا قد ركزت كل جهودي على الناحية الأكاديمية."[33]

بعد استرجاع السيادة الوطنية، عاد أبو القاسم إلى أرض الوطن. و في سنة 1993م حصل على منحة فولبرايت فبقي في أمريكا ثلاث سنوات أتمّ فيها تحرير
" تاريخ الجزائر الثقافي "، وفي سنة 1996 م أصبح أستاذا بجامعة "آل البيت" بالأردن إلى 2002 م، حيث رجع إلى جامعة الجزائر ليشغل بها وظيفة أستاذ متعاقد." وبين 1967م و1993 م كان أستاذا زائرا في عدة جامعات عربية وأمريكية."[34]

وخلال هذه الرحلة العلمية تعلم عدة لغات، وطاف كثيرا من البلدان في المشرق العربي والإسلامي والعالم الأوروبي وأمريكا.

ولعل المتتبع لحياة سعد الله يجد فيه نوعا من العصامية والطموح إذ أنّه لم يكن يكتفي بما يقدم إليه في المقررات الدراسية بل كان كثير المطالعة في شتى مجالات المعرفة كما كان حريصا على التنوع في مطالعته، فجمع بين القديم والحديث وبين العربي والغربي فيقول بهذا الصدد: " كنت كثير القراءة، أجلب كتابا أدبيا، صغيرا أو متوسط الحجم ، ولا أنام إلاّ إذا أكملته، مثلا من سلسلة اقرأ، روايات على الجارم حول الأندلس،.... وروايات جرجي زيدان... و المتنبي ....ومؤلفات جبران وشعر أبي ماضي، وكتب المعارك الأدبية والنقدية"و أدب المشرق وأدب المهجر، جماعة الديوان، وجماعة أبوللو)" [35].

"وطالعت نتاج المدرسة الوجودية، ولاسيما إنتاج كير كقادر، وسارتر،

---

[33]- أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 51 .

[34] - مدونة الأستاذ رضوان شافو ، " منهجية البحث التاريخي عند أبي القاسم سعد الله " .

[35]- مراد وزناجي ، "حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله "، ص 70 .

و البيركامو، وكافكا... وعندما أتقنت الإنجليزية طالعت بها أيضا إنتاج إيمرسون و كروتشي وبريتو. وتأثرت كثيرا بالحركة الرومنتيكية لاسيما في ألمانيا وفرنسا، وأعجبت بالأدب الروسي سواء منه الكلاسيكي الذي عاش في عهد القياصرة ، أو الاشتراكي الذي عاش في عهد البلاشفة و حتى عندما أخذت أتعمق في الدراسات التاريخية لم أهمل المطالعة في المدرسة الفرويدية لأنّ معظم المؤرخين المعاصرين الّذين وضعوا أسس المدرسة التاريخية الحديثة كانوا متأثرين بأدبيات عصر الصناعة و التقدم في مجالات العلوم الفرعية المستحدثة كعلم الاجتماع

و علم النفس و علم الأنثروبولوجيا، و المذاهب المادية و القومية. و من لم يدرس فاجنر و داروين و ماركس و فرويد و رينان وأضرابهم لا يمكنه أن يفهم الحضارة الأوربية المعاصرة التي تمثل الحضارة الأمريكية امتدادا لها."[36]

وإلى جانب المطالعة كان يقضي وقتا في الترفيه عن نفسه فقد كانت تستهويه مشاهدة الأفلام العربية أو الاستماع إلى الأغاني ، يقول : " كانت السينما هي المتنفس الوحيد، فلم يكن هناك لا تلفزيون ولا راديو، وكانت السينما هي هوايتي المفضلة، ومن المغنيات اللائي أثرت في كثيرا أسمهان بعد سماعها لأول مرة تغني "ليت للبراق عينا" ولا أدري لماذا، ربما بحزنها الشديد وصوتها العذب الرخيم

بالمقارنة مع الأسماء الأخرى، كنت شاهدت أفلاما غنائية لأم كلثوم، وكانت هناك مغنية وممثلة لبنانية أسمها نور الهدى، أثرت علي أيضا كشاب، لكن ليس كأسمهان"[37].

---

[36]- أبو القاسم سعد الله ، "حوارات" ، ص 107.

[37]- مراد وزناجي ،"حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله "، ص : 69 ، 70.

و كان للبيئة الّتي نشأ فيها سعد الله و الأماكن التي قصدها لأجل الدراسة دور بارز في رسم ملامح شخصيته ، فالصحراء الّتي كانت أوّل ما استقبله غرست فيه صفاء الذهن وحب العزلة والصراحة والبساطة. وتونس الّتي هي أول عاصمة حلّ بها، أدخلته إلى عالم الحواضر بما فيه من تناقضات، كما تعلم فيها الدّين والأدب. وعاصمة الجزائر الّتي قضى فيها سنة فقط عندئذ (1954-1955) جعلته يكتشف غربته في وطنه الّذي اغتصبه الأجنبي، والقاهرة الّتي كانت مركز إشعاع فكري وسياسي في وقته، جعلته يؤمن بوحدة التّاريخ والمصير العربي، كما عرّفته بشرائح الأدب فاختلط بها وناقش ونشر واكتشف ذاته بين الذوات الأخرى. أمّا رحلته إلى أمريكا فقد أعطته الحقيقة عن الوجه الآخر للصورة الإنسانية والحياة والحضارة، كما أقنعه التقدم الّذي حققه الإنسان الأمريكي خلال قرن أنّ الإنسان قادر على صنع المعجزات.

III. بين الأدب و التاريخ :

لقد تأثر سعد الله بعدة مذاهب أدبية و يرجع ذلك على حد قوله إلى دور المطالعة في سن مبكرة في التأثير على المفكر و في تحديد مساره ، فيقول ردا عن بعض الأسئلة الّتي وجهها إليه الدكتور محمد ناصر : " من الصّعب أن يحدّد المرء تأثره الأدبي بمذهب أو شخص معين ، ذلك أنّ المذاهب و الآراء تتفاعل و تتسرب كالهواء الّذي نستنشقه. و إذا كان المرء يقرأ كثيرا – خصوصا في مقتبل العمر– وصاحب موهبة لاقطة فإنّه يستقبل أمواجا عديدة من المذاهب و الآراء، ضمن الهواء الّذي يستنشقه عن طريق المطالعة. و الواقع أنّ البيئة تلعب دورا رئيسيا في اتخاذ المرء نمطا أدبيا معينا. فقد يكون المذهب الأدبي قويا بين المعاصرين و مع ذلك لا يؤثر في بعض الأدباء ، لأنهم

بحكم تكوينهم الشخصي و بحكم تأثير البيئة يرفضونه. خذ مثلا المذاهب الأدبية و الفكرية الّتي كانت رائجة في الجزائر أثناء الاحتلال. فالّذين تأثروا بها هم المتهيئون شخصيا و حضاريا لتقبلها – مثلا العيش في المدينة، مخالطة المدرسة الفرنسية، ضعف الوازع الدّيني و اللغوي – أمّا الّذين تكوّنوا في بيئة إسلامية- عربية و لم يختلطوا بالمدرسة الفرنسية و الفرنسيين فقد عزفوا عنها أو لم يتّصلوا بها. و لعلك تعرف أن أدباءنا بالعربية تأثروا بالمذاهب الأدبية الغربية (و منها الفرنسية) عن طريق غير مباشر، أي مرورا بوسائل التعبير العربية بالمشرق. "[38]

ثم يعود ليركز على دور البيئة في تكوين ملكات الفرد فيقول : " و قد كانت البيئة الّتي خرجت منها بيئة عربية إسلامية محافظة جدّا ، وهي أقرب إلى البداوة منها إلى الحضارة. و فيها كلّ ما في البداوة من خير و شر. و لكنّها من الناحية الطبيعية جافة إلى درجة القسوة، واسعة كالمحيط ، و مع ذلك تجد الإنسان أمامها مستسلما إلى درجة القدرية ، يحس بضعفه حتّى ليكاد يفقد ذاته. و لا يكاد يجد مهربا من رتابة رمال الصحراء و لفح شمسها إلاّ ظل نخلة وارفة، أو خرير ساقية حزينة، أو صوت حيوان أليف، أو نظرة في النجوم السابحة. يضاف إلى ذلك عهد الشباب الجامح و الغريزة الطافحة. "[39].

وعن التحول من الإنتاج الأدبي إلى دراسة التاريخ يبرر في عدة مناسبات سبب هذا الانتقال فيقول :" يرجع ذلك إلى البيئة والتعليم، فالبيئة كانت تقليدية

[38]- أبو القاسم سعد الله ، " أفكار جامحة " ، ص 181 .

[39]- أبو القاسم سعد الله ، " أفكار جامحة " ، ص 182 .

تهتم بالموروث من الأدب بمعناه الواسع الّذي يشم التاريخ والأخبار وحتى الأساطير والخرافات، والتعليم كان قرآنيا في البداية فزيتونيا، يجمع بين أصناف المعارف العربية والإسلامية المعروفة في المدارس والمعاهد التقليدية كجامع الزيتونة بتونس والأزهر الشريف بالقاهرة و كانت دراستي بكلية دار العلوم، وهي كلية محافظة تجمع بين التعليم الأزهري من جهة، والتعليم الجامعي المتصل بالأقسام الأدبية والفلسفية والتاريخية في الكليات من جهة أخرى. فكانت دراستي بدار العلوم دراسة شاملة لفروع المعرفة العربية الإسلامية المعروفة من تاريخ وأدب ولغة وفقه وأصول وفلسفة وأخلاق وتربية، ناهيك أنها كلية متخصصة منذ السبعينات في تخريج الأساتذة الأكفاء"[40].

و الواقع أنه حتى بعد ذهابه إلى أمريكا و تسجيله بجامعة منيسوتا ظل كثير الاهتمام بالأدب . "إذ واضب طيلة عدة أسابيع يحضر محاضرات الأدب الانجليزي و الأمريكي و يشتري الكتب المتعلقة بهاتة المادة. غير أنّ هناك عدة عوامل جعلته يركز على التاريخ: أولها تتبّع ه الدّائم لأخبار معركة التحرير بالجزائر . فقد جعله ذلك على حد قوله ، يهتم بالقضايا الوطنية و البحث عن تاريخ الجزائر أكثر مما أهتم بقضايا الأدب الّتي تقتضي الهدوء النّفسي و العيش تحت ظروف طبيعية." [41]

ثم يرجع هذا الاهتمام بالبحث التاريخ إلى عامل نفسي محض فيقول :

" فإنّي أذكر أنّي ذات يوم كنت أتصفح إحدى المجلات الأجنبية فوجدت فيها مقالا عن تاريخ العرب في جزيرة سردينيا . و لمّا كنت إلى ذلك الحين أجهل دور العرب في تلك الجزيرة فإنّ ذلك كان كافيا للضغط على نفسي

[40]- أبو القاسم سعد الله ،" حوارات "، ص 153.

[41] - أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 63

لمحاولة اكتشاف تاريخ أجدادي و دورهم التاريخي. غير أنّي أحب أن أؤكد بأنه لا تناقض أو تخاصم على الإطلاق بين الأدب و التّاريخ فإنّ كثيرا من المؤرخين العالميين قد بدؤوا حياتهم كأدباء قبل أن يكرّسوا مواهبهم للتّاريخ. و الواقع أنّ التّاريخ يوسّع أفق الأديب و يعطيه المعلومات الّتي يصوغ منها أفكاره. و الحكمة الّتي يستنتج منها آراءه، و الشّخصيات و الحوادث الّتي يستوحي منها تجاربه. كما أنّ الأدب ضروري للمؤرّخ. فمنه يستمّد تعبيراته و أساليبه، و منه يتلقى حرارة العمل و انطلاقة الخيال. و لا نبالغ إذا قلنا أنّ التّاريخ في حدّ ذاته هو نوع من الأدب يدرسه النّاس للمتعة و الحكمة و الاطّلاع."[42]

ثم يربط إنتاجه للأدب بفترة زمنية من حياته هي مرحلة الشّباب ، فالأدب على حدّ قوله: " تعبير عاطفي أو هو متصل اتّصالا وثيقا بالعاطفة سواء كان شعرا أو قصة أو مقامة، وحرارة العاطفة مرتبطة بالشباب وبمرحلة الوثوب والنشاط الجسماني الإنساني، وكثير من الأدباء كانوا يتوقّفون عن الإنتاج بأنواعه في مرحلة متأخرة من أعمارهم للسّبب المذكور. فيميلون إلى الهدوء والرّكون والتّفكير، وقد يعلنون التّوبة عمّا صدر منهم شعرا، وقد تتحوّل طاقاتهم الإبداعية إلى نوع آخر من الإنتاج يتلاءم مع المرحلة الجديدة من أعمارهم"[43] .

ولا ينفي ابتعاده كلية عن الأدب فيقول:" مازلت مزدوجا، وهذه الازدواجية تظهر في تاريخ الجزائر الثقافي لأنّني أؤمن بأنّ الأدب كنصوص ومواقف وقيم ولغة يحتاجه المؤرخ أشد الحاجة، والنّصوص الأدبية الّتي أنشرها من وقت لآخر عن العهد العثماني تبيّن كيف يمكن فهم الحوادث التّاريخية من خلالها،

---

[42] - المصدر نفسه ، ص : 64 ، 63 .
[43]- أبو القاسم سعد الله ،" حوارات " ، ص 154.

وعلى هذا فإنّي مازلت على هذه الازدواجية و أدعوا إليها، وإلّا فأيّ مؤرّخ هذا الّذي لا يعرف كيف يصوغ أفكاره ويقدّم مادّته إلى القرّاء"[44].

ثم يؤكد أنّ التّاريخ لا ينفكّ ينفصل عن الأدب فهو مرتبط به ارتباطا وثيقا وهذا ما نستشفه في قوله : " و الحقيقة أنّه من الخطأ أن نحصر التّاريخ في قيام الدّول و سقوطها و تصادم الجيوش و سير الملوك و العلاقات الدّبلوماسية، إنّ التّاريخ اليوم أصبح يشمل ميادين الفنون ، و تاريخ الآداب ، و أعرف أنهم اليوم في بعض الجامعات الأجنبية يدرّسون التّاريخ عن طريق الشّعر".[45]

ثم يدعو في مقام آخر إلى أن يكون الباحث على دراية بما يجري في جميع العلوم ، و أن لا يحصر نفسه في مجال معين من البحث فالإنسان القديم على حد تعبيره " لم يكن متخصصا بالمفهوم الّذي نستعمله الآن، فتراجم العلماء العرب منذ القديم تزدحم بالنّماذج الّتي بدأ أصحابها حياتهم الثقافية بالشّعر ، و فيهم من استمر في تعاطيه كثيرا أو قليلا ، ثم تحوّلوا من الشّعر إلى التّخصصات الّتي عرفوا بها . " فالشّعر ديوان العرب" و كل عربي يبدأ مناغاته بالشّعر. و نحن نعرف أنّ ابن خلدون مؤرخ و عالم اجتماع و فيلسوف و لكن قلّ من يعرف أنّ له ديوان شعر و أنّه ظل يزور (عبقر) الشّعر حتّى و هو يضع منهجه في علم العمران البشري. "[46]

ثمّ يشير إلى ما كان عليه العلماء في جميع العصور من إلمام بمختلف التّخصصات فيقول : " علماء الإغريق و الرومان و العرب، و علماء أوربا أثناء عصر النّهضة و حتّى العصور الحديثة كانوا يجمعون بين عدة اختصاصات، فيكون الواحد منهم طبيبا و فلكيا و شاعرا و رياضيا و فيلسوفا، و قد يكون الواحد منهم مؤرّخا و محدّثا و فقيها و مفكّرا اجتماعيّا و هكذا،

[44]- أبو القاسم سعد الله ،"قضايا شائكة" ،ص 14.
[45]- المصدر نفسه ، ص 19 .
[46] - أبو القاسم سعد الله ،" حوارات " ، ص 209 .

فالحدود كادت أن تكون معدومة بين العلوم و الآداب و الفنون ، و لكن عصرنا ابتلى بظاهرة (التّخصص) و إذا كانت الشّعوب المتقدّمة قد فهمت التّخصص هذا على أنه دائرة ضيّقة من دوائر المعرفة الكبرى الّتي على المتعلّم أن يتقنها، فإننا أخذنا هذه الظّاهرة حرفيّا ، و أقمنا الحدود الفولاذية بين أنواع المعرفة، حتّى إنّ الواحد منا لا يكاد يعرف شيئا خارج مواده الدراسية، و إذا قُدّر له أن يكتب أطروحة في موضوع ما فإنه لا يعرف أبعد من الموضوع الّذي كتب فيه....و لا أدّعي أنا أنني جمعت بين علوم الأرض و برعت فيها. و لكني أدعي أنني أحب الشعر وأتذوقه، و تستهويني الموسيقى الجميلة الراقية، و لي أحكام نقدية على ما أقرأ من شعر ونثر، و أهوى التاريخ وسير الأمم و الشعوب و صراعها من أجل البقاء باسم الحضارة و التقدم العقلي ، و أستعذب القراءة في هذه العلوم – الحديثة: علم النفس و الاجتماع و الفلسفة السياسية و لعلني أبعد ما أكون عن علوم الطب و الرياضيات و ما شابهها. و إذا كان في ذلك إلغاء للحدود الفكرية فإنّي من دعاته، و إذا كان تخصّصا ، رغم ذلك ، فإنّي من هواته." [47].

من خلال ما سبق يستنتج المتتبع لأعمال الدكتور سعد الله أهم العوامل التي دفعت به إلى الاهتمام بالتاريخ ، و لعلّ أبرزها المحيط البيئي الذي نشأ فيه ، ثم حرب التحرير الّتي كانت تدور رحاها في الجزائر.

IV. عهده بالصحافة:

نشأت علاقة سعد الله بالصّحافة منذ السّنوات الأولى لطلبه العلم ، و ذلك من خلال جريدة البصائر الّتي كانت تصل الفئة المثقّفة في بلدته قمار – الّتي تعتبر من بين أولى البلدات الجزائرية في اعتناق الفكر الإصلاحي و في حثّ

[47]- أبو القاسم سعد الله ، " قضايا شائكة " ، ص 86 ، 87 .

أبناءها على طلب العلم – وقد كان بعض أصهاره وزوج خالته الشّيخ الطّاهر التّليلي من المتخرّجين من جامع الزّيتونة ومن أعضاء جمعية العلماء ومن قرّاء البصائر. " فكانت هذه الجريدة تأتي إلى دكان أحد التّجار في البلدة، فيتداول على قراءتها أكثر من واحد. ومنهم سعد الله الذي لم يكن وقتها ، (1947) يفهم منها إلّا معاني غامضة، وكان صاحب المتجر يحثه على قراءتها بل وعلى أخذها معه وإعادتها بعد القراءة. ثم اشترك له والده في البصائر فأصبحت تأتيه شخصيا و بانتظام، وكلما غير عنوانه في تونس أو الجزائر كانت تتبعه أيضا"[48].

ثم سعى بعدها ليكون له مكان خاص به على صفحات الجرائد ، ف كانت تجاربه الأولى في الكتابة في الصحف التونسية، ومنها " النهضة " و"الزهرة "و"الأسبوع "وبعض المجلات مثل " المعارف ". فقد كان " يراسلها بقطع شعرية وقصص ومقالات وتعاليق، ولكنها كانت لا تنشرها أو لا تنشر منها إلا جزءا صغيرا تختاره ربما تشجيعا له أو ملئا لفراغ فيها، على أنّ بعضها نشر قصيدة كاملة، مثل الأسبوع."[49]

ويكاد الشيء نفسه يصدق على علاقته بالبصائر أيضا. فيقول : "كنت أراسلها من تونس، وكانت مسؤوليتي كممثل لبعثة جمعية العلماء في تونس تجعل الجريدة تهتم بمراسلاتي لأنني لا أبعث إليها نشاطي الخاص من شعر وقصة ومقالة فقط وإنّما كنت أبعث إليها أيضا نشاط البعثة كالمحاضرات والزيارات وأسماء الناجحين من الطلبة الجزائريين والمسابقات، فكانت البصائر تنشر مراسلاتي تارة بحذافيرها، وتارة كانت تتصرف فيها بما تراه ضروريا. ولكن ظهور اسمي مطبوعا في الجريدة وحديث الطلبة معي عن مراسلاتي بعد

48- أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " خارج السرب " ، دار البصائر ، الجزائر ، 1999 م ، ص 97 .

49- المصدر نفسه ، ص 98 .

ظهورها قد شجعني على إرسال المقالات والقصائد وغيرها إلى البصائر، فكانت تهملها في أغلب الأحيان. ولكن ذلك لم يفت عضدي. بل كان يحفزني على المزيد من المراسلات وتحسين أسلوبي وتعميق قراءتي."[50]

و لم يكن نوع كتاباته يتماشى مع مواضيع الجريدة واهتمامات قراءها،" فقد كان غير تقليدي فيما يكتب، بل كان متأثرا بمدرسة المهجر والمدارس الشعرية والأدبية الحديثة في المشرق، بينما كانت تغلب على كتّاب البصائر عندئذ الثقافة الدينية والأساليب التقليدية"[51]... و يقول عن إحدى المقالات التي كتبها و هو طالب في الزيتونة : " ذلك أنّ الزيتونة كانت محافظة على الأساليب القديمة ، و أنا كنت متمرّدا على ذلك و أحب الأدب الحديث و الشعر الحر و القصة الخ. و قد وصل بي التمرد أو العقوق أنني كتبت مقالة، بعد أن تخرجت من الزيتونة، هاجمت فيها الشيوخ المتزمتين و شبهت أحدهم بـــــــــ (راسبوتين)، و قد نشرتها سنة 1954 في جريدة (البصائر عدد 285) و لكني ندمت عن عقوقي الآن، طبعا بعد أن أصبحت أنا شيخا."[52]

و يعترف سعد الله بأن كتاباته لم تكن ترقى آنذاك لمستوى عال من الإتقان فيقول: "ولا أريد أن أقول الآن إنّ السبب وراء إهمال إنتاجي هو الحداثة وحدها، بل إنني أعرف أنّ ثقافتي لم تكن ناضجة، وأنّ في أسلوبي الكثير من الأخطاء التي كان "الغرور" والاعتداد بالنفس يطغيان عليها."[53]

وليتمكن سعد الله من نشر مقالاته في جريدة البصائر ، كان يلجأ في بداية الأمر إلى حيل ساذجة تتمثل في "إهداء مقالاته وقصصه إلى عضو من أعضاء

---

[50] - أنظر ،أبو القاسم سعد الله ، "خارج السرب " ، ص 99.
[51] - المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
[52]- أبو القاسم سعد الله ، "قضايا شائكة " ، ص 123 .
[53]- أبو القاسم سعد الله ، " خارج السرب " ، ص 99 .

هيئة التحرير. ....منهم: الشيوخ أحمد توفيق المدني، وأحمد سحنون، والشاعر محمد العيد و ابن باديس" [54]

و عن أولى القصائد و المقالات الّتي نشرها يقول :" فقد نشرت في البصائر القصائد التالية : قيتارة الأنغام، غيوم، هزار الشعر، نجوى العبقرية، و غيرها. و كان أول ما نشرته فيها هو " أمة المجد في الميدان" (عن المغرب العربي) ، ثم نشرت لي : حديث القلم، مع ابن الرومي، مع أديب الخلود، مع حمار الحكيم، ما لهم لا ينطقون، و غيرها من المقالات. كما جرّبت القصة القصيرة حيث نشرت لي الجريدة نفسها قصة " سعفة خضراء". و قد نشرت مقالي " أرض الملاحم " في البصائر " الجزائرية و الآداب اللبنانية بإمضائي كعضو في تلك الرابطة. و كان لنشر ذلك المقال قي مجلة مشرقية راقية " كالآداب" أثر كبير في نفسي. و يبدو أنّ "أرض الملاحم " كان نوعا من التنبؤ لأنني تحدثت فيه قبل الثورة بحوالي سنة. كما أن قصيدة " غيوم" كانت تحمل نفس البذور ."[55] كلّ ذلك كان أثناء وجوده طالبا في المرحلة الثانوية بجامع الزيتونة"[56].

و لمّا انتقل إلى القاهرة ، لم يمض على وجوده فيها سوى بضعة أسابيع حتى أخذ يراسل البصائر عن نشاط الشيخ البشير الإبراهيمي باعتباره رئيسا لجمعية العلماء. والحياة الثقافية المصرية وأخبار الجزائر في الصحف بمصر.

و كان كأمثاله من الطلبة لم يتقن أسلوب الكتابة الصحفية " فكان يملأ الورقة طولا وعرضا بدون ترك بياض في أيّ جهة منها"[57] .

و قد جلبت إحدى مراسلاته إلى الجريدة نقمة الشيخ الإبراهيمي لأنه ذكر فيها اسم أم كلثوم، فاستدعاه الشيخ رحمه الله إلى مكتبه وقال له:" كيف تسمح لنفسك

---

[54]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
[55]- أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 45 .
[56]- أنظر ، ابو القاسم سعد الله ، "حوارات" ، ص 97 .
[57]- أنظر ، مراد وزناجي ، " حديث صريح مع أ . د . ألو القاسم سعد الله " ص 57

يا سعد السعود (هكذا كان يسم يه) أن تذكر هذه المرأة في جريدة تحمل اسمي واسم جمعية العلماء "[58]

و يقول أنه تحدث في إحدى مراسلاته عن الوجودية " فإذا بمقالة تظهر في البصائر وهي بقلم الشيخ عمر شكري،"[59]. تندد بما كتب وتذكره بما كان يحدث في الجزائر، بما عرفه الأدب العربي من خلاعة ووجودية قبل جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار بما فهم منه أنّ الوجودية ما هي إلّا تحلّل وانحلال .

كل ذلك لم يؤثر على تعلقه بالصحافة وغرامه بالكتابة...فقد كان " يتلقى الدروس في الصحافة المصرية ، وأخذ يكتشف عالم الصحافة علميّا وفنيا، ذلك أنّ صلته بالصحافة إلى ذلك الحين كانت الهواية فقط، وكانت الصحافة بالنسبة إليه طريقا للشهرة الأدبية وتبليغ الأفكار" [60].

و عن حصوله على دبلوم الصحافة يقول : " حصلت على دبلوم الصحافة بالمراسلة، ولكنني لم أحس في يوم من الأيام أنني صحفي محترف. إنّما الصحافة عندي مجال للنشر وطرح للأفكار ودخول للعالم بالكلام المكتوب، وربما كانت طبيعة الخجل عندي هي التي جعلتني أفضل التعبير بالقلم على التعبير باللسان"[61]

ثم واصل نشاطه في مجال الصحافة وذلك رغم ارتباطه بالدراسة في الجامعة و تمثّل نشاطه الصحفي في اتجاهين" الأول الكتابة في المجلات العربية في موضوعات وبحوث عن الجزائر للتعريف بأدبها ورجالها كجزء من حركة الكفاح ضد الاستعمار، ومنها مجلة (الآداب اللبنانية). ومجلة الرسالة العراقية ، كما نشر أيضا قصائد وقطعا شعرية في الآداب المذكورة، وفي الرسالة الجديدة

---

[58] ـ أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " خارج السرب " ، ص 107 .
[59] ـ أبو القاسم سعد الله " خارج السرب "، ص 102 .
[60] ـ أنظر ، المصدر نفسه ، ص 103.
[61] ـ أنظر ، أبو القاسم سعد الله ،" حوارات " ، ص 98 .

المصرية، وغيرها. أمّا الاتجاه الثاني الّذي كرّس له جهده هو خدمة الإعلام الثوري في اتحاد الطلبة بالقاهرة "[62].

و قد سعى دائما إلى الوقوف إلى جانب حرية التعبير وحرية الرأي إلّا في ثلاث مقدسات عنده وهي: "وحدة الجزائر والدّين الإسلامي واللّغة العربية." [63]

7. قراءة في بعض مؤلفات سعد الله

يتميّز أبو القاسم سعد الله عن غالبية الباحثين الجزائريين بكتاباته الغزيرة ، إذ يحفل سجّله بعدة مؤلفات في شتى مجالات الأدب والفكر والتاريخ . و قد بدأ الكتابة حوالي عام 1953 . و كتاباته حتى مطلع الستينات ، معظمها ، أدبية . أمّا في الستينات فيأخذ منحى جديدا يتسم بالطابع الأكاديمي التاريخي لأنه ، كما سبق و أن أشرنا من قبل ، تحول من قراءة و كتابة الأدب إلى دراسة و تدريس التاريخ . و لكونه يتميز بثلاث صفات وراثية و هي أنه جزائري ، عربي ، مسلم . و ثلاث صفات مكتسبة وهي أنه أديب بالفطرة ، و مؤرّخ بالجهد و الموهبة ، و أستاذ جامعي بالحرفة ، فإنّ هذه "الصّفات السّت منتشرة في كل مكان من مؤلّفاته ، و تشكّل مركّبا سرطانيا اخترق جسده و عقله و استأثر بكليته و بكينونته و صيرورته باستثناء صفة الأستذة الجامعيّة الّتي بدأ بممارسها منذ عام 1966 ... أمّا الصّفات الخمس الأخرى فهي صفات ملازمة لوعيه بذاته كمواطن جزائري و قومي عربي ، و إنسان مسلم "[64]

و سنحاول فيما يلي تسليط الضوء على بعض كتبه مؤلفاته :

---

[62]- أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " خارج السرب " ، ص 103.

[63]- أبو القاسم سعد الله ،" حوارات " ، ص 95 .

[64] - جرج سالم الحجار ،" تاريخ الجزائر بنظارات سعد الله "، مجلة " آمال" ،وزارة الثقافة ، العدد 57 ، (ماي – جوان) 1983 م ، ص32

1. "النصر للجزائر"[65]:

هو أوّل كتيب أو ديوان شعر نشره أبو القاسم سعد الله بمناسبة أسبوع التّضامن مع الشعب الجزائري الّذي نظّمه الاتّحاد العالمي لنقابات العمال عام 1957 وقدم له أحمد توفيق المدني رئيس مكتب القاهرة لوفد جبهة التحرير وأمين عام جمعية العلماء المسلمين آنذاك. ويقع الكتيب في 32 صفحة تضم 12 قصيدة كتبت ما بين (1954–1956).
"و أهم ما في ديوان (النصر للجزائر) رسالته السياسية : الوحدة القومية العربية و العمل الفدائي لتحرير الوطن من مغربه إلى مشرقه." [66]

2. "شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة"[67]:

الكتاب في الحقيقة كان مشروع مذكرة ماجستير لم تناقش، نجد أن "البشير الإبراهيمي" رئيس جمعية العلماء وخليفة ابن باديس يكتب له تصديرا مفعما بالإعجاب والتقدير"[68] لشخصية محمد العيد[69]، ويشيد بسعد الله الّذي رحل إلى أمريكا. وهو مشغوف إلى حدّ الافتتان بالبحث عن الآثار الأدبية والعلمية لعلماء الجزائر في جميع العصور"[70]، وقد طبع الكتاب 3 مرات آخرها كانت سنة 1984.

---

[65]- دار النصر، القاهرة، 1957م . أنظر كذلك ، آمال ، ط 2 ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 1984 م .
[66] - جرج سالم الحجار ،" أمال "، ص 35 .
[67] - دار المعارف ، مصر ، 1976 م
[68]- مجلة "آمال" ، ص 36.
[69] - و قد لقب ب " شاعر الشباب ، شاعر الجزائر الفتاة ، شاعر الشمال الافريقي ، شاعر العروبة و الاسلام ، شاعر الحكم و المثل أنظر، صالح خرفي ،" محمد العيد خليفة "، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م ، ص 17 .
[70]-" شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة " ، ص3.

3. "دراسات في الأدب الجزائري الحديث"[71]:

إنّ كتاب دراسات هو باعتراف مؤلّفه "مجموعة المقلات والدراسات التي كنت قد نشرتها في الدّوريات العربيّة (1955–1960) عند ما كنت طالبا بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة بالإضافة إلى مقال بتين ترجمتهما من الانجليزية"[72]،و الهدف من إعادة النشر هو التعريف بالأدب الجزائري و للمساهمة في محاولة فكّ الحصار الّذي ضربه الاستعمار حول الجزائر و لسد الفراغ المخيف الّذي تعانيه المكتبة العربية بخصوص الحركة الفكرية في الجزائر . و تعليقا على هذا الكتاب يرى الدّكتور صالح خرفي أنه لا يوجد أيّ" ترابط وثيق و تلاحق بين الدّراسات" [73] وقد طبع الكتاب 5 مرات كانت آخرها سنة 2007[74].

4. "ثائر وحبّ"[75]:

هو ديوان شعر يضم 25 قصيدة كتبت بين 1954 و 1960 ويقع في 112 صفحة. و في مقدّمة ديوان " ثائر و حب " يقدم سعد الله للحبّ تفسيرا طريفا يستمده من الواقع الثوري، هذا الواقع الّذي غيّر كل المفاهيم و أعطى لهذه العاطفة النبيلة وجهها الثوري .. في الوقت الّذي برهن فيه السلاح على صلاحيته في معركة التحرير كان صاحب هذا الديوان يعتقد أنّ الكلمة المكتوبة لا تقلّ صلاحية عن السلاح و لذلك اندمج في الثورة اندماجا بلغ به درجة

71- منشورات دار الآداب، بيروت ، لبنان ، 1966.
72- المرجع السابق ،ص 6.
73- "صفحات من الجزائر" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1973 ، ص 151 .
74- دار الرائد للكتاب، الجزائر.
75- منشورات دار الآداب، بيروت، 1967م .

التّأزّم العاطفي الحادّ و هو ما دفعه إلى الرّبط في عنوان ديوانه بين الحب و الثّورة أو بعبارة أدق حبّ الثورة. "[76]

5."الحركة الوطنية الجزائرية"[77]:

هي أول دراسة أكاديمية متكاملة أعدها سعد الله للحصول على الدكتورة في جامعة مانيسوتا الأمريكية. وطبعه سنة 1977 " يصفها سعد الله الجزء الثاني لأنه بعد نهاية هذه الدراسة أراد أن يعود إلى الاحتلال ويكتب الجزء الأول عن الفترة (1830-1900)"[78] .يقول سعد الله عن الجزء الأول من هذا الكتاب : "لهذا الجزء من كتاب الحركة الوطنية الجزائرية قصة ، فقد صدر الثاني منذ 1975 م ، و لم يصدر هذا الأول و إذا كان المنطق يقتضي البدء بالجزء الأول فإنّ هناك عوامل جعلت سلسلة الحركة الوطنية تخرج على هذا النحو من عدم الانتظام " [79]

6." محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث "[80]

"إنّ هذه المحاضرات تتناول الفترة الانتقالية من العهد العثماني إلى العهد الفرنسي"[81] وأعدّت تلبية لدعوة معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة، وألقيت أمام طلاب قسم الدّراسات التاريخية والجغرافية بالمعهد

---

[76] ـ محمد ناصر، "الالتزام في شعر الثورة " ،مجلة الثقافة ، العدد60 ، ص 23 .
[77]ـ دار الآداب ، بيروت ، 1969 م .
[78]ـ" آمال" ص 43
[79] ـ " الحركة الوطنية الجزائرية "، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 م ، ص 05 .
[80]ـ الشركة الوطنية للكتاب ، ط 3 ، الجزائر ، 1982 م .
[81]ـ " آمال "، ص 44

7. "محمد الشاذلي القسنطيني"[82]:

يقترب سعد الله من دراسة الشاذلي بنوع من التوجس و التردد " لأنّ الشاذلي من أبرز العناصر الّتي تواطأت مع فرنسا أثناء الاحتلال وكان مديرا لإدارة مدرسة سيدي الكتاني منذ تأسيسها في قسنطينة عام 1850، وسيدي الكتاني هي واحدة من المدارس الثلاث التي أنشأها الاستعمار في العاصمة وتلمسان و قسنطينة لتعليم الفقه والقضاء والإفتاء الإسلامي من حسب رؤيته. والحقيقة أن خوف سعد الله من تناول موضوع خرج ينبع من كونه أنه ليس رجل مجابهة واعتقد رغم كونه مسالما فإن دراسة الشاذلي كنمط ضرورة تاريخية لأن الخطر المحدق بالقطر الجزائري هو خطر (الفرنكز- مسلمان) الّذين يسيطرون على مقاليد الأمور في الإدارة والتجارة والاقتصاد والثقافة وغيرها في جزائر الاستقلال وأنهم جماعة متماسكة وشرائح طبقية متحالفة يعكفون على فرنسة الجزائر بلأحباب فرنسا وذلك حفاظا على مصالحهم الطبقية وتوجههم القطري العنصري رغم تسترهم بالإسلام والعروبة"[83].

8. "منطلقات فكرية"[84]:

هو الكتاب الركيزة في فكر سعد الله و هو أيضا "مجموعة من المقالات والأبحاث عن الثقافة القومية في الجزائر والوطن العربي وأفريقيا والصين...وهذه المقالات والأبحاث في الواقع تتمحور حول قضايا الثقافة القومية في الوطن العربي، والجزائر خاصة [85]، والجامع المشترك بين هذه

---

[82]- الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1974 م .
[83]- " آمال"، ص 44.
[84]- الدار العربية للكتاب، تونس ، 1982 م .
[85]-" منطلقات فكرية " ، ص 50.

المقلات والأبحاث هو الرغبة في الكشف عن (منطلقات فكرية) يؤدبها اعتبار الماضي وتراد منها آفاق المستقبل فهي جميعا تتناول قضية الثقافة القومية....وخيرة هذه الثقافة هناك بين تيارات متعارضة بل متصارعة... وتكشف عن موقف الإنسان من قضايا عصره[86].

9. "المفتي الجزائري ابن العنابي"[87]:

إنّ جزائرية سعد الله هي الّتي دفعته إلى كتابة هذا الكتاب لأنه يعتبر ابن العنابي من "أوائل علماء المسلمين الذين طرحوا قضية التجديد في النظم الإسلامية أوائل القرن التاسع عشر الميلادي" [88]. "ومن القضايا التي استرعت نظره بكثرة جمود عقلية علماء المسلمين أمام تقدم العقل الأوروبي، وتخلف الجيش الإسلامي أمام زحف الجيوش الأوروبية"[89]. لذلك قام ابن العنابي بتأليف اسماه "السعي المحمود في نظام الجنود"، عام 1836، في أربعة أعوام قبل الاحتلال وبنفس العام الذي صفيت فيه الانكشارية، في الإمبراطورية العثمانية التي كانت تخضع لها الجزائر اسميا. وتتضح النزعة الجزائرية عند سعد الله في قوله:" بعد أن درست ابن العنابي تأكدت أنه يحق للجزائر الحديثة أن تفتخر به وبأمثاله كحمدان خوجه الذين سبقوا علماء العربية والإسلام في طرح قضية التجديد والإصلاح الاجتماعي قبل والسياسي قبل أن يطرحها مثال الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده فليس للجزائر أن تفتخر إلا بقائمة الشهداء الطويلة لأن لها أيضا قائمة العلماء والمثقفين مفخرة وأي مفخرة" [90].و " الكتاب يقع في نحو

---

[86]- أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 60

[87]- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1977 م .

[88]- المرجع نفسه ، ص 53.

[89]- " آمال " ، ص46

[90]- أبوالقاسم سعد الله ،" المفتي الجزائري ابن العنابي " ص 7 ، 8.

150 صفحة ، تضمن ثلاثة أقسام ، قسم عن حياة ابن العنابي كشخصية جزائرية تعتبر من الجزائريين الأوائل السباقين في طرح قضايا التجديد و الإصلاح الاجتماعي في العالم العربي و الإسلامي ، وقسم عن آثار ابن العنابي ... و قسم جاء كملحق تضمن نصوصا لابن العنابي أو عنه ."[91]

10. "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"[92]:

يقول سعد الله بخصوص مضمونه : " كنت قد كتبت هذه المقالات في فترات متباعدة يعود بعضها إلى بداية الستينات ويعود آخرها إلى الشهور القريبة...وقد أشفقت على هذه الأبحاث والمقالات أن تظل متفرقة، رغم شدة الحاجة إليها أحيانا فجمعتها على هذا النحو وقدمتها للمطبعة عسى أن يعود إليها الباحثون في تاريخ الجزائر والدارسون لتاريخ المغرب العربي عامة"[93]

11. "تجارب في الأدب والرحلة"[94]:

يضم هذا الكتاب مجموعة من التجارب في الأدب و النقد و القصة و الشعر و آراء في الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي والوطن العربي على العموم، كما يضم أخبار رحلتي إلى المغرب وإلى الجزيرة العربية، بالإضافة إلى رحلة أحد الأمراء الألمان إلى عنابة مترجمة عن

[91] - أنظر ، عمر بن قينة ، " شخصيات جزائرية " ، دار البعث ، الجزائر ، 1983 م ، ص 21 .
[92]- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 2 ، الجزائر 1982 م .
[93]- المصدر نفسه ، ص 5
[94]- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 م .

الإنجليزية"[95]. و رحلتين شخصيتين إلى كل من المغرب و الجزيرة العربية .

12. " الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري " حياته و آثاره[96] :

الكتاب عبارة عن دراسة تتناول عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري في حياته
و آثاره الموجودة ، و قد كاد النسيان أن يأتي على هذه الشخصية الهامة في تاريخنا الثقافي لولا قبسات من روحه التواقة جعلت الباحثين يهتمون به بعد وفاته بحوالي قرن من الزمان . فقد عاش ابن حمادوش خلال القرن الثاني عشر للهجرة (18 م) و أسهم فيه برحلاته و كتاباته و تجاربه الطبية ... فقد اهتم بالثقافة العلمية من طب و صيدلة وفلك و حساب في عصر سادت فيه الثقافة الفقهية و الأدبية و التصوف ." [97]

13. "الزّمن الأخضر"[98] :

هو ديوان شعر يعبّر عن " زمنين أخضرين :عهد شباب الشاعر و عهد الثورة التي هي شباب الجزائر ... و هكذا انصهرت فيه عاطفتان شابتان مشبوبتان لا تكادان تنفصلان : العاطفة الذاتية و العاطفة الوطنية ... و لا غرابة أن يشيع فيه طيش الكلمات و جنون الخيال و ثورة الروح ، تماما كما يحدث لشباب العشرينات و كما يحدث للثورات ، فكلاهما يتميز بالتمرد و

---
[95]- المرجع نفسه ، ص 7.
[96]- ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .
[97] - أبو القاسم سعد الله ، " الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري " ، ص 05 .
[98]- المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م .

التحدي و الجموح "[99] و أغلب شعره نظمه بين سنوات 1950 و 1960 عندما كان في العشرينات و كانت الثورة الجزائرية أيضا في ريعان شبابها .

14. "سعفة خضراء "[100] :

هو العنوان الّذي اختاره سعد الله لمجموعته القصصية ، و التي تتضمن خمس قصص مستوحاة من الواقع الّذي عاشه سعد الله وهي :
(فتاة القرية ، سعفة خضراء ، ليلة غرام ، مرارة التبغ ، ممنوع الدخول) و تحتوي فوق ذلك على محاورتين هما : (عندما لبست العمامة و أديب الخلود) .

15. "قضايا شائكة"[101]:

الكتاب عبارة عن أحاديث قد أدلى بها الدكتور سعد الله في مناسبات عدة إلى جرائد وطنية و أخرى دولية وقد تعرض إلى " نقاط شتى من هموم الإنسان العربي المعاصر ... و قضايا الأدب والتاريخ و الفكر "[102].

[99] - المرجع نفسه ، ص 07 .
[100]- المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م .
[101]- دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1988 م .
[102] - المصدر نفسه ، ص 6 .

16. "أفكار جامحة"[103]:

يحتوي هذا الكتاب على أبحاث و مقالات في أغراض ثقافية و أدبية و فكرية شتى ،"و هو يشبه في ذلك زميله (منطلقات فكرية)إلى حد كبير، و مع ذلك

فهناك فروق بينهما في التناول و الموضوع "[104]

17. "هموم حضارات "[105]:

والكتاب كما هو واضح من خلال عنوانه، عبارة عن خواطر يسردها المؤلف " بأسلوب شيق ومباشر يعبّر فيها عن ألمه وحزنه لما يتخبط فيه مجتمعة من محنٍ ومصائب. ويستنكر فيها الهجمات المتكررة الّتي يشنها الغرب الإمبريالي وحلفاؤه الصهاينة على الدول والشعوب العربية الإسلامية ويشجب دور المثقف المسلم الّذي يجب أن يكون طلائعيا لصدّ هذا العدوان والوقوف إلى جنب القيادات الوطنية والتقدمية في خدمة وحدة هذا المجتمع ورُقيّه. "[106]

ونجده إزاء الأزمة الجزائرية: لا يتردد فيحمّلُ مسؤولية الوضع إلى : "الّذين اغتالوا الثورة وهم الحكّام الجهلة والمتسلّلون الخونة: وحتى بعض المجاهدين المنخدعين الّذين انشغلوا بجمع الغنائم مثلما وقع للمسلمين في غزوة أحد"[107]

---

103 ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988 م .
104 ـ المرجع نفسه ، ص 5 .
105 ـ دار الأمة، الجزائر، 1993م .
106ـ أحمد خروع ، " قراءات في الفكر الجزائري المعاصر " ،
107 ـ أبو القاسم سعد الله ، " هموم حضارات " ، ص 47 .

ثم يقدم اقتراحات كفيلة بحلّ الأزمة ويعرب بأنه: "في استطاعة الجزائر أن تستقطب التيارات الوطنية والإسلامية المضطهدة هنا وهناك لإحداث المعجزة وإقامة دولة موحدة بمنطقة شمال إفريقيا، يكون أساسها الحضارة العربية الإسلامية ورائدها التقدم التكنولوجي"[108]

ينتقل بعدها سعد الله للحديث عن مواضيع أدبية: فيقدّم لقرائه تقريراً مفصّلاً عن نشاط المجمع اللغوي بالقاهرة وأعماله خلال دورة سنة 1990، من أجل ترقية اللغة العربية " وبأسلوب سهلٍ ممتنع، يسرد علينا المؤلف نشاطات هذا المجمع من محاضرات وجلسات، ويصف لنا بلغة عذبة وسلسلةٍ، تتخللها هنا وهناك نوادر أدبية. وجولات وزيارات منعشة تجعل القارئ ينصهر مع وجدان المؤلف ويسرح معه عبر السطور. وهنا تظهر حقيقة براعة الأستاذ سعد الله وقدراته الأدبية

الكبيرة " [109].

18. " حوارات "[110]:

يحتوي الكتاب على تسعة و عشرين حوارا أجراه سعد الله مع صحفيين من جرائد و مجلات جزائرية و أخرى عربية معظمها مستوحات من " المرحلة التي عاشتها البلاد أو سلطت فيها الأضواء " [111]على سعد الله لسبب أو

[108] - أبو القاسم سعد الله ، " هموم حضارات " ، ص 50 .
[109] - مدونة الأستاذ أحمد خروع ، " قراءات في الفكر الجزائري المعاصر "
[110] - دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ،2004 م .
[111] - المصدر نفسه ، ص 07 .

لآخر يقول سعد الله عن تسلسل هذه الحوارات : " ... و قد فضلت أن أتبع طريقة المراحل عند ترتيب هذه الحوارات ، فبدأت بالأقدم و انتهيت بالأحدث ، أولها سنة 1976 و آخرها 2004 ، حتى يستطيع من يتابع موقفي من قضايا الساعة تسلسل و تطور الأحداث التي عرفتها الجزائر و الوطن العربي و الأمة الاسلامية و لكل واحد منهم فيما بدا لي ميوله الذاتية " [112] و يعتبر كتاب " حوارات " القسم الثاني من كتاب "قضايا شائكة " " لكن طول العهد بين الكتابين و اختلاف الأجواء و الأمزجة جعلني أصدر هذه المجموعة تحت عنوان مستقل هو (حوارات) معتقدا أن فن الحوار من أفضل أنواع التعبير الدال على حقيقة أغوار النفس الإنسانية " [113]

19. "خارج السرب "[114]:

يحتوى هذا الكتاب على مقالات و خواطر متنوعة تناولت مواقف و أنشطة (عاشها الكاتب) ، فهناك مقالات عن اللغة العربية و التعريب و أخرى عن التثاقف و الحوار و التاريخ و العولمة ، و ثالثة عن بعض الأشخاص الّذين لعبوا دورا في (حياة الكاتب) خلال القرن العشرين " [115]

20. " تاريخ الجزائر الثقافي " [116]:

هي موسوعة ثقافية صدرت في البداية في جزأين اثنين فقط لتصدر مؤخرا عن دار الغرب البيروتية في تسعة أجزاء كاملة . و قد عالجت هذه الموسوعة مختلف الجوانب الثقافية للجزائريين كالحديث عن أدب الرحلة و إسهاماتهم فيه ، و الّتي كان الكثير منها مجهولا عند الكثير من المشتغلين بالحقل المعرفي في

---

[112]- أبو القاسم سعد الله ، " حوارات " ، ص : 8 ، 9 .
[113] - " المرجع نفسه ، ص 09 .
[114]- دار البصائر ، ط 2 ، الجزائر ، 2009 م .
[115] - أنظر " خارج السرب " ، ص 07 .
[116] - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م .

الجزائر وخارجها . و عن سبب كتابته لتاريخ الجزائر الثقافي يقول سعد الله "...إنّ أكبر حاجز كان يحول دون عملية التذويب هو الشخصية الثقافية الوطنية ، و من ثَمّ كانت حربهم الشرسة ضد اللغة العربية و ضد الإسلام كحضارة و ضد اتصال الجزائر بالثقافة العربية المتطورة بالمشرق العربي بدعوى أنّ هذه الثقافة أجنبية على الجزائر ، و هناك عامل شخصي يتمثل في أنني بدأت حياتي مهتما بالأدب و عندما تخصصت في التاريخ ظلت جاذبيتي نحو التاريخ الثقافي أكثر من التاريخ السياسي ، و عندي إيمان ذاتي هو أن الشعب الّذي له ذاتية ثقافية لا يمكن أن يذوب في غيره و لو لم تكن له شخصية سياسية بينما العكس صحيح. و من جهة أخرى لاحظت أثناء دراستي الجامعية بالمشرق العربي عدم اهتمام الدارسين بمساهمة الجزائر الثقافية في الحضارة العربية الإسلامية فدفعني ذلك إلى البحث و التنقيب إلى أن توصلت إلى ما في الكتاب "[117].

كانت تلك أهم العوامل الّتي دفعت بسعد الله إلى كتابة هذا المؤلف الضخم الجدير بأن يكون موسوعة ثقافية يلجأ إليها الباحث كلما أراد الحصول على أكبر كمّ من المعلومات حول إسهامات الشعب الجزائري في المجال الثقافي .

و عن هذا العمل يقول بلقاسم بن عبد الله : "... وهل يمكن اختزال العصور و المراحل الثقافية الجزائرية المتعاقبة في عمل عظيم، مثل تاريخ الجزائر الثقافي ... عندما تطالع بتمعن هذه الموسوعة الثقافية التاريخية تشعر و كأنك أمام جهد مجموعة من الباحثين المختصين "[118] و عن العمل نفسه ، يثمن الدكتور عمر بن قينة الجهد الكبير الّذي بذله سعد الله في هذه الموسوعة فيقول

[117] - أبو القاسم سعد الله ، " قضايا شائكة " ، ص 17 .
[118] - بلقاسم بن عبد الله ، "بصمات و نوقيعات " ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 م ، ص 118.

:" هو جهد فكري لا ينهض به إلاّ أولو العزم تدعمهم مؤسسات علمية معتبرة، ولم يجد الكاتب في ذلك دعما رسميا، في مشروعه الوطني، فعانى كثيرا." [119]

21. "مسار قلم " [120]:

الكتاب يضم يوميات أبو القاسم سعد الله الّتي بدأ بكتابتها في القاهرة في فبراير سنة 1956 . وقبل اليومية كتب صاحب المذكرات افتتاحية تحت عنوان (بين يدي هذه اليوميات) ملخصاً فيها ما عاشه منذ وصوله إلى القاهرة سنة 1955. " ففي آخر كل يوم كان يكتب صفحة من المفكرة يلخص فيها ما قام به خلال النهار، ليعدّل بعد ذلك من أسلوبه في كتابة هذه المذكرات م سجلا أهمّ الأحداث التي يمرّ بها. وهكذا وعند حصوله على منحة الدراسة في الخارج في العام 1960 ترك حقيبة تضم شهاداته ويومياته وأوراقه عند أخيه علي سعد الله الّذي كان يدرس الفلسفة في جامعة القاهرة، وهذه الحقيبة أنقذها أخوه حين جاء بها معه إلى الجزائر بعد تخرجه سنة 1964، وهي التي وجد فيها هذه المذكرات في أربع مفكرات. وقد تردد الكاتب طويلاً في طبع مذكراته هذه إلّا أنه قرّر طبعها لما وجد فيها من فائدة للجيل الحاضر، علّها تكون أكثر فائدة للجيل اللاحق الذي سيكون أكثر تعطشاً للمعرفة عن تراث أجداده. وأسلوب كتابة هذه اليوميات بسيط جداً لا تكلف فيه، فكأنه أسلوب قصة قصيرة تراكيبها تعبر عن حكاية شفوية، ولا وجود لانطباع شخصي في أغلب ما يروي فيها ولا استنتاج إنما هو السرد ورواية الحدث أو الخبر. وأخيراً يقول صاحب هذه المذكرات بأن يومياته هذه هي بسيطة جداً بساطة المرحلة التي عاشها وبريئة براءة العمل الذي كان يقوم به وهو الدراسة في بيئة عربية غير متجددة إلا

[119] ـ عمر بن قينة ، " اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة" ، ديوان المطبوعات الجامعية ،بن عكنون،الجزائر،1995م ،ص 221 .

[120] ـ دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .

بوقوع هزات في حجم العدوان الثلاثي وقرار تأميم القنا ة ومعركة تحرير الجزائر، والنضال ضد الصهيونية والاستعمار والتخلف."[121] وكان رصد هذه الهزات وأمثالها هو الذي دفعه إلى تسجيل مساره مساء كل يوم في ظل الحرمان الذي جعله يتناول طعاماً مضى على طهيه ثلاثة أيام في مسكن لم يعرف ثلاجة ولا أية وسيلة من وسائل حفظ الطعام. إنّ هذه اليوميات لا تكشف من أسرار وإنما تعبر عن حياة طالب جزائري أيام الثورة التحريرية، طالب كان يعيش الغربة في عاصمة عربية كانت مخبراً لصنع القرارات العربية، وكانت سلطتها تمد الثورة الجزائرية بالمساعدات سراً وعلانية، وكان الطلبة الجزائريون يجدون في هذه العاصمة الأمن والعلم والعيش.

إضافة إلى مؤلفات سعد الله ، فقد عمل أيضا على تحقيق العديد من المؤلفات أبرزها :

"حكاية العشاق في الحب والاشتياق"[122]:

يرى سعد الله بأنها " أول رواية شعبية جزائرية كتبت سنة 1849م وهي تروي مغامرات عاطفية جرت بين البطلين زهرة الأنس وابن الملك، وقد كشف بأسلوب وفيق جمع بين النثر الصافي والشعر الملحون، وتحتوي على رموز سياسية، مما يرجع أن يكون المؤلف نفسه الذي حرمه الاستعمار الفرنسي لبلاده من مجده العائلي وثرواته الشخصية هو بطل الرواية ومؤلف الرواية هو محمد بن إبراهيم الأمير مصطفى " دور سعد الله هنا هو ع ثوره على المخطوط في المكتبة الوطنية وتحقيقه، وهذا دورك يستهان به، والملفت للنظر في المقدمة أن سعد الله يستقدم – وهذا نادر جدا– في كتابه تعبير البورجوازية الجزائرية التي

---

121 - أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " مسار قلم " ، ص7 .

122- تأليف الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا، ط2، الجزائر،1982م.

لعبت دورا بارزا أثناء

الفترة الأولى للاحتلال .

"**منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية**"[123]

الكتاب " يعالج مشكل الإصلاح السلفي و الثورة على التصوف الخرافي، و يدخل في النقد الاجتماعي و الديني من بابه الواسع " [124]

"**رحلة ابن حمادوش الجزائري (لسان المقال)**"[125]

"**مختارا ت من الشعر العربي**"[126]

"**تاريخ العدواني**"[127]

"**رسالة الغريب إلى الحبيب**"[128]

وإضافة إلى ما ألفه من دواوين شعرية و كتب نثرية تُعنى بمختلف المجالات الفكرية ، فقد قام بترجمة العديد من البحوث و المؤلفات بعد أن أتقن اللّغات الأجنبية نذكر منها :

"**حياة الأمير عبد القادر**"[129]:

طبع كتاب تشرشل عن حياة الأمير عبد القادر عام 1867 ، و قد قام سعد الله بترجمته " لأن ترجمته تجمع إلى الحوادث السياسية و العسكرية عنصرا

123- تأليف عبدالكريم الفكون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
124- أبو القاسم سعد الله ، "قضايا شائكة " ، ص 102
125 - تأليف عبد الرزاق بن حمادوش،المكتبة الوطنية، الجزائر 1982م.
126-جمع المفتي أحمد بن عمار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2،1991م.
127- تأليف محمد بن عمر العدواني،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م
128- تأليف أحمدبن أبي عصيدة البجائي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.
129 - " TheredahkledbAfoefiL "تأليف هنري تشرشل CH.H. Churchill ط2، تونس1982 م.

هاما في حياة الأمير و هو الروح الدينية و المواقف الإنسانية و الاجتماعية ، و هي ثانيا تهتم بالبحث لذاته " [130]

"شعوب وقوميات" [131] ،"الجزائر وأوربا[132] ،"الجزائر في العهد العثماني "[133]

و إضافة إلى ما ألفه و حققه و ترجمه ، فقد قام بكتابة تصدير لكتب عدة ، نذكر منها:

"آثار الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي"[134]

" في قلب المعركة "[135]،" تحفة الأدب"[136] ، "تقديم قصيدة (يا شمس)"[137]، "دور المهجرين الجزائريين في بلادالشام"[138] ، "ذكريات المعتقلين"[139] ، "السيرة الذاتية للأميرعبد القادر الجزائري"[140] ، "الشّعر الجزائري وملحمة الثورة"[141] ، "مسائل قرآنية"[142]

و للإشارة فقد تم مؤخرا إعادة طبع أعمال الدكتور سعد الله من قبل وزارة المجاهدين ضمن برنامج الاحتفال بمرور خمسين سنة على ثورة التّحرير

---

[130] - المرجع السابق ، ص 8 .

[131] - Peoples and Nationalisms

[132] - تأليف جون ب. ولفJohn B.Wolf الجزائر، 1986م

[133] - "Algiers Under the Turks"

[134] - ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1997 م .

[135] - محمد البشير الإبراهيمي ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م .

[136] - محمد بن شنب، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، 1990م.

[137] - الشيخ التليلي، مجلة الثقافة، 88 يوليو – أغسطس 1985م.

[138] - سهيل الخالدي، بيروت، لبنان ، 1995م.

[139] - محمد الطاهرعزوي، باتنة ، الجزائر ، 1994م

[140] - تحقيق مجموعة من الأساتذة ،دار الأمة، الجزائر 1993م.

[141] - بلقاسم بن عبد الله، الجزائر 1988م.

[142] - الشيخ محمد الطاهر التليلي، المؤسسة الوطنية،الجزائر، 1986م.

" و قد وصل عددها إلى واحد وعشرين مجلدا تشتمل على واحد و ثلاثين كتابا في مختلف المجالات التاريخية الأدبية و المترجمات و الإبداعات ، وقضايا هامة تتعلق بالفكر الجزائري "[143]

و لكل من يريد أن يعرف المزيد عن سعد الله و أبحاثه، يجيبهم قائلا :
" أمّا أنا فأرغب أن يعرف النّاس عنّي أنّي مولود بدليل وجودي بينهم، وأنّني لم أوت من العلم والأدب إلّا قليلا وأن طموحاتي أبعد من خيالي وأنّ تأثراتي لا يحسّ بها غيري. وأنّ إنتاجي هو مرآة نفسي، فالّذي يريد أن يعرفني معرفة دقيقة عليه أن يغوص في إنتاجي، وأن لا يكتفي منه بالإطّلاع العابر والقراءة السّطحية"[144]

في نهاية المطاف نخلص إلى أنّ كاتبنا عالم تتوفّر فيه صفة العلميّة بأتمّ معنى الكلمة فهو أديب و شاعر و باحث و رحّالة و مؤرّخ و رجل من رجال الإصلاح الدّيني و الاجتماعي ، اشتهر بمواقفه العلميّة و الفكرية المعتدلة و بدفاعه عن الثوابت و القيم . إضافة إلى كونه من خرّيجي جامعات غربية تلقى فيها المنهجية العلمية وأبرز من خلالها إنتاجه الفكري الزّاخم، وأنه على درجة كبيرة من الانضباط والنّزاهة العلمية .

143 ـ أنظر ، بومدين بوزيد ، " رحلة المعرفة و الوطن " ، يومية الخبر الجزائرية
144ـ أبو القاسم سعد الله ، "حوارات " ، ص 189.

الفصل الثّاني:

فنّ الشّعر و النقد عند سعد الله

الفصل الثاني : فن الشّعر و النقد عند سعد الله

سنحاول في هذا الفصل تتبّع حركة الشعر الحر في الأدب الجزائري الحديث ، و إبراز إسهامات الدكتور سعد الله في هذا الفن مع دراسة لبعض الخصائص الفنية في شعره . كما سنحاول تتبع حركة النقد الأدبي الحديث في الجزائر ، مع ذكر بعض محاولات الدكتور سعد الله في هذا المجال .

أولا : الشّعر الحرّ عند سعد الله

1) حركة الشّعر الحر في الجزائر

ارتبط الشّعر العربي عامة و الجزائري خاصة بفكرة النّضال منذ حلول الغزو والاحتلال ببلادنا، فكانت تجربة المقاومة مستمرة بكل الوسائل المتاحة . ولما كان الشعر تجربة وجدانية مؤثرة فقد كان احد أسلحة هذه المقاومة و" معبرا عن مسيرتها، حتى إذا ما استطاعت الحركة الإصلاحية أن تكون اتجاها بارزا منذ الثلاثينات في الحركة الوطنية، كان الشعر صوتها المنافح، و أداتها المبلغة، "[1] لشحن الشعور بالعزة والكرامة وحمل النفوس الأبية على الثورة ضد الاحتلال وتحريضها على قتال الأعداء فامتزج ذلك الشعور الثوري بحب الوطن والتّمسك بالمقومات القومية والتغني بجمال الوطن وطبيعته الفاتنة.
وقد يكون الكاتب الشاعر و الصحفي القدير رمضان حمّود الّذي لمع نجمه في جزائر العشرينات من الرواد الذين نفثوا أنفاس الثورة العارمة في الشعر بعد حماسة الأمير عبد القادر، فكان قلم الكاتب رمضان حمود المشتعل في ميدان المفتلة الصحفية في مثل شعلة انفعاله في قصائده الشعرية للحث على الثورة

[1] ـ أنظر عبد الله الركيبي ، " قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر " ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ، 1970 م ، ص 147 .

وشحن الشعور القومي الوطني فيي قول في قصيدة بعث بها إلى صديقه أبي اليقظان عنوانها : " إليك أيها الرجل العظيم يقول فيها " [2]:

يَا رَافِعًا قَلَمًا لِلْحَقِّ تُشْهِرُه

جَزَاكَ رَبُّكَ مِنْ حَالٍ كَمُرْتَحَلِ

إِنَّ الشُّعُوبَ إِذَا بِالجَهْلِ قَدْ نُكِبَت

نَامَ الرَّئِيسُ وَ عَاشَ القَوْمُ فِي ذهل

وَ هَذِهِ أُمَّتِي فِي الجَهْلِ حَائِرَةَ

وَ إِنَّهَا فِي عَذَابٍ غَيْر محتمل

لَكَ الدِّعَايَةُ، فَالآذَانُ صَاغِيَةٌ

فأصْدَع بِحَقٍّ وَلاَ تَرْكُنْ إِلَى المَلَلِ

فَسِرْ ! وَدَعْ مَنْ خَسَّتْ مَقَاصِدُهُ

" فِي طَلِيعَة الشَّمْس مَا يُغــنِيكَ عَنْ زحل "

وَانْذِرْ، وَانْهَضْ بِلاَدًا سَاءَ مَوْقِفُهَا

بَيْنَ الأَنَامِ وَكَانَتْ قَبْلُ فِي القُلَلِ

وَانْفُخْ بِهَا قُوّةً تُشْفِي الغَلِيلَ بِهَا

وَ اصْرُخْ وَحَرِّضْ وَأَيْقِظْهَا مِنَ الكَسَلِ

شَرُّ البِلاَدِ بِلَادٌ خَافَ سَاكِنُهَا

مِنْ جَمْرَةِ الجُورِ أَوْ مِنْ فَتْكَةِ السَّفَلِ

[2] - وادي ميزاب ، ع 9 ، 26 – 11 - 1926 ، نقلا عن : محمد الهادي بوطارن ، " رمضان حمود شاعر التقليد و التجديد " ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 م ، ص 340.

فشاعرنا قد تحررت مشاعره تماما إذ حرّره شعره الّذي ارتفع بفضله فوق قهر الاحتلال ، وهو ما يشعر به كل مواطن جزائري في أعماق نفسه فأرواح الجزائريين الأحرار لا يستطيع الغزاة القبض عليها مهما اشتد قهرهم وبطشهم في ذلك الوقت.

هذا المعنى ذو المنزع الرّوحي التّحرري نجده مغروسا في تجربة شاعر جزائري آخر في ذلك العهد وهو محمد السعيد الزاهري الّذي تعلّقت همّته بتعلم العربية وتملّك ناصيتها حتّى صارت طيّعة على لسانه منذ حداثة سنه إذ يقول وهو بعد طالب بالزيتونة مخاطبا الجزائر وطنه المسلوب:

يَا للجَزَائِرِ ! مَنْ هَاضَهَا وَطَنًا حكما عليها، وكَانَتْ أُمَّةً وَسَطًا

لِمُلْكِهَا كَانَتِ الأَيَّامُ صَاغِرَةً أكانت اقسط ذاك الملكا أم قسطا

فَكَمْ مَمَالِكَ كَانَتْ تَحْتَ عِزَّتِهَا كَالبَازِي مُلِئَ رُعْبًا مِنْهُ سِرْبُ قَطَا

لَمْ تَعْتَلِقْ بِعَظِيمٍ قَطٌّ هِمَّتُنَا إلَّا أتْنينا، ولَسْنَا نَعْرِفُ القَنَطَا

ولا نكاد نصل إلى محمد العيد آل خليفة الّذي عُرف بشعره الاجتماعي والإصلاحي حتّى نجده هو الأخر قد شارك غيره من شعراء الجزائر هذا الإحساس بالثورة على المحتل الغاصب والدّعوة إلى مقاومته كما في قصيدته (الثامن ماي 1945) يقول فيها[3]:

فَيَا لَكَ مِنْ خَطْبٍ تَعَذَّرَ وَصْفُه فَلَمْ تَجْرِ أَقْلَامٌ بِهِ فَوْقَ قِرْطَاسِ

ولا خير في عد المَظَالِمَ وَحْدَهَا إِذَا لَمْ يَكُن عَن مُرْهَفَاتٍ وَ أَتْرَاسِ

سَئِمْنَا مِنْ الشَّكْوَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمٍ وَغَيْرِ مُحِقٍّ لَا يَدِينُ بِقِسْطَاسِ

[3] - محمد العيد آل خليفة ، " الديوان " ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1967 م ، ص 326

وهناك شعر كثير جدا نظمه الشعراء الجزائريون في جرائم المحتلين في الثامن ماي 1945 و هو شعر نحس فيه حرارة الوجدان وصدق التجربة إضافة إلى قوّة الصياغة اللّغوية وحسن اختيار الألفاظ المناسبة للصورة ممّا يعني انتعاش اللغة العربية واسترجاعها لمكانتها .

و لعل أبرز ملاحظة يسجلها الدارس للشعر الجزائري أنّه كان شعر" نضال

و مقاومة قبل أن تتّخذ الثورة الجزائرية شكلها المنظّم عام 1954، حيث عاش الشّعراء الثورة واقعا ملموسا بعد أن تنبئوا بها قبل اندلاعها بسنوات. و مع هذا الجيل ظهر جيل آخر من الشعراء انغمس في الثّورة، و عبّر عنها بأشكال فنّية مختلفة . و يبدو أنّ الشعر كان أكثر مسايرة لظروف الثّورة من الفنون الأدبية الأخرى ، نظرا إلى سهولة تداوله، و استعصائه على محاربة الرقابة الاستعمارية ، فضلا عن كونه خير معبّر عن لحظات الانفعال و الحماسة الّتي تصاحب مقاومة الشّعوب للمُستعمِرين الغزاة "[4]

و من الجانب الفني " وُجد مع الثورة تيّار الشعر الحر إلى جانب الشعر العمودي و انشأ الشعراء قصائد تعبر عن الواقع النّضالي في هذا القالب الجديد. و الواقع أن انطلاق الشعر الحرّ مع الثورة له مغزاه لأن الثّورة أساسا تهدف إلى التّغيير في بنية المجتمع ، تغير الواقع نحو الأفضل و الأروع، و التغيير بالطبع ينسحب على الأدب و الفن كما ينسحب على مجالات الحياة الأخرى و قد كانت الأحداث الجسيمة الّتي مرت بها الجزائر أثناء ثورتها كفيلة بدفع الشعراء إلى البحث عن طريقة تلاءم هذا الإيقاع الحديث للحياة و في الواقع اليومي المعاش مما يستدعي بعض التحرر من القوالب المألوفة و النماذج التقليدية، إلى جانب أنّ معظم الشعراء الّذين مارسوا كتابة هذا اللّون عاشوا و

[4] - أنظر ، غالي شكري ، " أدب المقاومة " ، ص 342 ، مصر ، 1970 م .

تعلموا في بلدان المشرق العربي اطّلعوا على النماذج الجيدة من شعر المشارقة، و منهم من جمع بين الطريقتين حسب الفكرة الّتي يعالجها و رؤيته الفنية " [5]

- **بدايات الشعر الحر في الجزائر :**

تعود الإرهاصات الأولى للشعر الحر في الجزائر– حسب بعض الدارسين – إلى أواخر العشرينات من القرن الماضي دون أن يحقق نضجا لأنها كانت مرحلة تجريب لا غير مع الشاعر المجدد رمضان حمود في قصيدته " يا قلبي"عام 1928 م والّتي زاوج فيها بين نظام الشطرين والنّظام الحرّ المقفى متأثرا في ذلك بمدرسة "أبولو" المشرقية ، " لكن المنية اختارته و هو في ريعان الشباب ، فحالت دونه و تطوير تجربته الشعرية [6] يقول في قصيدته [7]:

يَا قَلْبِي هَلْ لِأَوْصَابِكَ مِنْ طِيبٍ يُدَاوِيهَا

وَ هَلْ لِحُزْنِكَ مِنْ غَايَةٍ يَقِفُ فِيهَا

مَا هَذَا الشَّقَاءُ الَّذِي تَهُزُّ مِنْهُ جوَانِبكَ

وَ مَا هَذِهِ الكَآبَةُ الَّتِي تُرَافِقُكَ وَ تُجَانِبُكَ

أَمَا آنَ لِلسَّعَادَةِ أَنْ تُشْرِقَ فِي سمَاءِك

أما آن للبدر أن يسطع في سماءك

أما آن أن ينطق بالأفراح في دهرك الصموت

و قد جاءت " تجربة (حمود) هذه تتويجا لمقالاته النقدية في الشعر العربي بالدعوة إلى تجاوز الشكل المرتبط بالوزن و القافية إلى القيمة الحقيقية في الفن

[5] - عبد الله الركيبي ، " الشعر في زمن الحرية " ، ص 75

[6] - عبد المالك مرتاض ، " آدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 – 1962 " ، الجزء 1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 م ، ص 24

[7] - صالح خرفي ، " حمود رمضان "، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1985 م .،

، و هو الصدق في الإحساس و التعبير الفني " [8] فجاءت قصائده " متعددة الأوزان متغيرة القوافي ، بل إنها تشتمل على مقاطع لا يمكن أن تخضع لبحر معين من البحور الخليلية المعروفة "[9] ، " و لن يقلل من أهمية دعوة رمضان حمود في هذا المجال كونها جاءت متفردة ، فكل البدايات الإبداعية تجيء كذلك ، و لا لكون صاحبها لم يستطع أن يشفع نظرياته بنماذج شعرية موفقة فإن غيره من رواد التجديد من أمثال العقاد و أحمد زكي و أبي شادي لم يستطيعوا التوفيق بين النظرية و التطبيق " [10]

ومع منتصف القرن العشرين شرع عدد من الطلاب الجزائريين بالمشرق أمثال أبي القاسم سعد الله وأبي القاسم خمار ومحمد الصالح باوية وغيرهم في نظم القصائد على قالب الشعر الحر تأثرا بما كانوا يقرؤونه منشورا في الصحف المشرقية وقد قال سعد الله الّذي عده بعضهم رائد الشعراء الجزائريين في ذلك:

" كنت أتابع الشعر الجزائري منذ 1947باحثا فيه عن نفحات جديدة وتشكيلات تواكب الذوق الحديث، ولكني لم أجد سوى صنم ركع أمامه كل الشعراء بنغم واحد وصلاة واحدة ..غير أن اتصالي بالإنتاج القادم من المشرق ولاسيما لبنان واطلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية والنظريات النقدية حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر"[11].

يرى عمر بن قينة أنّ" التجربة التجديدية الناضجة في شكل القصيدة الجزائرية قد بدأت على يد الشاعر أبو القاسم سعد الله"[12] و لعل أول محاولة مقبولة له

[8] - عمر بن قينة ، " في الأدب الجزائري الحديث " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 77 .
[9] - محمد ناصر ، " الشعر الجزائري الحديث " ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1985 م ، ص 150 .
[10] - المرجع نفسه ، ص 150 .
[11] - أبو القاسم سعد الله ، " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " ، ص : 47 ،48 .
[12] - عمر بن قينة ، " في الأدب الجزائري الحديث " ، ص 78 .

كانت عام 1955 في قصيدة " طريقي "[13]الّتي قيلت في حرب التحرير ونظمها سعد الله يقول فيها[14]:

يَا رَفِيقِي
لَا تَلُمْنِي عَنْ مُرُوقِي
فَقَد اخْتَرْتُ طَرِيقِي
وَ طَرِيقِي كَالحَيَاة
شَائِكُ الأَهْدَافِ مَجْهُولُ السِّمَات
عَاصِفُ التَّيَّارِ وَحْشِيٌّ النِّضَال
صَاخِبُ الأَنَّاتِ ،عِرْبِيدُ الخَيَال
كُلٌّ مَا فِيهِ جِرَاحَاتٌ تَسِيل
وَ ظَلَامٌ وَ شَكْوَى وَ وُحُول
تَتَرآ كَطُيُوف
مِنْ حُتُوف
فِي طَرِيقِي
يَا رَفِيقِي

لقد عرف الشّاعر عندئذ طريقه ... "طريق كل ثائر يدرك ما تنتظره منه الجموع و ما تهمس به شفاه الشعب الذبيح ، و سار في طريقه لا يأبه لأولئك المتخاذلين " [15]و هو يؤمن باعتبار الشعر قصة شعور بالحرف حين يبلغ

[13]- نشرت في " البصائر " بتاريخ 25 مارس 1955 عدد 311 و تضمنها أيضا ديوانه " ثائر و حب " و " الزمن الأخضر " .
[14]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 141 .
[15] - دودو أبو العيد ، "كتب و شخصيات " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971 م ، ص 104 .

الشعور " درجة الانفعال العاطفي ... في لحظة تأزم حاد ... فقد تكون لوعة حب أو شعلة ثورة أو اختناقة يأس " [16]

و يقول صالح خرفي تعقيبا على مقدمة سعد الله و قصائده : " فإنّ الظّاهرة الّتي يمكننا إقرارها بعفوية و بساطة ، و باستغناء تام عن اجتهاد الفكر ، هو أنّ الأخ سعد الله يأتي في مقدّمة الشعراء الجزائريين تجديدا في الفكرة و الأسلوب " ثم يضيف قائلا " ... و للنّاقد أن يستدرك بأن التحرر من الوزن و القافية و القوالب القديمة ، و هي بعض جوانب التّجديد عند سعد الله ، كانت منطلق الثورة عند "رمضان حمود " من نصف قرن "[17] و يضيف خرفي مركزا على سرعة انتشار المدرسة الحرّة في الشّعر إذ يقول : " و يبرز سعد الله في أواسط هذا القرن ليختصر المسافة و يضرف صفحا عن الفكرة دراسة ، إلى الفكرة تطبيقا "[18]

إنّ الانطباع التّحرري الّذي يميز شخصيته، والتمرّد الغالب على ميوله قد جعله يعلن في جرأة وشجاعة مناوئة التّقليد، فهو القائل:" إنّ التّمرد [19] ضرورة للخلق الفني، ونعتقد أنه لكي يكون الأدب العربي أدبا خلاّقا يجب أن يكون أصحابه مستقلين في مواقفهم وأحكامهم"[20].

و تأتي ريادة سعد الله على أساس تاريخ نشر قصيدته (طريقي) و لكن الدكتور عبد الله الركيبي، في دراسته عن الشاعر الرومانسي جلواح، " ذكر أنّ أحمد الغوالمي كتب قصيدته (أنين و رجيع) قبل أسبوعين من النموذج المنشور لأبي القاسم سعد الله في البصائر،و يبدو أن الدكتور ركيبي لم يلتفت

[16]- أبو القاسم سعد الله ، " ثائر و حب " ، ص 05 .
[17] صالح خرفي " صفحات من الجزائر " ، ص 237
[18] المرجع نفسه ، ص ، 238
[19]- يعني بالتمرد هنا الخروج عن الشكل الذي عرفته القصيدة العربية التقليدية ، لأن هؤلاء الشعراء لم يعرفوا التمرد المتافيزيقي في صيغته الغربية الوجودية .
[20]- أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب والرحلة "، ص 33 .

إلى قصيدة سعد الله التي كانت بعنوان (طريقي) ، و التي نشرت بالبصائر عدد (311 في 25 مارس 1955، أي قبل قصيدة الغوالمي بحوالي شهر، إذ أن قصيدة (أنين و رجيع) نشرت في العدد (315) بتاريخ 22 أفريل 1955 من البصائر نفسها. و مما تجدر الإشارة إليه ، أن هناك قصائد حرة نشرت بعد الاستقلال ، تشير تواريخها إلى أنها كتبت في عام 1953 للشاعر محمد الأخضر

عبد القادر السائحي (من ديوان ألوان من الجزائر ص 13) و هي و إن كانت أقرب إلى الشعر العمودي منها إلى الشعر الحر ، إلا أنها تعتبر نموذجا متطورا – إن صح تاريخها – بالنسبة إلى تلك الفترة، كما أن هناك قصيدة بعنوان (الموتورة)[21] لأبي القاسم خمار مؤرخة في عام 1954 ، و قد ذكر الشاعر أنه نشرها في الشام عام 1954، و لكنه لم يتذكر اسم المجلة الآن) "[22]

يقول أبو القاسم خمار في قصيدته (الموتورة) التي يعتبرها أول عمل له في الشعر الحر [23]:

كَحَبْلِ الوَرِيد
قَرِيبٌ...بَعِيد ..
هُنَالِكَ مِن خَيْمَةٍ نَازِحَة
إِلَى جَانِبِ القَرْيَةِ النَّائِحَة
هُنَالِكَ خَلْفَ القُبُورِ العُرَاة
وَ بَيْنَ المَآسِي وَ لَفْحِ السَّرَاب

21 - أبو القاسم خمار ، " أوراق " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1967 ، ص 117 .
22 - شلتاغ عبود شراد ، " حركة الشعر الحر في الجزائر " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م،ص : 70 ،71 .
23 - " أوراق " ، ص 117 .

بَدَت عَائِدة
بِقَبْضَتِهَا كَمْشَةٌ مِنْ تُرَاب
تُزَاحِمُهَا صَخْرَةٌ صَامِدَة
وَ قَدْ هَتَفَتْ بِبَرِيقٍ عَجِيب
كَلَوْنِ اللَّهِيب
كَلَحْنِ الأَمَلْ .

هذا مع العلم بـــ " أنّ التاريخ لا يبدأ بقطعة أو محاولة، و لكنه يبدأ بحركة أو تيّار . و لا شكّ أنّ ما يراه بعض الباحثين هو الأوّل ، قد يجد باحث آخر من سبقه في محاولات أخرى. أما إذا كان التاريخ بحركة أو تيار ، فإن الرأي يظل دائما سليما ، حتى و لو اكتشفت بعض المحاولات المعزولة." [24]

وهكذا نلاحظ أنّ بذرة النزوع إلى التجديد في الشعر ألقاها (رمضان حمود) في 1928 م ، أمّا البداية الجادة فكانت في الخمسينات ، و رغم اختلاف الآراء و تعدد الأقوال في أولّ نصّ من الشّعر الحر ظهر في الشعر الجزائري فإن الثّابت كما يقول الدكتور محمد ناصر " هو أنّ الشاعر الجزائري الوحيد الّذي اتجه إلى هذا الشعر عن وعي و اقتدار و حاول التجديد في الإشكالية الموسيقية للقصيدة و في بنيتها التعبيرية هو أبو القاسم سعد الله . في حين ظلّت محاولات الشعراء الآخرين من أمثال محمد الأخضر عبد القادر السائحي ، و الطاهر بوشوشي ، و الغوالمي[25] وأبو القاسم خمار متسمة بالتّذبذب و التردد" [26]

إذن ، يمكن للباحث في الأدب الجزائري أن يخلص إلى نتيجة مفادها أنّ بداية الخمسينات إلى مطلع الستينات كانت فترة حافلة بالانجازات الأدبية "... و لكننا

---

[24] - (من رسالة للدكتور أبي القاسم سعد الله) ، نقلا عن ، شلتاغ عبود شراد ،" حركة الشعر الحر في الجزائر " ، ص 71 .

[25] - لقد تنكّر أحمد الغوالمي للشعر الحر فيما بعد " حين كتب مقالته الشهيرة " رشحات على الشعر الحافي ، الخالي من العروض و القوافي " و التي نشرها في جريدة النصر، قسنطينة (أبريل 1973) ، أنظر ، عبد المالك مرتاض ، " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 – 1962 ص 24

[26] - محمد ناصر ، " الشعر الجزائري الحديث " ، ص 151 .

يجب أن نشير إلى أنّ الفترة ما بين 1962-1968 كانت فترة صمت و خمول بالنسبة للشعر الحر، بل و الحركة الأدبية عامة . ... لكنّ المراقب للحركة الأدبية في هذه الفترة يلاحظ أن هؤلاء الشعراء انسحبوا من الساحة الأدبية، أو كادوا، فانقطع أبو القاسم سعد الله عن كتابة الشعر، و كان باستطاعته أن يضيف جديدا لو استمر ، لأن قصائده الّتي كتبها بين عام 1959-1960 ، مثل: صورة ، الحزن، شيء لا يباح تشير إلى تطوّر واضح بالنسبة إلى قصائد السنوات السابقة."[27]

2) التجربة الشعرية عند سعد الله

لقد "ارتبطت نشأة الشعر بمرحلة من مراحل نمو اللّغة لدى الإنسان "[28] و "اللغة في حد ذاتها عبارة عن أصوات ذات دلالة "[29] و هي تعبير عن الأهداف السامية التي يدور في فلكها العقل البشري متأملا حقائق الكون أو متطلعا إلى اكتناه أسراره أو معبرا عن علاقات جمالية أو نفسية دقيقة "[30]

و " مجال الشعر هو الشعور ، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس ، أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون ، أو مشكلة من مشكلات المجتمع ، تتراءى من ثنايا شعوره و إحساسه ... و لا نقصد من ذلك إلى القول بأن الشاعر في عمله الفني يكون ثائر الشعور ، بل إلى أنه يثير في القارئ الشعور بالوسائل الفنية في الصياغة ، و ذلك بتأليف أصوات موسيقية ، تضيف موسيقاها إلى قوة التصوير ، فتتراسل بها المشاعر ."[31]

---

[27] - شلتاغ عبود شراد ،" حركة الشعر الحر في الجزائر " ، ص 77 .
[28] - محمد غنيمي هلال " النقد الأدبي الحديث " ، ط 4 ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، 1982 م ،ص 361 .
[29] عبد الصبور شاهين ، " في علم اللغة العام " ، مؤسسة الرسالة ، ط 4 ، بيروت ، 1984 م ، ص 102 .
[30] المرجع السابق ، ص 27 .
[31] - محمد غنيمي هلال " النقد الأدبي الحديث " ، ص 376 .

وللشاعر كما – لسائر عباد الله – عينا ترى، وأذنا تسمع، " لكن الشاعر – دون سائر عباد الله – ينتقل من المرئي والمسموع إلى رحاب نفسه ليجد هنالك وراء ذلك المحسوس الجزئي المقيد بزمانه ومكانه، عالما من صور أبدية خالدة، لا تقتصر حقائقها على زمان بعينه ومكان بعينه......ومن هنا كان الشعر هو الذي يضفي على الحياة وقائع معناها، لأنه يطويها تحت نماذجها التي تفسرها وتفصح عن كوامنها"[32].

" فلئن قيل إنّ الشاعر الحق يصوّر الحياة، فليس التصوير المقصود هنا هو تصوير المرآة للواقف أمامها، بل هو تصوير المثال الثابت للجزئية الطارئة، فالأول يفسر الثانية ويوضحها، ولولاه لظلت الجزئية العابرة واقعة صماء خرساء لا تجد اللسان الّذي يعبّر عمّا انطوى في دخيلتها"[33].

ولعل هذا ما أراده العقاد حين قال[34]:

وَالشِّعرُ أَلْسِنَةٌ تُفْضِي الحَيَاةُ بِهَا ... إِلَى الحَيَاةِ بِمَا يَطْوِيهِ كِتْمَان

لَوْلَا القريض لَكَانَتْ وَهِيَ فَاتِنَةٌ ... خَرْسَاء لَيْسَ لَهَا بِالقَوْلِ تِبْيَان

مَا دَامَ فِي الكَوْنِ رُكْنٌ لِلحَيَاةِ يُرَى ... فَفِي صَحَائِفِهِ للشِّعْرِ دِيوَان

إذن ف "التّجربة الشعرية هي تلك الصورة الكاملة أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي. وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم، بل إنه

[32]- زكي نجيب محمود، " مع الشّعراء "، دار الشروق، ط3، القاهرة، 1982م ، ص5.

[33]- المرجع نفسه ، ص5.

[34]- عباس محمود العقاد، " ديوان العقاد" ، منشورات المكتبة العصرية ، المجلد 1 – 6 ، بيروت ، لبنان .

ليغذي شاعريته بجميع الأفكار النبيلة، ودواعي الإيثار التي تتبعث عن الدوافع المقدسة، وأصول المروءة النبيلة وتشف عن جمال الطبيعة والنفس"[35].

" والشاعر يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي، سواء كانت تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو، أم عن موقف إنساني عام تمثله، ولذا كان في طبيعة التجربة والتعبير عنها ما يحمل الجمهور على تتبعها، لأنه يتوقع أن يرى فيها ما يتجاوب وطبيعة التجربة التي جعلها الشاعر موضع خواطره ليجلو صورتها ... والشاعر على صلة بالحقائق النفسية والكونية التي تلهمه في تجربته، ولكل تجربة شعرية عناصر مختلفة من فكرية وخيالية وعاطفية، وهذه العناصر في ذاتها – كل عنصر على حدة – لا يتألف منها شعر، إذ أنها، والحالة هذه، نثرية في طبيعتها، ولكن الشاعر يتخذ منها مواد تصويره، إذ يستعين بها على جلاء صورة تتوافر لها قوة الإيحاء والتعبير، بحيث لا يقوى النثر على أدائها. ولهذا كان لكل تجربة شعرية، ثم العملية الشعرية تكرار الوزن والنغمة والقافية والحركة الموسيقية، مع مزاوجتها بتلك الأفكار والخيالات والعواطف...والتجربة الشعرية أيضا إفضاء بذات النفس، بالحقيقة كما هي في خواطر الشاعر وتفكيره، وفي إخلاص يشبه إخلاص الصوفي لعقيدته، ويتطلب هذا تركيز قواه وانتباهه في تجربته. فلا يعد من التجارب الصادقة في شيء شعر المناسبات، لأنه لا يعتمد على صدق الشاعر، ولأنه يجعل من الشعر مهنة أو دعاية، عمادها خلق مشاعر لمجاراة شعور الآخرين، وليس من شأن هذا الشعر أن ينهض بالفن، أو يكشف عن أغوار القلب الإنساني. ولم يصدر التجارب الشعرية العالية الخالدة إلا عن تجارب عاش لها أصحابها، وغاصوا في أعماق أنفسهم يتأملون، ويتجلون المشاعر والحقائق، فجاءت صورا نفسية عميقة."[36]

[35] - محمد غنيمي هلال ، " النقد الأدبي الحديث " ، ص 383 .
[36] - محمد غنيمي هلال ، " النقد الأدبي الحديث " ، ص : 384 ، 385 .

إذن ، فالإحساس بصدق الشّاعر لا يتمّ إلاّ إذا اهتزّ المُتلقي و تفاعل مع ما يشدو به الشاعر " فالتعبير الشعري إذا كان يصل إلينا من خلال الانطباع الذاتي أو المعاناة الشخصية للأديب فإنّ هذا الانطباع أو تلك المعاناة تتم في إطار التّجربة الّتي يعيشها و يمارسها المجتمع الّذي يوجد فيه الشاعر "[37]

فإذا كانت هذه أهم السمات الّتي تميز التّجربة الشعرية عند الشّاعر الحق ، فإلى أي حد وفّق سعد الله في إبراز ملكاته الشعرية ؟

يحدثنا أبو القاسم سعد الله عن أولى محاولاته في نظم الشعر فيقول : " أذكر أنّ أولى محاولة لي في الشعر المكتوب كان في ظل النخيل بمسقط رأسي المسمى (البدوع)....... و كان ذلك في الصيف الأول من رجوعي من تونس أثناء العطلة (سنة 1948)...أمّا في تونس فأذكر أنّ شابا تونسيا كان يجلس إلى جانبي في حلقة الدرس (الطريقة) ، و هو ابن حميدة. و كان ينافسني في مادة الأدب إلى حدّ بعيد. و كان شيخنا علي الأصرم يقدمني عليه أحيانا، و أذكر أنه قال لي مرة بصوت عال على ملأ من جميع الطلاب " إنني فخور بك يا سعد" . و قد بقيت هذه العبارة ترن في أذني إلى اليوم. و كان ذلك على إثر تسليمنا لموضوع الإنشاء الأدبي. كما كان الشيخ مصطفى المؤدب يقدمني و يشجعني ... و كان الأخ ابن حميدة شاعرا بالطبع و كان يحب الشابي و مدرسته، فكنا نجلس بين الدروس نتساجل . و أذكر أنه كان يأتي بمقطوعات كاملة للشابي و ينسبها لنفسه ، فأحس بالحرج، لأنّ شعري لم يبلغ مستوى شعر الشابي . فكان ذلك تحديا كبيرا لي. ومع ذلك فإنني لا أذكر الآن أنّ هناك شاعرا معينا كنت أقرأ له – بما في ذلك الشابي – باستثناء الشعراء المقررين علينا في البرنامج الأدبي. و أول ما رأيت من آثار الشابي هو (الشابي : حياته –

---

[37] - أحمد الصاوي ، " مفهوم الجمال في النقد الأدبي : أصوله و تطوره ، 1984 م ، ص 286

شعره)[38] الّذي نشره أبو القاسم كرو في المشرق حوالي سنة 1951. و كنت إذ ذاك قد تقدمت في قرض الشعر. "[39]

ثم يتحدث عن أسباب تأثره بالمذهب الرومانسي فيقول : " و لعلّ الّذي أدخلني إلى الاتجاه الرّومانسي – بالإضافة إلى البيئة ... أنّني كنت أحب الخلوة والانزواء بالطبع . و منذ تفتّقت موهبتي الأدبية – أي ابتداء من سنة 1948 على ما أذكر، كنت أقصد ، أيام آخر الأسبوع ، جبلا صغيرا يطلّ على تونس يسمى الرابطة، متأبّطا مجموعة من الكتب و الأوراق، و أجلس هناك الساعات الطوال، أطالع

وأنظم و أفكر دون أن أحس بالجوع أو العطش، و دون أن أحمل معي أي زاد غذائي من الصباح إلى المساء . فكنت أجلس تحت الأشجار الباسقة و فوق العشب النّدي في ذلك المكان المنعزل، الخالي من المارة و الضجيج، فلا تسمع فيه سوى تنفس الطبيعة و زقزقة الطيور و حفيف الأشجار. فإذا سرحت ببصرك فإنك لا ترى سوى مدينة تونس بقبابها البيضاء أو السبخة الممتدة من الأفق ... أما الأمر الآخر فهو أن بعض الطلاب كانوا عندئذ مولعين بحفظ قصيدة الطلاسم لإيليا أبي ماضي . و كان ما في هذه القصيدة من شك و تردد حول مصير الإنسان يتلاءم مع مرحلة الشباب المتحفز الذي لا يرى في الوجود سوى تقاليد بالية و أحكام تعسفية و مناهج تربوية عقيمة. فنغمة تلك القصيدة ، و إن كانت فلسفية، صادفت هوى الثورة و الجموح عن الحاضر المريض الذي كان يعيشه الشاب عموما، و خصوصا الشباب الجزائري المحروم من كل شيء. و قد قرأت هذه القصيدة و حفظتها . كما قرأت لجبران خليل جبران كل

---

38 - يعد أبا القاسم الشابي أحد أبرز الأصوات الشاعرة المجددة في النصف الأول من القرن العشرين فقد " كان مجددا جريئا ، و بناء قديرا ، يملك سلاح التجديد ، و يبني لنفسه ، و لأمته حياة جديدة ..." أنظر ، أبو القاسم محمد كرو ، الشابي : حياته و شعره ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984 م ، ص 83

39 - أبو القاسم سعد الله ، " أفكار جامحة " ، ص : 182 ، 183 .

كتبه تقريبا. ثم توالت اهتماماتي بالشعر المهجري و بشعر مدرسة أبوللو [40] ، خصوصا شعر أحمد زكي أبو شادي ، و تابعت معركة القديم و الجديد في مصر على صفحات (الرسالة) و (الثقافة) و غيرهما، و رغم صعوبة أسلوب مصطفى صادق الرافعي فإنني طالعت كل كتبه و كررت مطالعة كتبه الذاتية مثل السحاب الأحمر ، و أوراق الورد، و رسائل الأحزان. أما من الشعراء القدماء فالشاعر الذي استحوذ علي هو المتنبي حتى كدت أحفظ ديوانه جميعا. "[41]

ثم يعبر عن موقفه من الشعر الحر باعتباره حركة جديدة و دعوة إلى مناوأة القديم فيقول : " في اعتقادي أن إنتاج المرء هو جزء منه و صورة له. و هذا يعني أنّ الشعر الحر هو جزء و صورة للذين أنتجوه، كما أن الشعر المحافظ أو التقليدي هو جزء و صورة من أصحابه. إن الشعر الحر في نظري هو تعبير عن تمرد أصحابه و تحررهم من المفاهيم السائدة ليس في الشعر و حسب، و لكن في مختلف أوجه الحياة. إنّه جزء من ثورة أو شكل من أشكال الثورة. صحيح إن بعض من مارسوا الشعر الحر لم يبلغوا الشأو أو الهدف، و لكن بدايتهم كانت انطلاقا من تمردهم و ثورتهم، و كما أنّ الثورة و الرفض و التمرد درجات فكذلك الشعر الحر. و على فرض أن بعض من أنتجوا الشعر الحر كانوا مقلدين لشعراء غربيين فإنّ التقليد الرامي إلى الخروج عن المألوف يعتبر في حد ذاته مظهرا من مظاهر (أو درجة من درجات) الثورة و الرفض و التمرد على الواقع."[42]

و عن أهم المؤثرات و الحوافز التي كان لها دور في اهتمامه بالشعر الحر يقول " و أمام البيئة التي وصفتها و الاضطهاد السياسي و الاقتصادي و

[40] - أنظر ، عبد العزيز الدسوقي ، " جماعة أبوللو " ، معهد البحوث و الدراسات العربية العليا ، القاهرة ، مصر ، 1960

[41] - أبو القاسم سعد الله ، " أفكار جامحة " ، ص 184 .

[42] - المرجع نفسه ، ص 185

الجمود الاجتماعي والديني الذي كنا نعيشه في الأربعينات و الخمسينات، كانت النفوس مستعدة للثورة و الرفض و التمرد- و أنا أتحدث هنا عن ميدان الأدب و ليس السياسة. فإلى جانب الإعجاب بالمتمردين والمتميزين أمثال جبران و الرافعي (رغم أن الأخير محسوب على المحافظين فإنه في أدبه الذاتي كان منفصلا عنهم) و الشابي و حتى المتنبي – قلت إلى جانب الإعجاب بهؤلاء و أضرابهم ظهرت مجلة (الآداب) البيروتية و جاءتنا إلى تونس فأقبلت على قراءتها والمثابرة على شرائها. و المعروف أنّ هذه المجلة قد احتضنت قضيتين هامتين: الأولى الشعر الحر، و الثانية الترجمة عن الآداب الأجنبية، و لا سما الأدب الفرنسي (خصوصا مدرسة سارتر الوجودية). و ما دام الحديث عن الشعر الحر فأذكر أن " مدرسة الآداب" هي التي تابعتها، و لكني لا أستطيع أن أحدد هنا شاعرا بعينه من هذه المدرسة. و لعل شعر نزار قباني قد وجد لدي هوى خاصا في تلك المرحلة."[43]

غير أن هناك عاملا هاما في اختياره للشعر أثناء وجوده بتونس، فقد شارك في تأسيس رابطة رفقة بعض الشباب ، وكان هدفها الأساسي الاهتمام بقضايا الأدب ، يقول :" لقد اجتمع عدد من الأدباء الشبان، معظمهم تونسيون و معهم بعض الجزائريين ومنهم أنا ، و ألفنا رابطة أطلقنا عليها (رابطة القلم الجديد) . و لا أذكر الآن من أعضائها سوى الشاذلي زوكار و ابن حميدة و منور صمادح. و ليس لهذه الرابطة قانون أساسي و لا مقر رسمي و إنما هي صحبة الأدب و الشعر و اجتماع الظرف و الألفة. فكنا أحيانا نجتمع في بيت أحدنا بمدرسة داخلية أحيانا في الهواء الطلق و أحيانا في مقهى. و كان الحديث دائما عن الإنتاج الأدبي لنا أو لغيرنا و ما نشرته المجلات و الجرائد في هذا الميدان و قراءة أشعارنا على بعضنا. و جميع هؤلاء كانوا – كما يدل اسم الرابطة-

[43] أبو القاسم سعد الله " أفكار جامحة " ، ص 186 .

متمردين إلى حد ما ، شاعرين بالكبت الاجتماعي و السياسي و الأدبي. و قد ظهرت عندئذ بعض المجلات الجديدة كالندوة و الفكر والمعارف، و أذكر أنني نشرت في المجلة الأخيرة و في (البصائر) الجزائرية و (الآداب) البيروتية و غيرهما بعض شعري بإمضائي المرفق بعبرة (رابطة القلم الجديد) ."[44]

و رغم انقطاعه بعد عودته إلى الجزائر (1954) عن النشاط الأدبي الذي اعتاده في تونس و خصوصا علاقته بإخوان الأدب في (رابطة القلم الجديد) و بمجلة الآداب (التي لم تكن تأتي إلى الجزائر عندئذ) و رغم شعور ه بالضيق الشديد من جراء ذلك ، فإنّ علاقته بالشعر الحر ظلت وثيقة ، فيقول : " و قد نظمت و نشرت بعضه مثل (أنشودة المزارع و الحقول) و (طريقي) ، و بقي بعضه لم ينشر. و معظمه نظمته أثناء التدريس بالحراش ثم في العين الباردة سنة 1954 –1955، و خلال ذلك لم أنقطع أيضا عن الشعر المتحرر من القافية"[45] ثم يوضح تلك العلاقة التي تربط بين روح الشعر الحر و شكله فيقول : " و لا بد أن يربط الدارس بين روح و شكل هذا الشعر.. فبقدر ما كان هذا الشعر متحررا من القافية و الوزن و غير ذلك من أشكال التحرر بقدر ما كانت روحه أيضا متحررة رافضة للوجود الاستعماري و التخلف العقلي و الجمود الأدبي الّذي كان يجتره أدباء الجزائر المتقدمون عن زمن الثورة المسلحة (باستثناء بعضهم طبعا) . وهنا وجب الربط بين الشعر و الشاعر، و بين الشعر الحر و الرفض السياسي و الاجتماعي و الأدبي. "[46]

واستمر نظمه للشعر الحر بعد ذهابه إلى مصر ، يقول : " و منذ حلولي بالقاهرة في خريف 1955 توثــقت صلتي بمدرسة الشعر الحر عن طريقين طريق قديم و هو مواظبتي على قراءة مجلة الآداب و النشر فيها و التفاعل مع

---

[44] - المصدر السابق ، ص 185 ، 186 .

[45]- أبو القاسم سعد الله " أفكار جامحة " ، ص 186 .

[46] - المصدر نفسه ، ص 187 .

مدرستها، و الثاني ربط علاقة مع شعراء مصر المتمردين عندئذ أمثال أحمد عبد المعطي حجازي و صلاح عبد الصبور و عبد الرحمان الخميسي و نحوهم، بالإضافة نقاد حديثين أمثال محمود أمين العالم و رجاء النقاش و غالي شكري. و كنت ألتقي مع هؤلاء أحيانا في دور الصحف أو في الندوات و المهرجانات الأدبية. و رغم أن كلية دار العلوم، التي درست فيها، تمتاز بأنها تقدمية بالنسبة للأزهر و رجعية بالنسبة لأقسام الأدب في جامعتي القاهرة و عين شمس، فإنها كانت تضم بعض الشعراء الشبان المتمردين على أوضاع الكلية التي تبدو في نظرهم متخلفة و على بعض أساتذتهم المتزمتين، و أذكر أن من بين هؤلاء الشبان فاروق شوشة و إسماعيل الصيفي. و كان الأخير يقود ندوة أسبوعية في الكلية يلقي فيها الشبان أشعارهم الحرة المعبر عنها أحيانا بالأشعار السيمفونية. و كنت أشترك معهم في هذه الندوة. "[47]

و خلاصة القول أنّ نظم الشعر عند سعد الله بدأ في مرحلة مبكرة من حياته ، فتأثره بإنتاج الشعراء آنذاك ، و اطلاعه على كل ما هو جديد في مجال الأدب مكنه من ابراز تجربة شعرية عكست مدى ارتبلطها بالثورة الذاتية و الثورة الوطنية، كما صادفت تطور الأوضاع في البلاد العربية، هذا اضافة إلى كونها تجربة ثرية ، فقد تجلت فيها العديد من الرؤى الوطنية و الجمالية

3)دراسة بعض السمات الفنية في شعر سعد الله

[47] - أبو القاسم سعد الله ، " أفكار جامحة " ، ص 187

سنحاول من خلال هذه الفقرة تسليط الضوء على بعض السمات الفنية الّتي وظفها سعد الله في قصائده ، و ذلك عبر دراستنا لقضايا المعجم اللغوي الشعري و الصورة الشعرية و الموسيقى و الرمز .

1)المعجم اللغوي الشعري :

لقد قيل بأن " الأدب تعبير عن الحياة أداته اللغة " [48] ، وبهذا " تكون اللغة هي الظاهرة الأولى الّتي يجب على الدارس أن يقف عندها في حديثه عن القضايا الفنية في الشعر "[49] لأنّ اللّغة لا تنقل المعاني ، بل توحي بها ، و ذلك " من خلال الطاقات الموسيقية و التصويرية الّتي يمنحها لها الشاعر الموهوب . و على هذا الأساس ، فاللغة تحيى و تنمو ، و تعبر عن ذاتها على لسان الشاعر " [50]

فهي إذن " وسيلة الشاعر و أدواته الوحيدة لإيصال انفعاله إلى المتلقي " [51]
و لذلك فإنّ الحُكم على تجربة الشاعر يعتمد أوّلا على مدى قدرته على توظيف اللغة وتفجر طاقاتها و إمكاناتها لنقل انفعالاته الشعورية .
و لعل أول ما يمكن الالتفات إليه في اللغة الشعرية هي تلك المفردات التي يلتقطها الشاعر من مخزون ذاكرته لينظم من خلالها تعبيرا عن لحظة شعورية مر بهـــا .

و لعل أبرز شيء يلاحظه الباحث و هو يتصفح دواوين أبي القاسم سعد الله هو استخدامه للغة موحية تعتمد أساسا على التصوير ، ذلك لأنه على وعي بالاختلاف بين لغة الشعر و لغة النثر . كما تتميز بكونها لغة هامسة و مجازية

---
48 - عز الدين اسماعيل ، " الأدب و فنونه " ، ص 30 .
49 - شلتاغ عبود شراد ، " حركة الشعر الحر في الجزائر " ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م ، ص 136 .
50 - المرجع نفسه ، ص 136 .
51 - علي جعفر العلاق ، " في حداثة النص الشعري " ، دار الشروق للنشر ، عمان ، 2003 م ، ص 23

أخرجت الألفاظ من إطارها التقليدي المباشر و التقريري الجاف ، كما كان الحال عند الشعراء المحافظين . إضافة إلى أنّه كان يراعي في اللغة ألّتي يوظفها وجدانه و مطالب نفسه ، فكانت الألفاظ تنبع من فؤاده لتعبر عن تجربة شعرية خالصة ، و لأنّ سعد الله عاش فترة من الزمن بعيدا عن وطنه الأم – و قد صادفت المرحلة الّتي كان ينظم فيها الشعر – فقد استعمل مفردات تعكس حالته النفسية فقد كان يعيش في غربة كما كان يحنّ إلى وطنه و أهله . ونستشف ذلك من قوله :

حَائِرٌ ظَلَّ عَنِ الصّبْحِ طَرِيقَهْ
وَ شِعَارِي ذَابَ فِي نَارِ المَسَاءْ
و المَلاَيِينُ الّتِي مِثْلَ هَبَاءْ

ثم نجده يبحث عن وطن الأحلام الّذي ترتاح إليه نفسه المحرومة من وطنها المادي، فهو " المتمرد الجموح الثائر"[52] الّذي يتطلع إلى أفاق الحياة، ولكنه غالبا ما يفشل، فكان شأنه في ذلك روافد جماعة أبوللو –كما ينعتهم محمد مندور –

" إذ اتخذوا من الشعر تنفيسا وتعويضا عما تنزع إليه أرواحهم دون أن يستطيعوا تحقيقه"[53]. يقول أبو القاسم سعد الله[54]:

وَظَلَّتْ حَيَاتِي تَجُوسُ الرِّمَم
وَتَبْحَثُ عَنْ أَصْلِهَا فِي العَدَم
وَتَدْعُو الرُّؤَى
وَتَسْتَهْدِفُ الضَّوْءَ عَبْرَ الخَلَايَا

---

[52]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 7.
[53]- محمد مندور ، " الشعر المصري بعد شوقي" ، الحلقة الثانية ، دار نهضة مصر، د.ت ، ص 77.
[54]- - أبو القاسم سعد الله "الزمن الأخضر"، ص 151.

إنّ هذه الأبيات وغيرها يمكن اعتمادها جسرا للعبور من واقع الخيال إلى عالم النور الّذي يحنّ إليه الشاعر، وهذا العالم هو الّذي يتحكم في تشكيل معجمه، فالكلمات الّتي استعملها تعبّر عن ذلك العالم الروحي الّذي يشغله (تدعو الرؤى، تستهدف الضوء، تبحث ، أتسامى، شاخصا، باحثا، لست أدري...)
ولكن الواقع عاجز عن أن يعين الشاعر، فإنّ عملية البحث عنده غالبا ما تنتهي بالفشل[55]:

وَبَعْدَ التّعَبْ
جِئْتُ حَتْفَهَا
لِأَنَّ الوُجُودَ كَثِيفٌ...كَثِيفٌ.

وقوله[56]:

كُلَّمَا حَاوَلْتُ شَيْئًا
رَعَفَتِ الجِرَاحُ

ويحاول أبو القاسم سعد الله أن يبتعد عن الصخب الّذي ألفناه عند شعراء الثورة، ففي قصائده – التي قالها و هو طالب في القاهرة – لجأ إلى توظيف كم كبير من الألفاظ الّتي ساعدته على إظهار ما يختلج في صدره من أحاسيس توحي باشتياقه إلى الوطن الجريح . وفي هذه الألفاظ ما يشير إلى صورة الوطن المغتصب الّذي غادره كرها فيقول[57]:

يَا نَجْمَةَ الغُرُوبِ
يَا مَنْ تُخَدِّرِينَ الأُفُقَ بِالأَحْزَانِ وَالشُّحُوب.

[55]- " الزمن الأخضر" ، ص 151.
[56]- المصدر نفسه ، ص 164
[57]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر" ، ص 361.

وَتُرْسِلِينَ عَبْرَ كُلِّ قَرْيَةٍ نَحِيب
رِفْقًا بِقَرْيَتِي هُنَالِكَ فِي الرِّمَال
فَإِنَّهَا حُطَامُ ذِكْرَيَات
مَشَتْ عَلَى رُفَاتِهَا الرِّيَاح
فَأَصْبَحَتْ، يَا نَجْمَةَ الغُرُوب
أُغْنِيَةً تُحِبُهَا الأَحْزَان
وَتَسْتَعِيدُهَا مَسَاءَ كُلِّ عِيد
فِي سَمْعِ طِفْلٍ طَوْحَ الفِرَاق
بِه، عَنْ أُمِّهِ...أَبِيه...وَالرِّفَاق
عَنْ حُبِّهِ ...عَنْ وَهْمِهِ البَعِيد

وقوله[58]:

يَا لَيْلُ أَجِّلْ سَفَرَك
وَابْعَثْ قَمَرَك
يَرْعَ النَّخْلَةَ وَ الكَرْمَةَ
وَيَضُمُّ الوَادِي وَالقِمَّةَ
وَيُنَاجِ رِمَالَ الصَّحْرَاء
وَيُعَانِقُ سِدْرَةَ (أَوْرَاس)
وَيُرَتِّلُ أَشْوَاقِي
فِي الدَّارِ المُوصَدَةَ
وَيُقَبِّلُ تُرْبَةَ أَحْرَار
مَازَالَتْ عَطْشَى

[58]- المصدر نفسه ، ص 305.

لِلنَّهْرِ الأَحْمَر

فالتجربة هنا تنبع من عاطفة الحنين، وتطمح إلى لقاء الأهل والأحباب، وهي تجربة وجدانية تقوم على الإحساس بالغربة، وهو ما يفسر استعماله لعدة ألفاظ تتشابه في معجمها اللغوي (حداد، بكاء، نحيب، حطام، ذكريات، الرياح، الأحزان، الفراق ، الوهم، الليل، القمر، النخلة، الكرمة، الأشواق، الصحراء الأوراس، الأحرار...).

و في قصيدة (ثائر وحب) يدعو سعد الله إلى الكفاح المسلح وبذل الدم، فهو السبيل الأمثل لتحرير الوطن ، والشاعر وإن لم يعش أجواء المعركة لأنه كان بعيدا عن وطنه الحبيب ، فقد استطاع أن يجسد إحساسه الوطني من خلال هذه الصورة المعبرة وهذه الازدواجية القائمة بين الحب والحنين إلى وطن الدماء، يقول [59]:

(أَوْرَاسُ) وَالدِّمَاءُ وَالعَرَق
وَصَفْحَةُ السَّمَاءِ وَالغَسَق
وَالأُفُقُ المَحْمُوم رَاعِفٌ حَنِق
كَأَنَّهُ وُجُودِي القَلِق
قَدْ ظَمِئَتْ عُيُونُهُ إِلَى الفَلَق
وَسَالَ مِنْ أَطْرَافِه جَمُّ الشَّفَق...
وَنَجْمَةٌ مِنَ الشّمَالِ تَحْتَرِق[60]
كَقَلْبِي الَّذِي يَدُقّ

[59]- أبو القاسم سعد الله ، "ا لزمن الأخضر، ص 195.
[60]- نجمة الشمال يقصد بها الجزائر .

بِذِكْرِكِ العَبِق

حَبِيبَتِي

والقصيدة تحمل ألفاظ تظهر حيرة الشاعر واضطراب نفسه وشوقه إلى الحرية، وقد استعان في صياغته على معجم لغوي يلتحم فيه لفظ الحب بلفظ الثورة والوطن (فالبطاح محمرة الخدود، والذكرى عبقة والقلب يدق، والصوت حلو ناغم ، غابة البلوط الثائرة، والدماء والعرق، والثوار، والأشلاء، والعاصفة، والجموع الزاحفة...). " ونفس الازدواجية تجدها في قصيدته (سنلتقي) إذ يطل علينا الشاعر بنفس معذبة محرومة ترافقه حبيبته وذكرياته المؤلمة"[61]
فيقول [62]:

رفيقتي عند الشفق أتذكرين أمسنا المجهود

أتذكرينه غثيان .. يبصق الدماء

يجر كتلتي حديد

تقيلتين كالعياء

أتذكرينه عند الشفق

وللضباب حوله جدار

وللحياة حوله قفار

لا فأس عنده ولا مطر

يهدم الجدار ..ينعش القفار

ويدفن الحديد والعياء

[61] - عمر بوقرورة ،"الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 154 .
[62]- أبو القاسم سعد الله ، "الزمن الأخضر"، ص 317.

لا شيء يا رفيقتي

و من يقرأ هذه الأبيات فإنّه لا يجد وراءها تلهفا أو حنينا إلى فاتنة يهواها الشاعر ويتمنى لقياها ، " لكننا نجد الماضي الدامي المخيف الّذي جمع بين الحبيبين ونجد ازدواجية الذكرى الحزينة التي يحرص الشاعر على الاحتفاظ بصورها المفزعة الدامية ما أمكنه، يعرضها في صورة أسئلة حيرى (أتذكرين) ثلاث مرات ليدلل على الأمس الغريب (الغثيان والدماء، والعياء، والقفار، المأتم الرهيب، والجراح، والبؤس). ولن تدوم هذه الصورة القائمة طويلا فتأتي اللوحة الأخيرة لتجسد صورة للأمل الذي يعيشه الشاعر مع رفيقته أملا في الحرية والعودة إلى الوطن، هذا العنصر الذي يمثل أهم ركن في تجربة الغربة عند الشعراء الجزائريين فالشاعر لا ينسى أن يطمئن محبوبته (عند الشفق) أنّ النصرات والغد سعيد"[63] يقول [64]:

أَنَا وَأَنْتِ وَالشَّفَق
وَ أَمْسُنَا المَدْفُونُ بِالعَرَاء
وَذِكْرَيَاتُنَا العِطَاشُ فِي القفار
سَنَلْتَقِي فِي ضَمَّة انْتِصَار
غَدًا..وَيَسْقُطُ الجِدَار
وَيَمْرَحُ الطفلات مِنْ جَدِيد

[63] - عمر بوقرورة ، " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962) "، ص 155 .
[64] - أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 317 .

وتعد هاتان القصيدتان – (ثائر وحب) و (سنلقي) – ردا صريحا على ما ذهب إليه صالح خرفي في حكمه على شعر سعد الله حيث يقول: "وقصائد سعد الله هي التي نحس فيها البراءة الأصلية من بصمات الثورة في أسلوبها ومضمونها، فهي خالصة للحب متفانية فيه، مستمدة من رقته وعذريته مستلهمة من براءته وطفولته"[65].

كما نجد في شعر سعد الله نوعا من التفاؤل الّذي يخفف من خلاله حدة الشعور بالوحدة والغربة ، و لعل ذلك راجع إلى أمرين: أولاهما اعتناقه للقومية العربية ووجوده في مصر مركزها. يقول :" ...وفي القاهرة تبلورت في نفسي عاطفتان أولاهما الوطنية السياسية...أما العاطفة الثانية فهي القومية العربية"[66].

لقد أمعن سعد الله في تطوير معجمه ليكون دليل صدق على أنّه صاحب هوية عريقة حاولت الأمم أن تنال منها فلم تفلح

وبعد وقوفنا على المعجم الشعري في الفقرة السابق ة، و تحديد بعض خصائصه ، سنحاول دراسة الصورة الشعرية عند سعد الله ، على اعتبار أنّ الصورة الشعرية تعدّ ركيزة أساسية من ركائز الشعر الحر .

2) الصورة :

تُعدّ الصّورة الفنية من أهـــم الركائـز الّتي يقوم بها العمـــل الشع ـــري؛ حتّى أنّ بعض النقاد لا يعدّ الشعر خالصا مهما كانت درجته الفنية إن هو افتقر لعنصر التصوير، فالصورة الشعرية إذن هي الأداة الّتي يتخذ الشعر بواسطتها سبيله إلى التأثير في المتلقي إيحاءا و رمزا فالشاعر " بواسطة الصورة يشكل

65- صالح خرفي، " الشعر الجزائري الحديث "،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 26.

66- أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 48.

أحاسيسه وأفكاره و خواطره في شكل فنّي محسوس ، و بواسطتها يصوّر رؤيته الخاصة للوجود ،
و للعلاقات الخفية بين عناصره "[67] . و لعل أبرز ما يميز الشعر الحر هو "موسيقاه الّتي تمّ التحول على أساسها من النظام البيتي إلى نظام التفعيلة ، ثم اهتمام أصحابه بالصورة و تكثيفها أكثر من الشعراء السابقين لهم . و يعتبر هذان العنصران من أهم عناصر الشعر الّتي يعنى بها النقاد في العصر الحديث"[68]

لذلك سأحاول من خلال هذا العنصر تتبع ملكة التصوير لدى سعد الله .

و سنبدأ بالصور المعبرة عن الحنين إلى الوطن ، فقد نجح سعد الله في إذكاء تجربته والتعبير عنها بشتى الصور الرائعة، " لقد التفت إلى مشاهد الطبيعة يربط بينها وبين تجربة الباكي الحزين، فكانت قصائده (يا نجمة الغروب، يا عام، ليل وشوق، الحزن...) خير دليل على هذا الحنين.[69]

ولمّا كان شاعرنا سعد الله إنسانا شرقيا مجهولا في عالم الأقوياء الذين تقاسموا الأرض العربية شبرا شبرا، " فإنه يحاول أن يعرّف بنفسه وبانتمائه الشرقي كي يعينه هذا الأنيس (الليل) والمحاولة جادة لأنّ الشاعر يعيش في دائرة صراع مرير هي محور غربته الّتي لا تزول إلّا إذا زال الصراع، وأصبح الإنسان الشرقي (معرفة) بعد أن كان (نكرة)"[70] يقول مخاطبا الليل[71]:

يا ليل تمهل

لا تهرب ....لا تخجل

إنّي إنسان شرقي

---

[67] - علي عشري ، " عن بناء القصيدة العربية الحديثة " ، مكتبة دار العلوم ، ط 1 ، القاهرة ، 1978 م ، ص 68 .
[68] - شلتاغ عبود شراد ، " حركة الشعر الحر في الجزائر " ، ص 150 .
[69] - عمر بوقرورة ، " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 166 .
[70] - المرجع نفسه ، ص 167 .
[71]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر" ، ص 303

لي قلب وردي
ألف النغمة والحب
وهوى النجمة والربا
مذ كان صغيرا

وعامل الطبيعة محبب إلى سعد الله لأنه يعينه على الذكرى ويمده بصور مشرقة زاهية يعيشها في مواجهة الصور العابسة الّتي يعيشها في ضجيج القاهرة، ولهذا فهو يريد من (الليل) أن يمتد لأنه يتحول إلى معين يكشف عن الحنين الطاغي إلى الوطن[72]:

يا ليلي أجل سفرك
يرع النخلة والكرمة
ويضم الوادي والقمة
ويناج رمال الصحراء
و يعانق سدرة (أوراس)
و يرتل أشواقي
في الدار الموصدة
ويقبل تربة أحرار
مازالت عطشي
للنهر الأحمر

[72]- المصدر نفسه، ص 305

ونلاحظ أنّ الشاعر من صورته الرائعة (ويعانق سدرة أوراس)" توجه بالحنين وجهة جديدة هي الشوق إلى رؤية الثوار وهم يكتسحون الحاضر المؤلم الملوث الّذي لا يتطهّر إلّا بالدّم. وعالم الطبيعة لا يمده بصور مشرقة فحسب بل يعينه على صوغ تجربة مريرة، وهي تجربة الظّلم والحقد كما يبدو في قصيدته (نجمة الغروب) إذ ينظر إلى هذه النجمة نظرة اشمئزاز وحيرة، فهي التي تخدر الأفق بالأحزان، وتبعث على النحيب وما دامت كذلك فالشاعر يتوسل إليها أن ترفق
بقريته الحزينة المحطمة ، وتنجح هذه القصيدة في إشاعة مناخ الغربة والحنين لأن جزئياتها توحي بوجود عالم مرعب مخيف (الأحزان، الشحوب، النحيب، الحداد البكاء، حطام ذكريات، الرفات، الأحزان...)، ويمضي الشاعر ليؤكد المزيد من الإحساس بالغربة، ويدلف من خلال عبارة (مساء كل عيد) إلى رسم صورة لشاعر يعاني الفراق والبعد عن ذويه، وفي صورة مفصلة شاملة لأحلامه التي قضت عليها الغربة. "[73]

ويصدر أبو القاسم سعد الله في قصائده (يا عام، أسطورة الجزائر، شك) عن موقف إنساني بعيد النظرة لا يحده وطن الجزائر، بل جميع الأوطان الّتي سلبت حريتها.

"والأسئلة المكررة الموجهة للأعوام المتعاقبة في ديار الغربة لم تكن إلّا صيحة من إنسان قلق مضطرب، يعيش فترة انتظار، وترقب لعل انفراجا يحدث وعندها يعود إلى وطنه، والانتظار كثيرا ما يؤدي بالشاعر إلى اليأس القاتل، ولذلك نجد سعد الله وقد أخلد إلى اليأس في مولد عام (1959) بعد رحلة مضنية من الانتظار الممل الذي أعقبته محادثات سياسية فاشلة بين الجزائر وفرنسا في الأمم المتحدة."[74]

[73] - عمر بوقرورة " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 169 .
[74] - عمر بوقرورة " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 173 .

يطلع عام (1959) على الشاعر وهو في (القاهرة) ويمرح الأطفال ويعم الضياء وتسود الفرحة، وليس له من نصيب إلّا الحيرة والشك والخوف من المصير المجهول لأنه يحمل واقعا يموت فيه الصباح وتجمد الدماء وتشخص الأبصار[75]:

يا قادما بلا لسان

يخالك الأطفال عندنا ملاك

تؤرجح المهود في حنان

وتمنح الألعاب والثياب

وتملأ العيون بالضياء

وتطرد العفريت والشيطان

***

أمّا أنا فالشك دوما قاتلي

الشك في رسالة بلا عنوان

وقادم بلا لسان

من عالم مغلق ظلام

أتيه منه في الضباب

أسير خطوتين خطوتين

أستقرئ الأشياء مرتين مرتين

***

أتيه في الضباب

[75]- أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، ص 325.

أغوص في العذاب

والإنسانية عند سعد الله ذات مفهوم خاص فلم تعد تمثل المفهوم الواسع الشامل للبشرية كلها كما وجدناها عند (جبران خليل جبران)[76]– مثلا: فمفهومها ثوري ينطلق من واقع الشاعر نلمسه في قوله – ردا على نقد هنري الخوري لبعض قصائده – : " إنّ أكثر الشعراء الغربيين – ومنهم إيليوت نفسه – يعبرون عن ترف حضارة غامر قد قاضت به صالونات العواصم الكبرى، وهذبه الذوق الناعم والحس الخليع، فإنه نسبة بين مستقى أفكارهم ومستقى أفكارنا؟ إننا نكتب حياتنا بدمائنا ودموعنا وعرقنا وهم يكتبون حياتهم بمحلول الورد الأخضر...و دعك من (الإنسانية) يا أخي فهي كلمة خداعة جدا ... لا سيما في هذه الأيام "[77] والمفهوم نفسه عبر عنه محمد الصالح الصديق بقوله:" أمّا هؤلاء المنافقون الّذين يتصايحون منادين بالسِّلم للبشرية داعين إلى الإخاء الإنساني الشامل، وأيديهم تنظر بدماء الأبرياء فإنّنا لا نعتز بهم وبرقصاتهم المخجلة على الجثث والأشلاء"[78]. والواضح أنّ هذين المفهومين وغيرهما إنّما يصدران عن قول (ابن باديس) – الزعيم الروحي للثورة الجزائرية –: "إنّنا نفرق جيدا بين الروح الإنسانية والروح الاستعمارية في كل أمة، فنحن بمقدار ما نكره هذه ونقاومها، نوالي تلك ونؤيدها"[79].

من خلال ما تقدم يتضح لنا الفرق الشاسع بين مفهوم سعد الله للإنسانية، ومفهوم بعض الشعراء العرب المغتربين، أو المفهوم الغربي الذي وصفه دارس بقوله:" إنّ وصف (إنساني) في الوقت الحاضر يطبق عادة على

[76]- أنظر: الأعمال الكاملة، جبران خليل جبران، تقديم ميخائيل نعيمة، دار صادر، دار بيروت 1964 م ، ص 344.
[77] - أبو القاسم سعد الله ، "تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص 163 .
[78]- محمد الصالح الصديق ، "وقفات ونبضات " ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982 م ، ص 79.
[79] - محمد الميلي ، "ابن باديس وعروبة الجزائر" ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط2، الجزائر 1980 م ، ص97.

هؤلاء الذين يرفضون أن يعتبروا الدّين مفتاحا لطلاسم الحياة ودواء لآلام البشر..."[80]

وتأتي قدرة سعد الله في توفيقه في الاستفادة من هذه الصورة الإنسانية التي تكشف له عما لا يراه كثيرا من الشعراء الجزائريين من حولة،" فهي مبعث إحساسه بالقلق، والوحشة، ولم تكن هذه الإفادة محصورة في إشارات معينة، إنّما هي إحساس عميق بالظلم الذي وقع على وطنه وجميع الأوطان المستعبدة. ونحن إذ نقرأ قصيدته (إنسانية) التي تتحدث عن الأصل الواحد للإنسان الذي يسفك دم بعضه البعض ونصل إلى هذه الأبيات التي هي تكثيف وتخليص لموقف البشر[81] و التي يقول فيها[82]:

إننا يا فجر لحم وعرق

لم نكن يا فجر شيئا غير هذا..

فلماذا نفترق

ولماذا نحترق

ولماذا يخلق الله قلوبا لا ترق

و لعل القارئ لهذه القصيدة سيتبادر إلى ذهنه أنّ سعد الله قد اندفع من خلال إحساسه بوحدة إنسانية خالية من الحقد والبغضاء، والشاعر لا ينسى بعد كلّ هذا أن يذكّرنا أنّ مفهومه للإنسانية لا يتجاوز الإطار الديني التوحيدي للإنسان[83]:

80 - إليزبيث درو ، " الشعر كيف نفهمه و نتذوقه " ترجمة : محمد ابراهيم الشوش ، مكتبة منيمنة ، بيروت ،1961 م ، ص 284 .
81 - عمر بوقرورة " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 187 .
82- أبو القاسم سعد الله ، "الزمن الأخضر "، ص 266.
83- المصدر نفسه، ص 394.

الله للجميع

والخبز والهواء

والحب والسلام

لنا، لكم، للأخرين.

ومن يقرأ قصائد سعد الله: (شك، وحزن، ورحلة الحزن، وورق، وليل، وشوق...)[84] يجد صورا تدور حول الحزن و الأسى على مصير الوطن و ما آل إليه جراء ما لحقه من ظلم و تعسف من قبل المستعمر. وتتجمع عناصر هذه الصور في إطار كلي وهو الظلام والخوف الّذي يحيط بالشاعر في ليالي الغربة، وبالوطن في ليالي المحن والعذاب، فهو غريب في كلتا الحالتين. فيقول في قصيدة (نجمة الغروب)[85]:

يا نجمة الغروب

....

عن حبه..عن وهمه البعيد

فأول صورة تصادفنا في هذا المقطع، " صورة الظلام في الأفق فيحيل الحياة أحزانا وحدادا، فالظلام صورة لواقع الشاعر في غربته، كما هو صورة في محنته، إنه شاعر وطني حريص على أن يتم إحساسه من خلال المجموع ولذلك يعاني الغربة من خلال حشده لهذه الصور الجزئية التي تتحرك داخل إحساس عام بغربة الشاعر والوطن، ويتأكد هذا الإحساس تدريجيا من خلال الصور الجزئية الحزينة (ترسلين النحيب..موكبا من الحداد والبكاء..مشت على رفاتها الرمال..أغنية تحبها الأحزان..). ومثل هذه الصور المظلمة نجدها في

[84]- أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، ص 303، 325، 329، 335، 345.

[85]- نفسه، ص 361.

قصيدته (شك) التي تهدف إلى تصوير حالة والترقب التي تتملكه وهو بعيد عن الوطن، فالقتال الدائر هناك، والاحتلال المستمر قد حال دون ورود الأخبار ودون العودة إلى الوطن"[86] فيقول[87]:

أمّا أنا فالشك دوما قاتلي

الشك في رسالة بلا عنوان

وقادم بلا لسان

من عالم مغلق ..ظلام

أتيه منه في الضباب

أسير خطوتين خطوتين

أستقرئ الأشياء مرتين مرتين..

هناك شوك يجرح الأقدام

يمزق الكفين

أطارد الأشباح في الظلام

تصطادني الأشباح في الظلام

أرى النجوم تبتعد

أرى الصباح ميتا، قتيل

عيناي تنظران... تجمدان

يداي ..تبحثان..تقنطان

وأسمع الأصوات حشرجات

***

86- عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث " ، ص 260 .

87 - أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 326

أتيه في الضباب

أغوص في العذاب

ففي هذه الأبيات يتحول الشك بما يثيره من " هواجس مخيفة إلى دهليز مظلم تملأه الأشباح فتصطاد الشاعر في الظلام، وقد وفق الشاعر في خلق المناخ الشعري، او الموقف والحالة النفسية من خلال الصور الجزئية التي ترسم للقارئ صورة كلية عمادها الظلام: (عالم مغلق..ظلام..اتيه..أتيه في الضباب ..أطارد الأشباح في الظلام...تصطادني الأشباح في الظلام...النجوم تبتعد...الصباح ميت...العينان تجمدان...) "[88]

ويبتعد سعد الله عن هذا النمط من الصور الاحتجاجية الصاخبة في قصائده: (القرية التي احترقت..ومواكب النسور...وإلى أين؟) إذ نحس فيها عنايته الفائقة التي تؤكد بشاعة الجندي الفرنسي[89]:

هكذا ينتصرون

ويعودون نشاوي

حيث يجزون نياشين وألقاب البطولة

هكذا يتنصرون

يشنقون الأبرياء

ويصبون الخراب

كالجراد

[88] - عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث " ، ص 261 .

[89]- أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر" ، ص 220.

كالتتار الزاحفين

ويعودون سكارى

بنشيد الظافرين

يالهم من جبناء

فالشاعر يحاول أن يضع القارئ أمام حقيقة هامة " وهي أن هؤلاء الطغاة الّذين تساندهم دول عديدة على منبر الأمم المتحدة إنّما هم مجموعة من السفاحين الّذين ينشرون الخراب، ويقتلون الأبرياء ويغتصبون الأوطان، وهذه الحقيقة دفعته إلى الاهتمام بملاحقة الصور التاريخية في هذا المقطع (يجزون نياشين...كالتيار الزاحفين). وربما كانت قصيدته (مواكب النسور) أكثر إيضاحا في إدانة الاستعمار الذي يتحول الشعب والوطن في ظل حكمه إلى أشياء وحالات غير إنسانية، ويبدو كل هذا من خلال الصور الفريدة في النقاط كافة العناصر المعبرة عن الواقع المعيش[90] يقول[91]:

الشعب يسبح في الدموع

والبؤس يحتطب الجموع

والمبدأ الأسمى صريح

بين المخالب والنجيع

والصفحة السوداء خابية النجوم

والسوط يلتهب الجسوم

شوهاء طافحة الكلوم

[90] - عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث " ، ص : 266 ، 267 .

[91]- أبو القاسم سعد الله ، "الزمن الأخضر" ، ص 123.

والتربة الضراء أضحت كالصريم

غبراء كالحة الأديم

و لعل القارئ لهذه الأبيات سيلاحظ بأنّ الساعر يحاول أن يقدم صورا مأساوية لواقع الشعب الجزائري . وهذه الصور المعتمدة على المجاز تبدو بالغة الأهمية لأننا لم نألفها عند الشعراء الجزائريين آنذاك (الشعب يسبح في الدموع.. والبؤس يحتطب الجموع. والسوط يلتهب الجسوم... والتربة كالحة الأديم...)

وتتخذ هذه الصور بعدا أعمق عندما يدرك الشاعر" أنّ الحرب لم تكن أبدا بين الجزائر وفرنسا بل هي حرب حضارية بين أمّة صليبية ظالمة وأمة صليبية ظالمة وأمة عربية مسلمة مظلومة."[92]

ولا يخفى علينا ما للبيئة من أثر في نفس الشاعر وبخاصة و هو بعيد عنها. يقول سعد الله في قصيدة (ليل وشوق)[93]:

يا يللي أجل سفرك

وابحث قمرك

يرع النخلة والكرمة

ويضم الوادي والقمة

ويناج رمال الصحراء

[92] - عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث " ، ص 267 .

[93]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 192.

فالليل في ساعة الحنين لم يعد يرهق الشاعر مثلما أرهقه في ساعة الغربة، " إذ تحول بفضل خيال مبدع إلى إشعاع يضيء المكان الّذي علق بالذاكرة. "[94]

و المتتبع لشعر سعد الله ، قد يلاحظ أيضا عناية بالصور التي تعتمد الأداء القصصي أساسا لها، وتمتاز هذه الصور بأنها طويلة معتمدة على الحوار.

و تتجلى هذه الصور في قصائد عديدة منها (إلى أين؟.. وبرقية من الجبل) يقول سعد الله[95]:

أختاه إلى أين نسير؟

في الظلام

ففي حديثي

ضميني إلى صدرك الدافئ

أنقذيني من البرد

من الجوع

لا،لا، أين أمي، أين أبي؟

إن المشي يرهقني

وقدماي حافيتان

وهذه الخرق البالية

ماذا عساها تدفع عني

لقد طال الطريق...

ولم نصل..

---

94 - عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث " ، ص 269 .

95- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر "، ص 111.

" والقصيدة طويلة ونهايتها موت الأخت التي ترعى أخاها بعد موت أبويه اللذين (أنكر القدر وجودهما، وتكبر الناس عن الإحسان إليهما)، إن الصورة الشعرية هنا تأثرت إلى حد كبير بأسلوب القصة، ووظفت معتدة متلاحقة يتولد بعضها من بعض، فلم يشأ أن يكتفي بصرخاته (حدثيني... ضميني... أنقذيني) بل أمتد بالصورة لتكون أكثر مأساوية (طال الطريق ولم نصل) وهذا الامتداد ناتج عن اهتمام سعد الله بملاحقة جزئيات قصيدته، كتطور الحدث شيئا فشيئا."[96]

بعدما تعرضنا لصورة الغربة و الحنين في شعر سعد الله ، سنحاول فيما يلي تتبع صورة المدينة و القرية ، و كيف وظفهما سعد الله في شعره .

لعلّ الدارس لشعر أبو القاسم سعد الله ، سيلاحظ بأنه " يتحرر من الرؤية الثنائية للمدينة ــ القرية، ليتجاوزها إلى أفق رؤ يوي، متعدد و شامل، ترادف فيه المدينة الوجود كله. فهي عالم يئن تحت وطأة الإرهاب و الموت ، في حاجة إلى من يبعث فيه الحياة، و يزرع فيه الأمل و النور" [97] يقول في قصيدة (طريقي)[98]:

عَالَمِي المَضْغُوطُ بِالقَيْدِ الكَسِيح

....

....

وَ اعْشَقُوا النُّور حياوات خصيبة

---

[96] - عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث " ، ص 273 .

[97] - ابراهيم رماني ، " المدينة في الشعر العربي ، الجزائر نموذجا (1925 – 1962) " ، وزارة الثقافة ،الجزائر ، 2007 م ، ص124

[98] - أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 143 ، 144 .

فقد تألم سعد الله لبؤس الريف و شقاء أهله (القرية التي احترقت) قربانا للثورة كما تحسس آلام المدينة ــ (المقبرة الراقدة على جماجم الموتى[99] و رميم السنوات العجاف[100]. يقول في قصيدة (كثافة) [101]

أَسَاسٌ رَمِيم

لِمَثْوَى قديم

وَطِينٌ يَنُوح فِي خَرَاب

وَ أَكْوَامُ فَحْمٍ وَ قَشّ

....

....

و من محصد السنوات العجاف

"يحتشد هذا المشهد بعناصر الموت و التعفن، إذ يتراكم فيه الطين و الخراب و الجرذان، الدماء و الأشباح و الجثث و النفايات و الجماجم، كأنه لوحة جنائزية لتاريخ الفجيعة و انهيارات المكان/ الذات، التي تئن في إيقاع حزين لا يكاد ينقطع عن أنفاس القارئ، و هو يلاحق المعنى المتداعي، بين هذه الأسطر الشعرية ، التي تتعاقب متآلفة ، في ألفاظ و عبارات واقعية، تتصل باليومي و النثري، غير أنها لا تخلو من الحس الجمالي"[102].

ثم "يلطف سعد الله المعنى ، و يتعاطف مع المكان ، حتى تمّحي حدوده الظاهرة ، ليتوحد في الأعماق ، في الوعي الداخلي ، الذي يرى المدينة وجها/ مرآة للأرض و الوطن، و حتى الوجود الإنساني كله، و من هنا يسعى لتقمص معاناتها، و تحسس نبضها ، و متابعاتها عبر الوصف المركز و المنساب في هدوء و تفصيل إيحائي ، ينأى عن أسلوب الخطابة و التقرير، ليستبدله "

---

[99] -أبو القاسم سعد الله " الزمن الأخضر " ، ص 132

[100] - المصدر نفسه ، ص 136

[101] - المصدر نفسه ، ص : 149 ، 150 ، 151 .

[102] - إبراهيم رماني ،" المدينة في الشعر العربي ، الجزائر نموذجا (1925 – 1962) " ، ص 125 .

بالإنشاء " الذي يجسد " حالة" و يشكل لوحة متعددة الدلالات ، يتناغم فيها المعنى و الصوت ، ويتجاوز فيها الطبيعة و الحيواني و الإنساني و العمراني. " و يتأنسن" فيها المكان بحيث " ينوح فيه الخراب" و يتسع فيه الخيال، فيرى " هضبة من دماء"،"[103]

و لعل المتتبع لقصائد سعد الله لا يلاحظ لديه " مفارقة دلالية بين صورة المدينة و القرية، فكلاهما يشتكي الظلم و الحصار ، يصارع العدوان و الموت، شعور وطني إنساني مطلق "[104]، يقول في قصيدة (الطين):[105]

ذات يوم كنت أمشي بين أحضان المدينة

....

و بقايا جثث خرساء ، و الدنيا الحزينة

و يقول في قصيدة (الدم و الشعلة)[106]

القرية تدمى

عشبا و تراب تدمى

جرح من غير ضماد

في جسم البشرية

....

لا جدوى ، مات الإحساس

103 - إبراهيم رماني ،" المدينة في الشعر العربي ، الجزائر نموذجا (1925 – 1962) " ، ص 125

104 - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

105 - أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص210

106 - المصدر نفسه ، ص : 287 ، 288 .

****

في دنيا القرية

لا كف تسحق عدوانا

لا حضن يدفيء أطفالا

و يواسي الدمعة بالدمعة

تلك هي الرؤية الإنسانية الشاملة للوجود ، حيث تتواصل الأمكنة المختلفة في وحدة عميقة ، و ذاك هو الوعي الوطني الكلي، الذي يغطي فيه عشق الأرض البلاد كلها، لتصبح الجزائر مدنا و قرى، جبالا و صحاري، امتدادا للذات و مرآة للنص[107]:

استنبت الأرض الخراب

و أغالب البؤس المميت

لقد جعل سعد الله المدينة مكانا ثوريا موازيا و مكافئا للجبل أيضا، في جدة المعنى و سعة الرؤية، التي أحالت الأمكنة المختلفة بدلالاتها المتضادة إلى عناصر متآلفة، مترابطة في لوحة تصويرية واحدة شاملة و يظهر ذلك في قوله :[108]

إنّ أهلي عرب الأطلس ثاروا

عبر (وهران) التي تصنع مجدا

و (قسنطين) التي تحفر لحدا

و تعب النصر من نبع الصباح

[107] - أبو القاسم سعد الله "الزمن الأخضر " ، ص 147

[108] - المصدر نفسه ، ص 237

(أوراس) و الدماء و العرق
و صفحة السماء و الغسق[109]

و قال[110]:

من فم الأطلس نشدو وحدة لا تفحم
من فم الأطلسي نشدو: ثأرنا المنتقم

و بما أن شعر سعد الله يندرج ضمن الاتجاه الحداثي للشعر العربي في الجزائر ، في مرحلته التأسيسية أثناء الخمسينيات . " و من ثم فقد عانى من اضطراب النموذج الفني الجديد الّذي لم يكتمل بعد ، و لم تتبلور ملامحه الجمالية بالقدر الكافي، حتّى بالنسبة للشعراء الرواد في المشرق العربي . و لذلك نلحظ بيسر توتر أشعاره بين الإحيائي و الوجداني و الحداثي، فيما هو يحاول الملائمة بين الجمالية التعبيرية و الوظيفة التاريخية. و لا ريب أنه حقق تقدما نوعيا – و لو بدرجة نسبية– في رؤيته إلى المدينة و ممارسته للكتابة على السواء . مما يؤهلانه ليكون علامة فارقة للسائد في هذه المرحلة".[111]

وكخلاصة لما سبق، نقول إنّ سعد الله الشاعر اهتم بالصورة الشعرية ؛ ذلك أنّه جعل من التجربة والانفعالات الشعورية الذاتية أساسا في التجربة الشعرية، فتميّزت الصورة بالصدق والحيوية، وبالقدرة على نقل مشاعر الغربة

---

[109] - أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 295 .
[110] - المصدر نفسه ، ص 237 .
[111]- ابراهيم رماني ، "المدينة في الشعر العربي ، الجزائر نموذجا (1925 – 1962) " ، ص 129

بصورة واضحة وأهمّ ميزة طبعت الصورة هي اهتمام الشاعر بالخيال والعاطفة في بنائها.

3) الموسيقى :

يعتبر الإيقاع الموسيقي في العمل الشعري ، من أهم العناصر الّتي يعتمد عليها هذا الفن الجميل ، ذلك أنّ العلاقة بين الموسيقى و الشعر علاقة تعود " إلى طبيعة الشعر نفسه الذي نشأ مرتبطا بالغناء ، و من ثم فإنهما يصدران عن نبع واحد ، و هو الشعور بالوزن و الإيقاع "[112] ، وما من شك أنّ " الشعر الحر كان تغييرا عروضيا واضحا في الشعر العربي ، وهو مع كونه واحدا من المؤثرات الحضارة الأوروبية التي احتضنها العرب في العصر الحديث ، إلّا أن شعراءنا وجدوه أكثر استجابة لنوازعهم و أحاسيسهم الداخلية من النظام البيتي القديم "[113] ،

هذا الشكل العروضي الجديد يعتبر " أشق من السير على الأوزان التقليدية ، لأنه يستلزم دراية بأسرار اللغة الصوتية و قيمها الجمالية ، ووقوفا تاما على التناسب بين الدلالات الصوتية و الانفعالات التي تتراسل معها "[114] و من مظاهر ارتباط القصيدة الحرة بموسيقى القصيدة العمودية في مرحلة الثورة ، "التزام الشعراء بالقافية في أغلب الأحيان ، و هو أمر مرتبط بصلتهم بهذه القصيدة ، كما هو مرتبط بالمضامين الثورية للشعر في هذه المرحلة و بالروح الخطابية المباشرة التي تعتمد على جلبة الموسيقى في تبليغ معانيها . و قد

[112] ـ شكري عياد ، " موسيقى الشعر العربي " ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1965 م ، ص 53 .
[113] ـ شلتاغ عبود شراد ،" حركة الشعر الحر في الجزائر " ، ص 142 .
[114] ـ محمد غنيمي هلال ، " النقد الأدبي الحديث " ، ص 475 .

يضحي الشاعر أحيانا بجماليات اللغة من أجل المحافظة على القافية "[115]كقول سعد الله [116]:

بشر أنتم يا عبيد

يا عبيد الأرض و الله الوحيد .

ف (الوحيد) هنا " توحي لنا بالوحدة و الضعف ، في حين أننا نصف الخالق – جل شأنه – بالواحد الّتي تدل على الوحدانية و التفرد . " [117]

و سنحاول في دراستنا هذه أن نقف عند قصيدة هامة " تعبر عن نمط جديد من التشكيل الموسيقي الجاد، كما توحي بغربتين مزدوجتين هما: (الغربة الفنية والغربة الفكرية) إذ تتكر صاحبها للشكل الموسيقي القديم، كما تنكر للزمن المظلم الذي سبق اندلاع الثورة، ولنقرأ له هذا النقد الصريح العلني الذي كتبه عام 1956 والذي يعد مفتاحا لفهم القصيدة أو هو صورة نثرية مكررة لها."[118]

يقول:" كنت أتابع الشعر الجزائري منذ عام 1947 باحثا فيه عن نفحات جديدة، وتشكيلات تواكب الذوق الحديث، ولكني لم أجد سوى صنم يركع أمامه كل الشعراء بنغم واحد وصلاة واحدة، ومع ذلك فقد بدأت أول مرة انظم الشعر بالطريقة التقليدية، أي كنت أعبد ذات الصنم وأصلي في نفس المحراب، ولكنني كنت شغوفا بالموسيقى الداخلية في القصيدة، واستخدام الصورة في البناء، غير أن اتصالي بالإنتاج العربي القادم من المشرق – لاسيما لبنان – واطلاعي على المذاهب الأدبية والمدارس الفكرية والنظريات النقدية حملني على تغيير اتجاهي ومحاولة التخلص من الطريقة التقليدية في الشعر"[119].

---

[115] - " حركة الشعر الحر في الجزائر " ، ص 144 .
[116]- أبو القاسم سعد الله ،"ثائر و حب " ، ص 76 .
[117] - شلتاغ عبود شراد ،" حركة الشعر الحر في الجزائر " ، ص 144.
[118] - عمر بو قرورة ، " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 293 .
[119]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 16 .

والنص يعد " وثيقة فنية، وفكرية هامة، إذ يرينا تجربة جديدة في ظل واقع متخلف مظلم لا يسمح بانطلاق الحريات والأفكار، ورغم ما يحمله النص من جرأة وجدة – إذ يحاول الشاعر من خلاله أن يتدخل في أمر تقنين الأقدمين للبنية الإيقاعية للنص الشعري ووصفه أنه صنم – فإننا نعد ذلك تجاوزا لحدود الإمكانيات المتاحة للشعراء الجزائريين الذين عاشوا فترة حرجة في ظل الغزو المركب (فكريا وسياسيا واجتماعيا)" [120]

يقول في قصيدته[121]:

يارفيقي	فاعلاتن				= 1
لا تلمني عن مروقي	فاعلاتن	فاعلاتن			= 2
فقد اخترت طرقي	فعلاتن	فعلاتن			= 2
وطريقي كالحياة	فعلاتن	فاعلاتن			= 2
شائك الأهداف مجهول السمات	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن		= 3
عاصف التيار، وحشي النضال	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن		= 3
صاخبا الأناة، عربيد الخيال	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن		= 3
كل ما فيه جراحات تسيل	فاعلاتن	فاعلاتن	فاعلاتن		= 3
وظلام وشكاوى ووحول	فعلاتن	فعلاتن	فعلات		= 3
نتراءى كطيوف	فعلاتن	فعلاتن			= 2
من حتوف	فاعلات				= 1
في طريقي	فاعلاتن				= 1

120- عمر بو قرورة ، "الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ص 293

121- أبو القاسم سعد الله ، "الزمن الأخضر"، ص 141.

يارفيقي فاعلاتن = 1

لهذه القصيدة وزن كبير، لأنها تعد نموذجا للرفض والتمرد والخلاص، كما تفصل بين فترتين عاشهما الشاعر، فترة الاغتراب الروحي والفكري داخل الوطن، وفترة الغربة المكانية بالقاهرة، وقد حاول فيها أن يتحرر من الشكل الموسيقي القديم" كما تحرر من أفكار سابقيه فاعتمدت القصيدة على الارتباط النغمي بين الأبيات المتتالية، وارتكزت على نقطة نغمية توجه حركة النفس مع حركة الموسيقى وهي كلمة (طريقي)، لكنها متا زالت حبيسة في قيود القافية المتتالية التي تجيء هكذا (رفيقي..مروقي..
طريقي..الحياة..السمات..النضال..الخيال..)، وما زالت تخضع لقيود الوزن حيث يوازي فيها بين الأبيات الشعرية (2–2–2–3–3–3...) ويعود هذا القيد – فيما نرى – إلى التجربة النفسية الغامضة التي سيطرت على الأبيات الشعرية فجاءت خاضعة لحركة الانفعال التي تبدأ بسيطة بتفعيلة واحدة لتبلغ ذروتها في ثلاث تفعيلات ثم تهدأ ويخف التوتر الموسيقي فيعود تفعيلة واحدة.
وقد استعاض سعد الله عن هذه القيود بالقوافي المتداخلة والأبيات المتأرجحة طولا وقصرا في قصائده التي عبر فيها عن غربته بالقاهرة منذ أوائل 1957 "[122]مثل (القرية التي احترفت..الليل والجرح ..الحزن..نجمة الغروب)[123].

د) الرمز .

الشعر تجربة ذات طبيعة خاصة ، " تجنح نحو الإيغال و الاستبطان و الكشف ، الشمولية و المغايرة و لّا تحدد ، الانفعالية و الكثافة و الغموض ، التعقيد و التعدد و اللاواقعية . لكن كيف يمكن التعبير بالمحدد عن اللامحدد ،

---

[122] ـ عمر بو قرورة ، "الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ص 294
[123]ـ أبو القاسم سعد الله ،" الزمن الأخضر"، ص 219، 235، 239، 303، 317، 335، 341، 359.

بالواضح عن الغامض ، بالبسيط عن المعقد ؟

إنّ اللغة العادية بقواعدها العقلانية الصارمة ، تعجز عن ذلك فيكون من الضروري ، إذن اختيار أسلوب خيالي ، غير مباشر ، يتخطى اللغة المعيارية ، و يخترق قواعدها المثالية ، بحيث يمكنه صياغة هذه الدلالات الشعرية في تعقيدها و شموليتها ، و تدعو هذا الأسلوب الخيالي ، الجمالي الخاص " باللغة الرمزية "" [124]

و يحدد أرسطو الرمز على المستوى اللغوي قائلا : " الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس ، الكلمات المكتوبة رمز للكلمات المنطوقة " [125]و يذهب فرويد في المفهوم النفسي للرمز إلى أنه " نتاج الخيال اللاشعوري ، و أولي يشبه صور التراث و الأساطير "[126]، و يعرفه "– كارل يونغ – على نحو جيد ، يقارب تعريف الرمز الأدبي ، مفرقا إياه عن الإشارة (Sign) التي تعبر عن شيء معلوم محدد في وضوح بخلاف الرمز الذي هو أفضل طريقة للإفضاء بما لا يمكن التعبير عنه ، و هو معين لا ينضب للإيحاء بل التناقض كذلك " [127]
و الرمز في أبسط تعبير له هو " عبارة تطلق على شيء مرئي يمثل للذهن شيئا غير مرئي لعلاقة بينهما هي المشابهة "[128]

و قد وصل الرمز إلى مكانة مرموقة في القصيدة الحديثة ، و أصبح يشكل مذهبا أدبيا ، و نمطا مألوفا في الخطاب الشعري . لذلك سنحاول فيمايلي التعرض لبعض الرموز التي وظفها سعد الله الشاعر في بعض قصائده .

---

[124] - ابراهيم رماني ، " الرمز في الشعر العربي الحديث " " اللغة و الأدب " ، ع 2 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ص74 .
[125] - غنيمي هلال " النقد الأدبي الحديث " ، ص 37 ، 38 .
[126] - محمد فتوح أحمد ، " الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر " ، دار المعارف ، ط 3 ، القاهرة ، 1984 م، ص 35 .
[127]- المرجع نفسه ، ص 36 .
[128] - المرجع نفسه ، ص 39 .

إنّ الرؤية الشعرية في معظم قصائد سعد الله قادرة على أن تستوعب الجزئيات الدقيقة، وتبتعد عن المباشرة لتستعمل " الإيحاء والرمز في قاموسها مثل (اوراس) هذه اللفظة التي تتعدى الدلالة المعينة المحددة لتتحول إلى قيمة نبيلة تحيط بها ظلال خاصة تساعد الشاعر على الحلم وتخطي عالم الغربة الذي يحاصره.

وقد أضاف سعد الله إلى معجمه الشعري رموزا جديدة على الشعر الجزائري الحديث مثل (الطين والنسر) هذه الرموز التي فرضت نفسها في زمن الثورات العربية، حيث تحولت القصيدة إلى قاموس واحد، وإن اختلفت في شكلها، وليس بعيدا أن يعتمد سعد الله في هذا الظلم والاستعباد وبخاصة الذين عانوا من تجربة الغربة نتيجة لفقد أوطانهم.[129] وكلمة (الطين) عند سعد الله، لم تكن إلّا مدخلا يصور من خلالها غربة شعب في أرضه بل غربة كل مظلوم على وجه الأرض[130]. على أننا نعتقد أن سعد الله قد استعان لتجربته هذه بخبرات الشعراء المهجريين، وأصولها في عملهم الإبداعي، وصارت من بعدهم منهجا يحتذي به الغرباء أمثالهم، فأشعارهم تعج بالقصائد التي تجعل من الطبيعة مطية للحنين إلى الوطن، لكنها تتجه بعد ذلك اتجاها رومانسيا على هامش حساسيتهم الشاعرية، إذ كانت الأعماق البعيدة لهذه الحساسية مركزة بعمق على الواقع الدامي الذي يعانه وطنهم.

وفي قصيدة (الليل وشوق) لا يجد سعد الله في صخب القاهرة و زحامها غير الليل الهادئ تزينه النجوم اللامعة، لكنه لا يبكيه هذه المرة كما بكى القدماء لياليهم وجعلوها رمزا لطول الفراق والبعد والنوى بأن يحمل ليله دلاله رمزية مختلفة، إذ لا تتعدى واقع الاحتلال المظلم وواقع الشاعر في بلاد الغربة، وما المشاهد الرومانسية المتمثلة في معجم كثر وروده في شعر المهجريين إلا تأثير

[129] ـ عمر بو قرورة "الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)"، ص 184
[130] ـ أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر "، ص 209.

راسخ في وجدان سعد الله لم يستطع الانقلاب منه، رغم أنه يعيش مرحلة الواقعية الثورية. وقد حاول أن يجعل هذا الليل محورا لغربته وطريقا لحنينه لأنه يريده رسولا لوطنه ويتوسل إليه أن يعي ذلك في محاولة منه لاختراق جدار الغربة"[131] الذي يحيط به[132]:

يا ليل تمهل

لا تهرب، لا تخجل

سأغني لنجومك

سأناجي قصرك

سأمزق أسراري

عن ناري

" ولذلك لا نعتقد أن يكون لرمز (الليل) و (السماء) عند سعد الله مدلولا مشابها لما كان عند المهجريين، فلا يعني (الليل) أو (السماء) أو (الغروب)، سوى الواقع الجزائري بكل ما فيه من ظلم وقهر، ولكل ذلك يجسد سلطة الاحتلال، والتشابه الوحدي الذي يجمع هذا النوع من القصائد بشعر المهجرين إنما يكمن في المعجم الرومانسي الذي طعن على أعمال بعض الشعراء الجزائريين في هذه الفترة الفاصلة الرومانسي الذي طغى على أعمال بعض الشعراء الجزائريين في هذه الفترة الفاصلة بين الشعر الرومانسي والشعر الواقعي."[133]

[131] - عمر بوقرورة" الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 185

[132]- أبو القاسم سعد الله ، " الزمن الأخضر " ، ص 303.

[133] - عمر بو قرورة ، " الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" ، ص 265 .

كانت هذه بعض السمات الفنية التي امتاز بها شعر سعد الله ، الذي يعتبر كما سبق و أن ذكرنا من رواد الشعر الحر في الجزائر .

ثانيا : النقد الأدبي عند سعد الله

I. حركة النقد الأدبي الحديث في الجزائر

إنّ النقد الأدبي في حد ذاته؛ إنما يسعى إلى"معرفة الصور الجمالية، للقطعة الأدبية، وتقدير الصفات الأساسية التي يجب توفرها ليكون النص أثراً فنياً خالدا"[134]، وهو يمتد في بعده إلى زمن قديم جدا، إذ يمكننا أن نربط بدايات تشكّله الأولى باليونان، حيث تجلّى الاهتمام واضحا بالعملية النقدية معهم، خاصة بعد ظهور أطروحات أفلاطون وتلميذه «أرسطو» فيما ارتبط منها بـــ"نظرية المحاكاة" التي حاولت تفسير ما ينْظُمه الشعراء في مختلف الأنواع الأدبية من ملاحم ومسرحيات وغيرها، فاعتبر «أفلاطون» أن ما يقوم به الشعراء إنما هو تشويه لما هو كائن –الطبيعة، في حين رأى «أرسطو» بأن هذه"المحاكاة"لا تقف عند حدود ما هو كائن، بل تتعداه لما ينبغي أن يكون، ولأجل ذلك كان لا بدّ من الاهتمام بتلك الأعمال وتحليلها لمعرفة مواطن الجمال

---

[134] - مخلوف عامر، " متابعات في الثقافة والأدب " ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002، ص 205.

فيها، وقد أولى «أرسطو» عناية كبرى للشعر والإبداع من خلال ما أسماه"نظرية التطهير"التي تناقش فكرة التأثير الذي يحدثه الإبداع في نفسية المتلقي.

بينما ارتبط النقد عند النقاد العرب"القدامى"، ارتباطا وثيقا بالبحث عن سرّ الجمال والإعجاز في القرآن الكريم، وعلى ضوء مختلف الدراسات التي تناولت هذا الأخير في جوانبه المختلفة؛ اللفظية والنحوية والتركيبية والدلالية والنظمية، تم وضع الكثير من المبادئ والأسس لتحليل وتقييم الإبداع، غير أن بدايات هذا النقد العربي كانت في أكثرها أحكاما ذوقية، انطباعية، ناتجة عن التأثر بالنص، ولا تقدم تعليلا إلا فيما ندر. أي أنّ المفهوم اللغوي للنقد؛ كان متعلقاً بتميز الجيد من الرديء، وهكذا ألقى هذا المعنى بظلاله على المعنى الاصطلاحي، فإذا تأملنا أداء النقاد العرب. فإننا نجدها تفصح عن مفهوم أساسي مشترك بينهم مؤداه أنّ العملية النقدية هي فرز بين الغث والثمين، فالناقد عندهم كالصيرفي الخبير بالعملة " الذي يميز الدراهم ويخرج الزيف منها"[135].

إلّا أنّ النقد العربي تطور ، " وتوالت الكتب النقدية بعد ذلك كـ "طبقات فحول الشعراء " لابن سلام الجمحي" و"البيان والتبيين" للجاحظ و"البديع" لابن المعتز و"نقد الشعر" لقدامة بن جعفر وكتاب " الموازنة" للآمدي و" العمدة" لابن رشيق القيرواني و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني و "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لأبي الحسن جازم القرطاجي وغيرهم."[136]

و في عصرنا الحديث حدث تطور حضاري في أدوات الثقافة " قرب بين الفن ومتذوقيه "[137] ، وكان مجيء " النقد الأدبي الحديث تجاوزا مؤسسا للأفكار

---

[135] - ابن منظور: " لسان العرب "، المجلد 3، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1994م، ص 425.

[136] - محمد مرتاض، " النقد المغربي القديم في المغرب العربي" ، دمشق، سوريا، اتحاد الكتاب العرب، ص 3.

[137] - مصطفى صاوي الجويني، " أبعاد في النقد الأدبي الحديث "الإسكندرية، مصر، 1998، ص 68.

النقدية القديمة، فظهرت علوم متنوعة وأنواع أدبية جديدة، واكبها أيضا ظهور كثير من المناهج النقدية، والتي تسلحت بكثير من الأسس العلمية والفلسفية والنفسية والاجتماعية، من أجل إيجاد نقد يتسم بالموضوعية، أو على الأقل يسعى لأن يكون موضوعيا في تحليلاته ".[138]

وإذا كان هذا ما وصل إليه النقد الأدبي الحديث في الدول العربية و الغربية سؤال هام يفرض نفسه هنا هو : " **ما هو حال النقد الأدبي الحديث في بلادنا ؟**

و ما هي المراحل التي مر بها ؟

إنّ المتتبع والمهتم بالحركة الأدبية في الجزائر، سيلاحظ في يسر، كثرة الكلام عن أزمة النقد الأدبي. ومن غير شك إنّ لهذا الكلام جذوراً، كما أن هناك اختلافاً في طبيعة الأزمة ذاتها وفي تحديد هذه الجذور.

إنّ الحركة النقدية الجزائرية الحديثة مافتئت تبحث عن نفسها وتجدد في مناهجها وأدواتها وإجراءاتها ومصطلحاتها (النقدية)، مواكبة بذلك الراهن الثقافي والحضاري، ذلك لأن النقد الأدبي يتأثر حتما بفعل التحولات الثقافية والحضارية التي تسود البيئة والمجتمع. يقول الدكتور مخلوف عامر: "إذا كان النقد حلقة في السلسلة الثقافية التي تسود المجتمع في ظروف معينة، فإنه–من غير شك–يتأثر بالوضع الثقافي العام في الوقت الذي يمارس فيه–هو الآخر– تأثيره في البنية الثقافية" [139]. وإذا كان الأدب – باعتباره– تمظهرا ثقافيا وشكلا من الأشكال التعبيرية، فإنه يتفاعل هو الآخر بشكل جدي مع الظاهرة النقدية،بحيث يؤثر فيها ويتأثر بها،إن سلبا أو إيجابا. "ولأن الفكر الثقافي الاستعماري في بداية القرن العشرين كان يسعى إلى القضاء على

[138] - إبراهيم رماني " أسئلة الكتابة النقدية " ، المؤسسة الجزائرية للطباعة،منشورات المجاهد الأسبوعي. و انظر كذلك، أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

[139] - مخلوف عامر، " متابعات في الثقافة والأدب "، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ،2002م، ص205.

الثقافة المحلية الأصيلة ونشر ثقافة استعمارية بديلة ذات طابع كولونيالي مهمته وطمس المعالم الوطنية والتاريخية، بما فيها الموروث الثقافي العربي الأدبي والنقدي.في ظل هذا الجو الثقافي القاتل كان من الصعب الحديث عن حركة نقدية جزائرية ناضجة ومكتملة، وهذا أمر طبيعي له ما يبرره وهو أن الحركة النقدية الأدبية في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين اتسمت بالضعف والاضمحلال والركود على عكس ما شهدته في النصف الثاني منه " [140].

وإذا كان الاستعمار هو الفاعل الرئيس والمؤثر السلبي في الحركة الأدبية والنقدية– في هذه الفترة – " فإن هناك عوامل أخرى أسهمت– أيضا – في ضعف الحركة الأدبية والنقدية في هذه الفترة، وهي أن معظم الأدباء النقاد انشغلوا بالجانب السياسي ملبين بذالك نداء الوطن، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإن الاستفادة من الثقافات الأخرى سواء العربية أو الأجنبية كانت ضعيفة أيضا"[141]

لقد بات من المستحيل الحديث عن نظرية نقدية جزائرية –في تلك الفترة –كما هو شائع ومتداول بين النقاد والدارسين اليوم،[142] وهو ما أدى بمحمد السعيد الزاهري – واصفا المشهد الثقافي آنذاك– إلى التصريح بالقول: "أعرض على أدبائنا وكتابنا الجزائريين هذه القصيدة القصيرة، وأرجو من كل أديب (قدر على نقدها) أن ينتقدها انتقادا أدبيا، وأن يرينا أنموذجا من هذا الفن الجميل، فن النقد الذي هو ميز الخبيث من الطيب، والخطأ من الصواب، والصحيح من الفاسد، فإننا قد عرفنا أنّ بالجزائر شعراء فحولا، وكتبة متقدمين، وعرفنا مقدرتهم في

[140] - أنظر، عمار بن زايد، " النقد الأدبي الجزائري الحديث "، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990، ص: 7، 8.
[141] - أنظر ، مخلوف عامر، المرجع السابق، ص 208.
[142] - أنظر: محمد مصايف، " النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي "، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 2 ، الجزائر ،1984 ص17

أغلب وجوه الكتابة إلّا في النقد الأدبي، فإننا لم نعرف مبلغه ببلادنا الجزائر.فهل يتقدم أحد من حملة الأقلام إلى هذه القصيدة، فينتقدها بإنصاف يكشف عن سيّئاتها، ولا يظلم حسناتها؟ ، ليس الانتقاد هو الاقتصار على المدح أو القدح متى وجدا معا"[143] فالزاهري تعمد إبراز الضعف في هذه القصيدة ليختبر يقظة النقاد ومدى قدرتهم وحذقهم في الكشف عن مواطن الخلل والجودة فيها "[144] ، وهو ما جعله يعتقد بأنّ "النقد تمييز الخبيث من الطيب والخطأ من الصواب والصحيح من الفاسد، وهي نظرة جزئية لا تخرج عن الدائرة التقليدية في حكمها على البيت الواحد منفردا في إطار القصيدة، وفي كشفها أيضا عن السيئات والحسنات داخل هذه القصيدة.

هكذا تداخلت المؤثرات (الأدبية والنقدية) "[145]، واختلطت المفاهيم والمصطلحات ولم تتحدد بذلك وظيفة الأديب من الناقد، فأصبح الأديب ناقدا والناقد أديبا.

وبالرغم من ذلك فقد شهدت الساحة الأدبية الجزائرية قبل الاستقلال بعض " المحاولات النقدية احتضنتها مجموعة من الصحف والمجلات، كان من أهمها : المنتقد، والشهاب، والبصائر(جمعية العلماء المسلمين)، وكان أبرز كتابها نقادا وأدباء أمثال: محمد البشير الإبراهيمي،وأحمد رضا حوحو،وأبي القاسم سعد الله وعبد الوهاب بن منصور"[146]. لم تخرج هذه الانطباعات النقدية الصحفية عن إطار الاتجاه التقليد الكلاسيكي الذي رسمه لنا نقادنا الأوائل، فقد " كانت مجهودات جمعية العلماء المسلمين تسير في إطار الاتجاه التقليدي التراثي،

[143] - الشهاب في 17/ 1925/12، نقلا عن عبد الله الركيبي، " تطور النثر الجزائري الحديث " ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 263-239.
[144] - أحمد يوسف، " السلالة الشعرية في الجزائر، علامات الخفوت وسيماء اليتم "، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس الجزائر،2004، ص 75.
[145] - أنظر ، عبد الله الركيبي، المرجع السابق، ص 250.
[146] - أنظر، محمد مصايف، " النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي "، ص 5.

وذلك بإحيائها للأصول التراثية فكان منها أن اهتمت بعلوم اللغة العربية وآدابها ضمن توجهها الإصلاحي الديني والوطني.

" إنّ الدّور الفاعل الذي لعبته جمعية العلماء المسلمين يكمن في أنها أشارت إلى عناصر الهوية الوطنية (الدين، اللغة ، والوطن)، غير أنها كانت بعيدة كل البعد عن الممارسة النقدية العالمية والعربية "[147].

إنّ المشهد الثقافي والنقدي الجزائري –في هذه الفترة– " لم يخرج عن إطار الدائرة التقليدية، إذ أصبح من المستحيل –قبل الاستقلال– الحديث عن عمل نقدي متميز إلا نادرا تجلى في بعض الانطباعات النقدية الصحفية المرسومة من قبل الأوائل. وهكذا فقد "كانت النظرة التقليدية إلى الأدب والفن عندنا لا تهتم بالمنطق والعقل والعاطفة، بل ترتكز على الموروث الديني لحماية النفس من الضياع في عالم الكولون الاستعماري. فلم تخرج نظرتهم إلى الحياة عن الأخلاق العامة والعادات المحلية ومحاولة محاكاة القدماء لفظا ومعنى". و"في ظل هذا الجو القاتم صدرت بعض المحاولات النقدية المجددة والرافضة للتقاليد الموروثة، يتعلق الأمر بتلك المحاولات التي قدمها رمضان حمود وأحمد رضا حوحو اللذان كانت لهما آراء تجديدية لمفهوم النقد والأدب، تنفتح على الثقافات الأخرى. يقول أحمد رضا حوحو: "ومن التعصب الذميم أن ننكر النافع الجيد من مذاهب الغير في الأدب والفنون لأن أصحاب هذا المذهب أو ذاك لا يمد إلينا بصلة"[148]

II. المراحل الّتي مرّ بها النقد الأدبي الحديث في الجزائر:

[147] - أنظر:مخلوف عامر، " أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر "، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران،2005، ص 71

[148] - مخلوف عامر، المرجع السابق، ص ، 210.

مرّ النقد الجزائري بعدة مراحل تاريخية يمكن إيجازها في ما يلي[149]:

المرحلة الأولى: تتمثل هذه المرحلة في الحملات التي كان يقوم بها بعض شيوخ الجزائر في أوائل هذا القرن، يدعون فيها إلى نبذ الجديد والتشكك في قيمته الفنية والموضوعية وإلى الأخذ بالقديم لا باعتباره نماذج خالدة ول ك ن باعتباره تراثا قوميا. ومن هنا يجب التمسك به و العودة إليه مهما كانت قيمت ة الجمالية. ولهذه المرحلة مبرراتها من الواقع السياسي والثقافي آنذاك. وكان على رأس هذه المحاولات الشيوخ أبو القاسم الحفناوي وعبد القادر المجاوي والمولود بن الموهوب ومحمد بن أبي شنب ومحمود كحول، وذلك في المحاضرات والدروس والندوات التي كانوا يلقونها في الثعالبية ونادي صالح باي ومدرسة الجزائر، أو في الآراء التي كانوا يدلون بها في الصحافة المحلية والتوجيهات الشخصية لتلاميذهم"[150].

المرحلة الثانية: وهي تظهر فيما كان يدرسه الشيخ عبد الحميد بن باديس لتلاميذه من طرائق في الأدب وأساليبه، من اللفظة الجزئية حتى البناء الكامل، فقد كان الشيخ طريقة خاصة في تناول الحياة كلها، تشهد له بالحذق والبراعة، إذا كان يدعوا تلاميذه والمنتفعين بثقافة إلى القديم والجديد معا القديم في محاسنه ورزانته، والجديد في طلاقته وتطوره.

وإذا كانت هذه الدعوة من الأشيخ عامة، تشمل أسلوب الإصلاح جميعا، فلقد كانت أوضح ما تكون فيما عالجه من وسائل الأدب لتلاميذه ولاسيما في دراسته للكامل والأمالي وغيرهما.

---

[149] - ينظر التقسيم المرحلي الذي قدمه كل من عبد الله الركيبي في كتابه"تطور النثر الجزائري الحديث"، ص: 239-260، وأبي القاسم سعد الله في كتابه: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط5، 2007 ، ص: 79-83 ، واسيني الأعرج، " اتجاهات الرواية العربية في الأدب الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص61.

[150] - أبو القاسم يعد الله ، "دراسات في الأدب الجزائري الحديث" ، ص 80.

المرحلة الثالثة: مثل هذه المرحلة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان له دور بارز في الحركة الأدبية والنقدية على غرار زميله الشيخ بن باديس، وقد كانت إسهامات وآراء الإبراهيمي الصحفية، ولاسيما في جريد البصائر خير موجه للأدباء والنقاد نظرا لما كانت تنشره الجريدة من نصائح وشروط للأدباء والكتاب الذين كانوا يرغبون في الإنشاء والقول كما استعمل الشيخ البشير الإبراهيمي ثقافته اللغوية والأدبية الكبيرة في انتقاد الأدباء والشعراء وتقييمهم وتنبيههم إلى مواطن الجودة والرداءة في أعما لهم.

المرحلة الرابعة: تبدأ هذه المرحلة بعد الحرب العالمية الثانية والتي تضاعف فيها الإحساس بالأدب والنقد وأهميتهما ودورهما، وعلى الرغم من الصلة التي تربط هذه المرحلة بالقديم إلا أنها تحررت بعض الشيء في أسلوبها وموضوعها، كما طبقت بعض المذاهب النقدية الحديثة، كالمذهب الواقعي الذي ظهر واضحا في أدب أحمد رضا حوحو والمذهب السلوكي في إنتاج أحمد بن ذياب والمذهب الرومانسي الذي مثله كل من حمزة بوكوشة ورضا حوحو وأحمد بن ذياب وعبد الوهاب بن منصور ومولود الطياب، وغيرهم.

كانت هذه لمحة موجزة ومختصرة عن المراحل التي مرت بها الحركة النقدية في الجزائر حتى الاستقلال، والتي يمكن تصنيفها ضمن المحاولات النقدية، أو دون مستوى المحاولات الأدبية على حد تعبير عبد الله الركيبي، لأن النقد حتى الاستقلال لم يركز على النص بقدر ما ركز على أسباب الركود والجمود "[151] ولم يتم الانفتاح على الثقافات الأجنبية العالمية بل وحتى العربية، التي عرفت نشاطا نقديا كبيرا لاسيما مجهودات مدرسة الديوان وأبولو والمهجر.

[151] ـ أنظر عبد الله الركيبي، "تطور النثر الجزائري الحديث " ، ص252.

III. إسهامات أبو القاسم سعد الله في مجال النقد :

لأبي القاسم سعد الله عدة مقالات تعنى بالنقد الأدبي في الجزائر. و قد نشرها في مجلات جزائرية و أخرى عربية ، عالج من خلالها واقع النقد الأدبي في الجزائر و ما كان يعانيه من ضعف ، و إذا أردنا التدليل على ذلك يمكننا العودة إلى كتابه " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " أو كتابه " تجارب في الأدب و الرحلة " أو كتابه " قضايا شائكة "

و في إجابته عن إحدى الأسئلة الموجهة إليه حول مدى اهتمامه بالنقد يقول : " و كنت إلى جانب ذلك ولوعا بالنقد الأدبي و كنت أحاول إثارة " الشغب" حول القضايا الأدبية، حتى أنني ذات مرة نقدت نفسي بنفسي، عندما لم أجد نقادا يعاركونني. و إذا عدت إلى كتابي (تجارب في الرحلة و الأدب) ستعرف ذلك، و كذلك كتابي (دراسات في الأدب الجزائري الحديث). و ما زال لدي مقالات عالجت فيها النقد لم تنشر بعد."[152]

وعن ضعف الحركة النقدية في الجزائر يقول سعد الله : " نحن لا نستطيع الحكم بضعف النصوص أو قوتها إلّا بالنقد . أما ضبابية المناخ الديمقراطي فلا نسلم به أيضا لأننا لم نسمع أنّ هناك عملا نقديا متفوقا حاربته الرقابة السياسية ، و لعل الصواب أن نبحث في ضعف النقد نفسه و في جبن الناقد أيضا. و النقد عندنا يكاد يكون معدوما، لأننا لا نقدره حق قدره و لأننا لا نعرف أو لا نؤمن بأهميته في حياتنا و في مصيرنا و على أجيالنا. نحن قوم نخاف الكلمة المكتوبة. ألا ترى إننا ننقد بعضنا في المقاهي و في المجالس العامة و لكننا لا ننتقد بعضنا في الجرائد و الكتب و الندوات؟ و هذا الخوف من النقد و من الكلمة المكتوبة بالذات شيء شائع في حياتنا اليومية ، سواء كانت سياسية أو

---

[152] - أبو القاسم سعد الله ، " قضايا شائكة " ، ص 64 .

أدبية. فالسياسي لا يعتبر النقد نصحا و غيرة وطنية و تقويما و لكنه يعتبره ضدية و مخاصمة و تخريبا، و الأديب المنتج لا يرى في النقد تصحيحا و طلبا للأفضل و الأجود من الإنتاج الأدبي و لكنه يعتبره تثبيطا و مساً بالكرامة و الشرف.

و قد كنت كتبت عن هذه الظاهرة بالنسبة للكتابة و التاريخية بالذات، و لكن ذلك يمكن تعميمه على مختلف أنواع الإنتاج عندنا، و منه النقد الأدبي. و لعلني لا أكون مغاليا إذا قلت إن جبن الناقد هو السبب فيما تعانيه الجزائر من غياب النقد. و المعروف أنه ليس كل من حاول النقد ناقدا ، فهناك شروط يجب أن تتوفر في الناقد و منها الكفاءة و الثقافية بأوسع معانيها ، و القدرة على فهم و تذوق النص ، ذلك إن الناقد لا يخوض معركة شخصية مع صاحب النص و لكنه يقدم قيمة للجيل المعاصر و من بعده ، و في ذلك مسؤولية أدبية و تاريخية كبيرة.[153] ... و كثيرا ما التقيت شخصيا ببعض المثقفين العرب في البلاد الأجنبية و علمت أنهم هاربون من جحيم أوطانهم و استبداد أنظمتهم ، بل إن بعضهم هارب بحياته ، و هذه مأساة حقا بل جريمة في حق الوطن و الثقافة القومية.

و لكن رأيي هو أن معارضة السلطة الظالمة لا يكون بالهروب منها بل بمواجهتها، و الحرية المنشودة شيء يؤخذ غلابا و لا يمنح منحا. و الغربيون لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من حرية في التفكير و التعبير إلّا بعد قرون من النضال المستمر و الضحايا الكثيرين. أما ترك المجال خاليا أمام السلطة الظالمة المستبدة فذلك بالضبط ما تريده ، و ذلك أيضا ما يؤخر عندنا قضية حرية الفكر و القول أجيالا و أجيالا. و حقيقة أن المثقف الهارب من السلطة الظالمة إلى الخارج يجد الأمن و الحرية و الاعتبار ، و لكن هذه الأمور لا

[153] - أبو القاسم سعد الله ، " قضايا شائكة " ، ص66 .

تخدم إلا ذاته و لا ترجع بأي فائدة على وطنه و ثقافته. يضاف إلى ذلك أنني على يقين من أن هذا المثقف سيكون عائشا ، مع ذلك ، في تمزق داخلي قاتل إذا كان له ضمير حي و شعور بالواجب نحو وطنه و ثقافته. أما فاقد الضمير الحي و الشعور بالواجب فذلك لا يعييني هنا لأنه شخص أناني باع نفسه و معارفه و ضميره من أجل أمن زائف و حرية وهمية و اعتبار خادع." [154]

ثم يركز على أنّ النقد الأدبي يرتبط ارتباطا وثيقا بأنواع النقد الأخرى ، فيقول "....أما النقد بالمفهوم الخاص(النقد الأدبي) فلا يشكل في نظري إلّا جزء من القضية ، بل لعله يأتي نتيجة أنواع النقد الأخرى. و إذا لم يكن الأمر كذلك ، فما معنى النقد الأدبي في غياب النقد السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي..؟ خذ مثلا توجيه الثقافة في بلادنا العربية –الإسلامية. هل هو أمر يهم فئة معينة (النقاد) أو هو قضية الجميع مهما اختلفت مسئولياتهم ..؟ إن نقد البرامج التلفزيونية و السينمائية و الإعلامية و طبع الكتب و توجيه البعثات الطلابية إلى الخارج و التبادل الثقافي مع الدول الأخرى، كل ذلك يعتبر في نظري قضية الجميع و ليس قضية (النقاد) بالمعنى التقليدي للكلمة." [155]

و لعل المتتبع لأعمال سعد الله النقدية ، سيلاحظ بأنّ المقال النقدي عنده يتميز بثلاثة أقسام أساسية :

أولا : مقالة النقد الأدبي

و كمثال على ذلك مقالته " في ظلال النقد – مع حمار الحكيم " التي نشرها في (البصائر) عدد 250 (11 ديسمبر 1953) . و كانت هذه الكلمة من أوائل ما كتب في النقد الأدبي . و قد رد عليه الأستاذ حوحو في العدد التالي من (البصائر) بكلمة جعل عنوانها (في ظلال النقد) و إشارة إلى كلمة سعد الله

154 - المصدر نفسه ، ص : 72 ، 73

155 - المصدر السابق ، ص 95 .

التي جعل عنوانها (في ظلال النقد) و قد اتهمه في كلمته بكونه لا يزال طالبا و متأثرا بما يقرأ في الكتب المدرسية ."[156] كما نشر مقالات تعنى بالشعر الجزائري كمقالة " تصميم للشعر الجزائري الحديث " [157] و مقالة أخرى تحدث فيها عن الأدب الجزائري و مؤثراته و تياراته "[158]

ثانيا : مقالة نقد الشخصيات

و قد تعرض إلى شخصيات كان لها دور فاعل في الساحة الأدبية كمقالة " محمد العيد كبير شعراء الجزائر " . نشرها في مجلة الآداب البيروتية عدد مايو ، 1960. كما انتقد شخصيات تعمل في المجال السياسي . كالمقال الذي نشره في جريدة الشعب يوم 1990/02/19م. بعنوان تهويمات الأستاذ حسين آيت أحمد .

ثالثا : مقالة نقد النقد

وكما سبق و أن أشرنا ، يمكن للباحث أن يجد عدة مقالات لأبي القاسم سعد الله نقد من خلالها بعض المقالات النقدية التي نشرها غيره أو حتى تلك التي نشرها هو نفسه مثل مقالة " في طريق إلياذة جزائرية – أرض الملاحم – ")، و التي نشرت في البصائر " ، 264، 1954م بإمضاء إبراهيم الحمداني و هو إمضاء استعاره للرد على نفسه ، كما أنّ نفس الكلمة نشرت الآداب اللبنانية بإمضا ء رشيد الخوري و هو أيضا سعد الله" [159] . "و كان لنشر ذلك المقال قي مجلة

---

[156] - أنظر أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص 117 .
[157] - أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث " ، ص 31 .
[158] - أنظر ، المصدر السابق ، ص 21 .
[159] - المصدر السابق ، ص 158 .

مشرقية راقية " كالآداب" أثر كبير في نفسه. و يبدو أن أرض الملاحم " كان نوعا من التنبؤ لأنه تحدث فيه قبل الثورة بحوالي سنة."[160].

كانت هذه لمحة موجزة عن بعض إسهامات الدكتور سعد الله في مجال النقد الأدبي الجزائري الحديث .

[160] - أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " منطلقات فكرية " ، ص 45

الفصل الثالث:

فن الرّحلة والقصّة القصيرة عند سعد الله

الفصل الثالث: فن الرّحلة والقّصة القصيرة عند سعد الله

أولا : أدب الرّحلة عند سعد الله:

لقد ارتبطت حياة الإنسان ارتباطا وثيقا بالتّنقل الدائم، والسّعي في أرجاء الأرض طلبا للرّزق ثم طلبا للمعرفة فأصبحت عادة التّرحال متأصلة فيه.

وقد شاع أدب الرحلات لدى العرب منذ القديم، وهو فنّ له خصائص معينة بل إنّه كما يقول شوقي ضيف، "يرفع التّهمة الّتي ترى أنّ الأدب العربي لم يعالج فنّ القصة، لأنّ الحديث عن الأمم والبلدان ووصف المجتمعات الّتي يمر بها الرّحّالة أو يقصدها إنّما هو بصورة ما لون من ألوان القصّ"[1].

ويمتاز أسلوب الرحلات عامة "بالتسجيل والوصف الإنشائي التعبيري ويعتمد على الملاحظة الدقيقة المباشرة أو على الخيال حين يكون الوصف للطبيعة أو الكون أو غيرها مما ينفعل به الأديب الرحالة فيلونه بشعوره وإحساسه ويعطيه من نفسه الشّيء الكثير"[2].

والواقع أن هذا الفن موغل في القدم، عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة [3] والفينيقيين والرومان والإغريق ثم جاء الرّحالة العرب الّذين جالوا الآفاق، واشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا فلم تلبث الرّحلة حتّى صارت فنّا عربيا أصيلا في النثر العربي بسِماته التاريخية و الجغرافية ، و اهتمامه بحياة الناس و تقاليدهم و أنماط عيشهم ، و بمضمونه الفكري و الاجتماعي ، و أسلوبه الأدبي المتميز غالبا عما سواه .

---

[1]- شوقي ضيف، " الرحلات " ، دار المعارف، ط3، مصر ، د.ت ، ص 7 .
[2]- شوقي ضيف ، " الرحلات " ، ص 9
[3]- "لعل أولى رحلات الإنسان تلك الرحلات التي قام بها المصريون القدامى، وقد سجلوا ذلك على جدران معا بدهم بتصاوير بديعة لسفنتهم وهي عائدة من رحلتها في البحر الأحمر" ينظر، شوقي ضيف "الرحلات"، ص 7

و قد قطع فنّ الرّحلة في الأدب العربي شوطا كبيرا نتيجة للفتوحات الإسلامية الّتي جعلت العربي يتطلّع إلى ما وراء الجزيرة العربية فظهر كتّاب في القرن الثالث الهجري أمثال أبي العباس أحمد بن يعقوب المعروف باسم اليعقوبي بكتابه " كتاب البلدان "و كذلك " البلاذري "[4] الّذي يغلب على عمله التاريخ على الجغرافيا ، و قد تبعه في القرن الرابع الهجري المسعودي [5] بكتابه " مروج الذهب[6] عن" أخبار الزمان ... و هيأة الأرض و مدنها... و أخبار غياطها و أصل النسل و تباين الأوطان " [7]

ثمّ جاء بعده البيروني الّذي أعتبر همزة وصل بين القرنين الرّابع و الخامس من الهجرة ، " و هي فترة نضج زخرت فيها الرّحلة بالإبداع و التطور ، و باتت ذات استقلالية كنوع أدبي "[8]

ثم انتقل هذا الفن الأدبي إلى الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري بجهود مختلفة يتقدمها عمل الإدريسي " [9] بكتابه المعروف " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " الّذي يمتاز عن غيره " بغزارة مادته في جغرافية المغرب و صقيلية " [10]

و جاءت بعده شخصية أخرى هي ابن جبير وقد خطت الرحلة بعده خطوات متقدمة خصوصا رحلة (ابن بطوطة)[11]الّذي عبر أوطانا وقارات فاحتلّت رحلته

[4] - المتوفى سنة 279 ه-

[5] - المتوفى سنة 346 ه-

[6] - ج1 ، موفم للنشر ، الجزائر، 1989 م ،

[7] - المسعودي ، " مروج الذهب " ، ص3 .

[8] - حسين محمد حسين ، " أدب الرحلة عند العرب " مكتبة الثقافة الشعبية ، القاهرة ، 1976 م ، ص 16

[9] - عاش ما بين (1100 – 1160 هـ)

[10] - زكي محمد حسن ، " الرحالة المسلمون في العصور الوسطى " ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ص 65.

[11]- عاش ما بين (1304 – 1377 م) و قد أطلق على رحلته عنوان " تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار " ، أنظر ، " رحلة ابن بطوطة 1 " ، موفم للنشر ، 1989 م . بدأ رحلته بعدى أن " استكمل دراسته في الفقه و الأدب و القضاء ، جريا على تقاليد الأسرة ."،أنظر جورج غريب ، " أدب الرحلة : تاريخه و أعلامه " سلسلة الموسوعة في الأدب العربي ، دار الثقافة ، بيروت ، ج 7 ، ص 58 .

أهمية بالغة نتيجة " لاتساع رقعتها أولا و بمستواها الأدبي ثانيا و بما حظيت به من اهتمام عالمي في النهاية "[12]

ثم شهد أدب الرّحلة نوعا من الرّكود خصوصا في القرن العاشر من الهجرة و بحلول القرن الحادي عشر انتعش هذا النّوع الأدبي مجددا " وبشيوع الطّباعة الّتي بدأت تقوم بدور مهم في نشر بعض الآثار ، و منها الرحلة ، فاستأنفت منطقة المغرب العربي الإسلامي دورها في فن الرحلة بأعلام مثل " لسان الدين بن الخطيب"[13]والعبدري و العياشي[14] الّذي دون رحلته العياشية تحت عنوان ثان هو ماء الموائد . و ينتهي القرن الثامن عشر بالجزائريين (ابن حمادوش) [15]و الورتلاني [16]مؤلف " نزهة الأنظار في فضل علم التّاريخ و الأخبار " ، و بحلول القرن التاسع عشر ميلادي " نجدنا أمام وضع جديد ، بدأ فيه مجال الرحلة يتسع كما تتخذ لها وجهة جديدة نحو أوروبا ، فكان في مقدمة الرحالين عربيا رفاعة الطهطاوي في رحلته إلى باريس و خير الدّين السّنوسي " [17]هؤلاء الرّحالة وغيرهم، نقلوا إلينا ما كان يضطرب في زمانهم وشاهدنا من خلال رحلاتهم مستوى الحضارة الّتي بلغتها الشعوب
وقد اعترف كثير من الباحثين الأجانب بفضل الرّحّالة العرب ونوهوا بقيمة رحلاتهم من حيث مادتها وأسلوبها وطريقة عرضها.

---

12 - عمربن قينة ،" اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة ، ص 13
13 - عاش ما بين (1313 – 1374 م) .
14 - هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، عاش ما بين 1090،1037 هـ
15 - ولد سنة 1107 ه ، أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري "
16 - المولود في بني ورتلان (1193، 1125 ه) ، (1779،1713 م)
17 - عمربن قينة ،" اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة " ، ص 15

و قد امتد هذا الأدب " عبر العصور إلى أن وصل إلى العصر الحديث ، حيث برز فيه الرّحالة اللّامع الأديب اللّبناني أمين الرّيحاني [18] الّذي ترك وراءه مؤلفات عديدة في هذا الميدان ، و قد لا نزيغ عن سمت الحقيقة ، إذا ما نحن عددنا الشّيخ الإبراهيمي [19] من بين أدباء الرّحلات ، في الوطن العربي في العصر الحديث ، فقد كان لا يزور بلدا إلاّ و سجّل ما صادفه و ما رآه و سمعه في ذلك البلد [20] ورغم الأهمية البالغة الّتي يحتلها أدب الرحلة بين الفروع الأدبية، إلّا أن الاهتمام به يكاد ينحصر لدى فئة قليلة من الباحثين والعلماء من المنشغلين بمختلف الفنون والمعارف في العالم العربي أجمع وفي الجزائر بصورة أخص لكن هذا لم يمنع ثلة قليلة من هؤلاء من الاهتمام والانشغال بأدب الرحلة والرحالة من الزاوية الّتي لها علاقة باهتماماتهم و تخصصهم، ومن بين أهم هؤلاء الأستاذ أبو القاسم سعد الله.

فكيف نظر سعد الله إلى أدب الرحلة وأقسامه بصورة عامة؟ وإلى أدب الرحالة الجزائريين بصورة خاصة؟ ثم هل اكتفى بدراسة هذا الفن الأدبي والرحالة الجزائريين فقط، أم أنه هو الآخر أديب ورحالة علاوة على كونه مؤرخا؟ وأخيرا ما قيمة ما كتبه في هذا المجال؟

يعتبِر الدكتور أبو القاسم سعد الله أدب الرّحلة من الفروع الهامة الّتي لها علاقة بمختلف مجالات البحث فيقول : "أدب الرّحلة فرع هام من فروع الأدب و التّاريخ و الجغرافية و العلوم الاجتماعية على الإطلاق. و قد أجاد فيه العرب المسلمون منذ القديم، و تفوق فيه المغاربة ، لأنهم كانوا يقطعون المسافات البعيدة يحدوهم الحج و الزيارة و الفضول العلمي و الاجتماعي، و لذلك تعتبر

---

[18] - (18676 – 1940)

[19] - (1889 – 1965)

[20] - محمد مهداوي ، " رحلة ابن بطوطة ، قراءة تأملية " مجلة الفضاء المغاربي ، العدد الرابع ، جامعة أبي بكر بلقايد ، رمضان 1428 هـ أكتوبر 2007 م ، ص : 176 ، 177 .

رحلاتهم مصدرا هاما لدراسة أحوال العصر الّذي كتبت فيه. و قد سجلت انطباعاتي شخصيا حول جميع البلدان الّتي زرتها و استطعت أن أصوغ بعض هذه الانطباعات مثل رحلتي إلى المغرب و رحلتي إلى الجزيرة العربية ، و ما يزال الباقي ينتظر الوقت المناسب لاستخراجه من أوراقي و صياغته و نشره"[21].

1 - الرّحالة الجزائريون ورحلاتهم:

اهتم سعد الله كثيرا بدراسة التّاريخ الثقافي بصورة خاصة للجزائر وهذا ما جعله يخصص لذلك أكثر من كتاب ودراسة ، أهمها موسوعته المعروفة باسم " تاريخ الجزائر الثقافي "[22] والّتي تضمنت الحديث عن أدب الرّحلة مفصّلا في الجزأين الثّاني والسّابع من هذا الكتاب حيث يبرز في آخر كل منهما هذه الإسهامات.

يؤكد سعد الله على أنّ الرّحالة الجزائريين أسهموا بمساهمات واضحة وهامة في كتابة الرحلات، وبالأخص في القرن الثّامن عشر[23].

أمّا في المرحلة الاستعمارية فقد عمل الكثير من الرحالة في خدمة الاستعمار الفرنسي كجواسيس وعيون لنقل أخبار المناطق الّتي زاروها للفرنسيين، ليسهل عليهم دخولها فيما بعد. وكثيرا ما استعان هؤلاء على مشاهدات الرحالة، الذين كانت تتفق رحلاتهم في العديد من الأحيان وفق رغبة وأهداف سلطان الاحتلال

[21]- أبو القاسم سعد الله ، "قضايا شائكة " ، ص 83 .

[22] - مصدر سبق ذكره .

[23]- أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، الجزء الأول ، ص 124 .

الفرنسي والتي كانت تأمر البعض منهم بالتوجه إلى هذه المنطقة أو تلك ونقل مشاهداتهم وانطباعاتهم أيضا.

بصورة عامة يستخلص سعد الله بأن تدوين الرّحلات إلى الجزائر قليل، رغم إسهاماتهم الّتي لا تُنكر، وهذا مقارنة بالمغاربة مثلا والّذين كانت رحلاتهم مدونة ومعروفة أيضا، إلاّ أنّ هذا لا يعني غياب الرّحالة الجزائريين حسب الدارس، وإنّما يعود إلى كون أغلب الرّحّالة مشاهداتهم ورحلاتهم بسبب غياب حس التدوين لدى البعض منهم إضافة إلى بقاء الكثير منهم في البقاع المقدسة.

2- أنواع الرحلات الجزائرية:

يقسم المهتمون بأدب الرحلة الرحلات إلى أقسام تختلف باختلاف مسببات هذه الأخيرة وأهدافها، والحقيقة أنّ هذا التّقسيم لم يعرف في البدايات الأولى لأدب الرحلة، وإنما عرف كما يقول مولاي بلحميسي : "عندما زاد على الرحلة الإقبال تنوعت الأغراض وتعددت الموضوعات وتطور هذا الفن الأدبي كما وكيفا، أصبح من الأهمية بمكان بحيث لا تكتمل ثقافة الإنسان بدونه كما أصبح من المصادر التاريخية "[24] ، في حين يذهب مصطفى ماهر إلى القول في هذا الصدد:" ويمكن القول أن أنواع الرحلات وهي: الرّحلة العلمية، الرّحلة المسلية، الرّحلة الدينية، الرّحلة السياسية، أصبحت واضحة المعالم وأن كلّ نوع سار في طريق التّطور، فمنها ما انكمش مثل الرّحلة الد ذينية، ومنها ما عظم شأنه مثل الرحلة العلمية التي تسعى إلى كشف جغرافي أو جيولوجي أو أثري".

[24] - "الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني" ، محاضرة ألقاها الدكتور سعد الله أثناء حضوره في ملتقى

وقد تنبه سعد الله إلى هذه المسألة في كتاباته المختلفة مبكرا وهو ما نجده في حديثه عن رحلات الرحالة الجزائريين في قوله: "وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج، وبذلك تكون رحلات حجازية: وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون علمية"[25].

أ- **الرحلة الحجازية:**

بالنسبة لأبي القاسم سعد الله فإن الجزائريين في العهد العثماني بصورة خاصة كانت أكثر رحلاتهم إلى بلاد الحجاز بعامة وبلاد الحرمين بخاصة، وعلى هذا الأساس فإن :" الجزائريين الّذين توجهوا إلى الجزيرة العربية خلال العهد العثماني لم يذهبوا إليها كجغرافيين أو مؤرخين، وإنّما توجهوا إليها حجاجا يؤدون الفريضة ويزورون الحرم الآمن لذلك كانت قلوبهم إلى البقاع المقدسة تسبق أرجلهم وخيالهم يتجاوز مرمى أبصارهم وأشواقهم إليها تنسيهم آلام الطريق و وعثاء السفر"[26].

و يضيف قائلا:" إنّ توجه الجزائريين إلى الحجاز كالعادة نتيجة توق روحي نحو الحرمين وزيارة البقاع الّتي وطئتها أقدام الرسول صلوات الله عليه وسلم وصحابته: فالحجاز في نظرهم ليست بقعة جغرافية تُزار للسّياحة والعلم ونحو ذلك، ولكنها كانت قطعة أرض طاهرة تضم تاريخ الوحي والدّعوة والأمة الإسلامية"[27].

لذلك يسجل فيها هؤلاء انطباعاتهم المتأججة وأحاسيسهم الفيّاضة بالطريقة الّتي تروقهم ونقصد بذلك الاستعانة بالشعر أو النثر، ومنه انقسمت الرّحلة الحجازية بدورها إلى رحلة حجازية شعرية وأخرى نثرية .

---

[25]- أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، الجزء الثاني ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998 م ، ص 381

[26]- أبو القاسم سعد الله ، " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر " ، الجزائر ، 1978 م ، ص 75

[27]- أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، الجرء الثاني ، ص 387 .

- **الحجازية الشعرية:**

لا بد من الإشارة هنا إلى أن الجزائريين كغيرهم من الرحالة لم يهتموا كثيرا بالرّحلة الشّعرية، إلاّ أنّ هذا لم يمنع البعض منهم كما يرى سعد الله " من تدوين رحلاتهم شعرا وهذا ما يستخلصه من العديد من الرحالة كما هو الأمر بالنسبة "لعبد الله بن عمر البسكري" الّذي يفتتح رحلته الشّعرية الحجازية بقوله:

دَارُ الحَبِيبِ أَحَقٌّ مِنْ أَنْ تَهْوَاهَا وَنحن مِنْ طَرْفٍ إِلَى ذِكْرَاها"[28]

ثم يضيف في حديثه عن الرحلة الشعرية بأنّ الجزائريين لم يدوّنوا رحلاتهم الشّعرية باللّغة العربية الفصحى فحسب وإنّما استعان البعض منهم بالشّعر الملحون في تدوينها أيضا وكمثال عن الرّحلة الفصيحة يقول: "وما كتب بالفصيح قصيدة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني الّتي فرغ منها سنة1152 هجرية وهي قصيدة همزية متوسطة الجودة وصف فيها مراحل رحلته من تازة ، حيث كان يقيم إلى الحرمين الشريفين ثم منهما إلى الشام . والقصيدة تبدأ هكذا :

أزمع السير أن دهت أدواء لشفيع الأنام فهو الدواء "[29]

ثم يتحدث عن نظم عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي لرحلته من "مجاجة إلى مكة المكرمة في قصيدة مطولة فصيحة سنة 1063 هـ و هي تبدأ على النّحو التالي :

نشق الفيافي فدفدا بعد فدفد جبالا و أوعارا و أرضا وطية"[30]

---

[28] ـ أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، الجرء الثاني ، ص 387 .
[29] ـ المصدر السابق ، ص 388 .
[30] ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

أمّا فيما يخصّ الرحلة الشعرية غير الفصيحة في ذكر قصيدة من الشعر الملحون للشاعر "محمد بن مسايب التلمساني " في القرن الثّاني عشر الهجري والّتي جاء مطلعها على النّحو التالي:[31]

يا الورشان أقصد طيبة وسلم على الساكن فيها

الحجازية النثرية:

أما فيما يتعلق بالرّحلة الحجازية النّثرية فتأخذ نصيب الأسد كما يذهب إلى ذلك الباحثون بما فيهم الدكتور سعد الله الّذي اهتم كثيرا بهذا الصّنف من الرّحلات بل إنّنا نجده يؤكد بأن المقصود بالرّحلات ما كست نثرا وليس شعرا ويعود ذلك " إلى أنّ الأولى هي الّتي يسجل فيها أصحابها انطباعاتهم عما شاهدوه وسمعوه ليس فقط في الحجاز ولكن في مختلف المدن والأقطار الّتي مروا بها من الجزائر إلى بغداد، مرورا بتونس وطرابلس ومصر والجزيرة العربية وسورية والقدس وهلم جرّا [32]

ويضيف مبرزا خصوصية الرحلة النثرية وأهليتها للقيام بالدور الذي أوجدت لأجله بقوله: "ومن المصطلح عليه أن تكون الرحلات نثرية، يتحدث فيها أصحابها عن مشاهداتهم و ملاحظاتهم بلغة واقعية أو قريبة من الواقع، ويحق لنا التساؤل حول القيمة التي تمتاز بها هذه الرحلات والإسهامات الّتي قدمتها".[33]

---

[31] - المصدر السابق ، ص 389 .

[32]- أبو القاسم سعد الله ،" تاريخ الجزائر الثقافي " ، الجرء الثاني ، ص 390 ، أنظر كذلك " الرحلات الجزائرية الحجازية " ، نشرت بالعربية والإنجليزية في وقائع الندوة العالمية الأولى لمصادر تاريخ الجزيرة العربية،الرياض 1978م.، أبو القاسم سعد الله ، " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر "

[33] - أبو القاسم سعد الله ، "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر" ، ص 79

يذكر سعد الله بعض الرحلات الحجازية الجزائرية، ويستفيض في الحديث عن بعضها في حين تجده يشير إشارات خفيفة إلى أكثرها، ويعود ذلك كما يذكر ذلك بنفسه على انه: " لا يوجد من هذا النوع إلّا عدد قليل،....ولسوء الحظّ أنها على قلتها لا تكاد توجد كاملة مخطوطة، فما بالك بها مطبوعة. وسنعرف أنه لا توجد من الرّحلات الجزائرية الكاملة والمطبوعة سوا" رحلة الورتلاني[34]" يورد الباحث أنّ أول رحلة حجازية جزائرية في القرن الثامن عشر كانت للرحالة احمد بن قاسم محمد ساسي البوني، المسماة " الروضة الشهية في الرحلة الحجازية " إلّا أن سعد الله ينبه إلى أنّ: "رحلة البوني تعتبر اليوم ضائعة، فلا ندري بالضبط ما كتب فيها. كما يؤكد على قيمة هذه الرّحلة وأهميتها بقوله:" والّذي لاشك فيه هو أنّ البوني قد حج وتجول في المشرق كما نعرف ذلك من مصادر أخرى كما أنه لم يكتف بذكر شيوخه المكيّين والمدنيّين، بل لا بد أن يكون قد وصف فيها الحياة وأنماطها هناك كما شاهدها بنفسه[35]. أمّا الرّحلة الثانية الّتي يشير إليها صاحبها فهي رحلة عبد الرزاق بن حمادوش والمسماة " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والآل " والمكونة من عدة أجزاء ، الحجازي منها مفقود[36].

فيما يخصّ رحلة ابن عمار يرى سعد الله أن صاحبها قسمها:" إلى ثلاثة أقسام القسم الأول جعل عنوانه مقدمة ويبدو أنه كان يريد أن يجعل من هذا القيم خزانة أدب يجمع فيها النوادر....ومهما يكن الآن فإن القسم الثاني سماه الغرض المقصود والقسم الثالث. الّذي سماه "خاتمة" مفقودان الآن[37].

---

[34] - (1125 – 1193 هـ) ، (1713 – 1779 م) أنظر ، محمد بن رمضان و الغوثي بن حمدان ، " إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر " ، المجلد الثاني ، مطبعة بريكسي ، تلمسان ، الجزائر ، 2001 م ، ص 463

[35] - أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، ج 2 ، ص 390

[36] - أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، ج 2 ، ص 391

[37] - المرجع السابق ، ص 391

أطلق ابن عمار على رحلته اسم نحلة اللّبيب في أخبار الرّحلة إلى الحبيب، وتعد رحلة أبي رأس الناصري [38] المسماة بأكثر من اسم منها "عدتي ونحلتي في تعداد رحلتي"، و" فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي "، رابع رحلة يهتم بها سعد الله، حيث يذهب إلى القول أن صاحبها قسمها إلى: خمس أبواب فتحدث في الباب الأوّل عن ابتداء أمره كما قال، ويعني به طفولته وشبابه، وتعلمه وتدربه، وزواجه وأهله ... وفي الباب الثاني عدد شيوخه سواء في الجزائر وبلدان المغرب العربي الأخرى أو المشرق، بما في ذلك شيوخه في الحجاز.

وقد خصص الباب الثّالث للحديث عن رحلته إلى المشرق وغير ه، وتناول الباب الرابع أجوبة على مسائل عرضت عليه أوردت إله من مختلف البلدان، أما الباب الأخير فقد خصصه للحديث عن تأليفه"[39].

إلاّ أنّ الرحلة الحجازية الّتي كثرا ما استوقفت الباحثين الجزائريين والأجانب عندها، وأفردوا لها ولصاحبها الدراسات المختلفة والمتعددة مثل رحلة الورثلاني،

هذا الأخير كما يرى سعد الله: "أسهم..بعمل كبير في التّاريخ "[40]، كما تمتاز هذه الرّحلة بكونها" الوحيدة المطبوعة في شكلها الكامل....ومنها أيضا أنها الوحيدة فيما وصل إلينا، الّتي تتحدث بإسهاب عن أحوال الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر الميلادي، بصورة عامة توصف هذه الرحلة بكونها: موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر " فهي من المراجع الّتي لا غنى عنها في هذا المجال "[41].

[38] - عاش ما بين 1150 – 1238 هـ (1737 – 1824 م)أنظر ،" ارشاد الحائر إلى أدباء الجزائر "،ص 478

[39] - المصدر السابق ، ص 392

[40] - أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، ج 2 ، ص 393

[41] - أنظر، المصدر نفسه ، ص 394، 395 ، 396،397

ب – الرحلة العلمية:

يعد هذا النّوع من الرّحلات من أهمها وأقدمها، والحقيقة أنّنا لا نجد صعوبة كبيرة في تعريفها فهي رحلة يقوم بها صاحبها لطلب العلم، ويصف فيها الحياة العلمية بصورة خاصة، وقد تحدث سعد الله كثيرا عن الرحلات العملية لرحالة جزائريين، كما وصف رحلاته العلمية المختلفة الخاصة إلى العديد من المناطق في كتب بصورة عامة وفي كتابه تجارب في الأدب والرحلة بشكل خاص، فإذا عدنا للحديث عن النوع الأول، ونقصد بذلك رحالات غيره العلمية نجده يذكر العديد من الرحلات الّتي قام بها علماء الجزائر كما هو الحال بالنسبة لرحلة بن حمادوش الّتي: " قام بها المؤلف لطلب العلم والتّجارة من مدينة الجزائر إلى نظوان ومكناس وفاس ثم عاد إلى الجزائر من تطوان وقد وصف ابن حمادوش الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب[42]، وتمتاز هذه الرحلة بكونها مصدرا هاما عن المغرب في هذه الفترة التاريخية، وتعود هذه الأهمية للنصوص الّتي احتوتها من جهة، والمشاهدات العينية للأماكن والأحداث الّتي صادفها، وعلاوة على هذه الرحلة يشير سعد الله إلى أن هناك العديد من الرحلات العلمية الجزائرية الأخرى.

ب – الرحلة الاستكشافية:

الحقيقة أنّ أبا القاسم سعد الله لم يستخدم هذا المصطلح، " وإنما استخلصتاه من خلال دراستنا للعديد من الرّحلات الّتي أوردها في الجزء السابع من تاريخ الجزائر الثقافي، أثناء حديثه عن رحلات الجزائريين الاستعمارية، صحيح أن الجزائر لم تكن في يوم من الأيام دولة استعمارية، إلّا أن الجزائريين كان البعض منهم رعايا لدولة استعمارية هي فرنسا.

---

42 ـ أنظر ،ابن حمادوش ، " رحلة ابن حمادوش الجزائري " ، أنظر كذلك ، أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، ج 2 ، ص 390

فقد قام العديد منهم وبطلب في أحيان كثيرة من السلطات الفرنسية برحلات للعديد من الأماكن التي لم تخضع بعد في تلك الفترة لفرنسا بغية استقصاء أخبارها، والبحث عن نقاط قوتها وضعفها لنقلها للفرنسيين بقصد الاستفادة منها في عمليات الغزو المقبلة، وهذا فإن النوع من الرحلات كانت للاستكشاف و الجوسسة. "[43]

3- رحلات سعد الله الخاصة:

لم يكن سعد الله مؤرخا لأدب الرّحلة والرّحالة الجزائريين فحسب بل كان هو الآخر رحّالة وأديب حيث يلاحظ الباحث في حياته وأعماله، أنّ له العديد من الرّحلات داخل الوطن وخارجه، يوجد بعضها مدونا ومنشورا في كتاب " تجارب في الأدب والرحلة " [44] يقول سعد الله في مقدمة الكتاب: " يضم هذا الكتاب مجموعة من التّجارب في الأدب والنّقد والقصّة والشّعر وأراء في الحركة الأدبية في الجزائر والمغرب العربي على العموم كما يضم أخبار رحلتي إلى المغرب وإلى الجزيرة العربية، بالإضافة إلى رحلة أحد الألمان إلى عنابة مترجمة من الإنجليزية[45].

- **رحلته إلى المغرب الأقصى :**

سجل الكاتب في بداية الرّحلة دوافعها المتمثلة أساسا في تنفس هواء جديد كما قال، وبحث في مكتبات المغرب عن مصادر ومراجع خاصة، منها ما يهم كتابه (تاريخ الجزائر الثقافي) فسافر من الجزائر (العاصمة) في طائرة تونسية، فأوحى له ذلك بإحساس قومي وحدوي لطيف والطائرة تحلق في الأجواء المغاربية، فقال«عندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أن

---

[43] - أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ج 7 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ، ص 459

[44] - مصدر سبق ذكره .

[45]- أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص 07 .

الطائرة ستبدأ في الهبوط بمطار النواصر... شعرت أنّ الطائرة كانت حمامة سلام ووحدة بين الأقطار الثلاث، فقد تجمّع فيها الجزائريون والمغاربة والتونسيون، واندمجت فيها طبائعهم المتكاملة: لطافة التونسي، وإنسانية الجزائري وشهامة المغاربي "[46] فتاقت نفسه إلى وحدة تتكامل بها أقطار المغرب العربي وتتآزر، يمتد ذلك إلى مطار (النواصر) المغربي حيث سرعة الإجراءات وبساطتها وترحيب رجل الجمارك، وبعد خروجه من المطار أخذ مقعدا في السيارة العمومية الّتي تصل المطار بمدينة الدار البيضاء ، ثم استقل منها مع آخرين سيارة أجرة إلى الرباط ، "فيصف أثناء ذلك (الدار البيضاء) وقد سقط اللّيل وصفا أدبيا عكس ميوله الأدبية وإحساسه الفني في الاستجابة للصور الّتي بدأت تجسدها الأنوار في المدينة "[47] «بدأت أنوار المدينة تتلألأ، بعضها يشكل أسهما وبعضها يشكل دوائر وبعضها ينافس نجوم اللّيل أو برق العواصف، واللغة العربية فيها تنافس الفرنسية. وكانت الألوان المتعددة والأشكال الهندسية المتنوعة تكاد تخطف الأبصار، وهي جميعا من دلائل التنافس والتأثير على المارة والسواح"[48].

ثم يذكر بعض معالم الطريق الرابط بين الدار البيضاء و الرباط و البالغ طوله تسعين كيلومتر ، كما يصف الأشخاص داخل السيارة والجو الّذي ساد فيها، حيث بقي الجميع " طول الطريق صامتين " ثم يصف الطقس في (الرباط) عند وصوله إليها ليلا بأنه أكثر لطفا من العاصمة (الجزائر) فقرر القيام بجولة في المدينة في صباح اليوم التالي من وصوله إليها. و بعد تجواله في المدينة انتهى به المسير إلى (المكتبة الوطنية)، فشرع يتحدث عن المكتبة وموقعها وبعض من صادفهم فيها ، ومنهم رئيس المخطوطات بالمكتبة (محمد

[46] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة ، ص ،207
[47] - عمر بن قينة ، " اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة" ، ص 227
[48] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص ، 207.

بن إبراهيم الكتاني) الّذي زاره في مكتبه فوجده غارقا في أكداس من المخطوطات كما رأى كثيرا من الباحثين، أمثال المؤرخ المصري المعروف (عبد الله عنان) الّذي حضر الملتقى السابع للتّعرف على الفكر الإسلامي في (الجزائر) وجاء إلى المغرب للبحث والدراسة، فقال عنه سعد الله " تذكرت عندما رأيت ما عليه هذا الشيخ من الحيوية والنشاط والإنتاج شيوخ الجزائر وهم من الكسل العقلي وجمود القريحة وخمول الذكر ما يفجر قلب الصخر" [49]
وهو نوع من التذمر أصاب الكاتب نتيجة للأوضاع الفكرية و الثقافية و الاجتماعية التي تعاني منها الجزائر آنذاك و الّتي انعكست سلبا على الكتّاب الّذين استسلموا لضغوط المحيط بكلّ ما يمارسه من أشكال مختلفة لتثبيط الهمم، وإشاعة روح الكسل واللاّمبالاة.

ثم يواصل الكاتب حديثه عن الأشخاص الّذين التقاهم، من بينهم الدكتوران (عبد الكريم كريم) و (عباس الجراري) وهما أستاذان جامعيان، فيشعر القارئ بالمكانة المرموقة الّتي يحتلها الأستاذ الجامعي هناك ، فهو مكرم، و حقوقه مضمونة، الأمر الذي يجعل حياته ميسورة في معاشه بعكس ما يعانيه الأستاذ الجزائري " الأستاذ الجزائري إلّا في الأحلام"[50]
ثم يظهر الكاتب سمات الود و هو يتحدث عن المثقف والأستاذ الجامعي وروحه الفكرية والإنسانية العالية من خلال الأستاذين الّذين إلتقاهما ، فقد أخذ الأستاذ (الجراري) صاحب الرحلة بسيارته إلى (الدار البيضاء) الّتي اطّلع فيها على جوانب مختلفة من الحياة ، فأدرك أنها زيادة على كونها مدينة ثقافية تزخر بالمكتبات الكثيرة الفخمة الّتي تمتلئ بأمهات الكتب العربية ، فهي أيضا "مدينة تجارية بكل معنى الكلمة، ففيها الشركات والبنوك المغربية والأجنبية بأعداد

---

[49] - المصدر السابق ، ص213.
[50] - المصدر السابق ص217.

ضخمة"[51] ويكاد الزائر يحس أنه في مدينة (أوروبية) مثل (باريس) فأبدى الكاتب إعجابه بالمدينة الّتي تمتاز بالحركة والنشاط، إضافة إلى طيبة أهلها وكرمهم، وهو ما التمسه في أصهار صديقه الزميل (عباس الجراري) وهو في (الدار البيضاء) حيث تناول طعام العشاء رفقتهم ، ودار الحديث أثناءه " حول التقاليد الاجتماعية الجزائرية والمغربية، وكانت لحظات ممتعة تلك التي قضيتها مع هذه الأسرة الفاضلة التي جمعت بين القديم والحديث، كما جمعت بين الكرم العربي والعلم الأوروبي "[52]. ثم يحدثنا الكاتب عن إحدى جلساته مع عائلة (الجراري) في (الرباط) حين يعود إليها مع صديقه ، حيث استمتع رفقتهم بعذب الحديث و لذيذ الطعام فيقول : "جمعنا فيها بين لذيذ الطعام وشهي الكلام"[53].

ويزداد إعجاب الكاتب بمدينة " الرباط " وضواحيها ، فيسترسل في حديثه عن جولاته فيها، وذهابه إلى (سلا) مع باحث مغربي، فوصلا في حافلة بعد عشر دقائق عبورا فوق وادي بورقراق حيث لاحظ " فرقا واضحا بينها وبين مدينة الرباط في المستوى الاجتماعي"[54].

ثم يواصل حديثه عن اتصالاته وعن المخطوطات والكتب التي اطّلع عليها كما يبدي انطباعا حسنا عن خطوات التعريب في (المغرب) مع ندرة استعمال اللغة الأجنبية حيث يرى أن "صمام الأمان لهذا الاتجاه نحو التعريب يكمن في غيرة المثقفين على لغة وطنهم، وتحركهم عندما تقتضي الضرورة صفا واحدا"[55] .

---

[51] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص222.
[52] - المصدر نفسه ، ص223.
[53] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص224.
[54] - المصدر السابق ، ص229.
[55] - المصدر السابق ، ص230.

هكذا حدثنا الكاتب عن (الدار البيضاء) و(الرباط) والحياة الاجتماعية الثقافية فيهما، كما حدثنا عن الأشخاص الّذين التقاهم والأماكن الّتي زارها والّذين اصطحبوه إليها بأسمائهم ووظائفهم غالبا. حيث كانت جل تحركاته في جو ثقافي و علمي ، " بدا فيه المثقف في المغرب خاصة الباحث والأستاذ الجامعي يعمل في ظروف حسنة، انعكست على العلاقات الاجتماعية والإنسانية مما جعلنا نلمس روح التفاؤل في المحيط كما جاء صداها في الرحلة، وهو المحيط الّذي تعاون مع الكاتب إلى حد بعيد، وجعله يشعر بسعادة وطمأنينة في مناخ يكبر فيه تقدير العلم ورجاله، كما وجد سعادة في صحبة مثقفين في (المكتبة الوطنية) وفي منازلهم وفي الشارع، وحتى على الشاطئ حيث لا يفوت سعد الله الفرصة ليفتك منّا ابتسامة هادئة وهو يحدثنا عن محارة أخذها من أحد مرافقيه الجامعيين على شاطئ البحر "[56] "سبح الأخوان قليلا، وعاد الأستاذ الشابي بحفنة من المحار، وأبت نفسي إلاّ أن تعود بتذكار من المحيط، فحملت معي محارة إلى الفندق وتركتها هناك حتى نتنت، فرميتها ولا شك أنها تعذبت خلال إقامتها معي، ولكن الحب أيضا عذاب كما أن الموت عذاب"[57].

اعتمد سعد الله في كتابته للرحلة على يوميات كان يسجلها في نهاية كل يوم ، يصب فيها مشاعره ويتحدث عن قراءاته بشكل عفوي، و بعد عودته إلى (الجزائر) بدا له فيها كما يقول "ما يصلح للنشر الآن وما لا يصلح إلاّ بعد انقضاء جيل"[58] من هذا القسم الّذي رآه صالحا للنشر صاغ الكاتب رحلته هذه الّتي عكست اهتماماته كمؤرخ وموهبته الأدبية الّتي بدت واضحة في كتاباته ، و هو ما يظهر جليا في وصفه لمشهد أثار إعجابه عند خروجه ذات مساء رفقة أحد الأساتذة (أحمد شعلان) في اتجاه "صومعة حسان الشهيرة وضريح المرحوم

[56] - عمر بن قينة ، " اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة" ، ص 225

[57] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة "، ص230

[58] - المصدر السابق ، ص204.

(محمد الخامس) فسجل إحساسه الذي نقله حرفيا في المذكرة من دون تغيير كما أكد ذلك هو نفسه" كانت الشمس قد غربت ولم يبق في الأفق إلا الشفق. وطلع من الشرق القمر الّذي أخذ يكبر، وظهرت النجوم في السماء والمصابيح في الأرض. هنا في الرباط وهناك في (سلا) التي يفصلها عن الرباط وادي بورقراق. وظهرت مياه المحيط تغمرها مياه الشفق، وصفحة وادي بورقراق تضيئها أشعة المصابيح والقمر. وعلى بعد رأينا القطار كأنه خيط من الضوء يتحرك وسط الظلام الذي بدأ يلف الأفق البعيد. قال صاحبي إنه قطار طنجة قادما إلى سلا. هكذا بدت لي الطبيعة وأنا واقف أمام المحيط. على يميني ضريح وعلى يساري صومعة وبقايا عرصات جامع قديم. وفي جامع محمد الخامس الملحق بالضريح طالب شيخ يقرأ القرآن بصوت عال، وهناك على بضعة آلاف من الأميال في الجانب الآخر من المحيط يرتلون الإنجيل، إنها ذكرى خالدة وصورة رائعة وموقف يدعو إلى التأمل. تذكرت عقبة وهو كما تقول الأساطير يرفع سيفه ويدفع فرسه إلى مياه المحيط يتحدى الخطر والظلام والمجهول، وكأنّه كان يلوّح بيده إلى الآخرين يعدهم ويمنيهم، أو ينذرهم ويحذرهم، تذكرت رجال الفتح ورجال السلطة الذين خلفوهم، تذكرت الماضي والحاضر، فاغرورقت عيناي وصمت في وجوم، ولاحظ صاحبي ذلك، فقال إنك لم تنظر شيئا، لو رأيت قصر الحمراء، إنّ المرء هناك ينفطر كبده ويصاب بالخرس، لقد أضعنا أشياء لا تعوض ! قلت هذا يكفي! ؟"[59]

وهكذا استطاع الكاتب أن يقدم لنا من خلال رحلته صورة لبلد لا يزال متمسكا بأصالته الحضارية في العادات والتقاليد، كما لا يزال فيه للعلم مكانته المحترمة وللعلماء قدرهم، " فبرزت بذلك للرحالة صورة الأصالة المغربية بوجهها العربي الإسلامي في العلاقات العامة بل حتى في أسماء الشوارع والأماكن.

[59] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص227.

اتسمت الصياغة في كل ذلك بالسرد العام الجيد لتقديم وقائع اليوم في مسار الحياة بالمدينة مما عاشه الكاتب، في المكتبة والشارع، وغيرهما، إلى جانب وصف أدبي جسّد إحساسه بموقف أو شعوره تجاه منظر أو صورة.

و يمكن القول أنّ هذه الرحلة تبقى مادة جيدة للمؤرخ وعالم الاجتماع ، ليس فيما يخص (المغرب) فقط ، و إنما فيما يتعلق بالجزائر نفسها كما يستفاد من المقارنات السريعة التي تملك دلالات ، ففيها ندرك مثلا جوانب مختلفة و مفارقات بين ما يعيشه الأستاذ الجامعي ورجل الثقافة والفكر في الجزائر من تهميش اجتماعي و سياسي ، وما يلقاه هذا الأستاذ أو رجل الفكر من اهتمام واحترام في بلدان أخرى خالية من الشعارات السياسية البراقة المضللة، كما ندرك من جهة أخرى ما تميز به أسلوب سعد الله " من جنوح دائم إلى الوصف الأدبي التفصيلي الشيق، وحرصه غالبا – تصريحا أو تلميحا – على الإشادة بالجوانب الإيجابية أو السلبية التي يكون لها تأثير ما عليه في المواقف والمناسبات المختلفة."[60]

إذن فقد استطاع سعد الله أن يعبر من خلال رحلته عن فكره كباحث في مجال التاريخ ، وعن حسه الأدبي خصوصا عند وصفه لمشهد أو تأثره بموقف أو سلوك معين تعرض له أثناء رحلته، كما سعى إلى إبراز شخصية الجزائري الّذي يحب الخير و يطمح إلى تحقيق الوحدة بين أبناء الأمة العربية و أبناء المغرب العربي بالخصوص .

-**<u>رحلته إلى الجزيرة العربية</u> :**

أمّا رحلته إلى (السعودية) فقد كان عنوانها "رحلتي إلى الجزيرة العربية" [61] ويذكر أنها جاءت لهدف علمي أساسا [*]، مع ذلك فالرحلة إلى (السعودية)

---

[60] - عمر بن قينة ، " اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة " ، ص 224 .
[61] - أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص235.

تختلف عن غيرها من الرحلات لأن شد الرحال إليها يتطلب استعدادا من نوع خاص فكما يقول سعد الله "تستعد قبل كل شيء استعدادا روحيا، مهما كان غرضك المادي من السفر، سيّما إذا كان سفرك إليها لأول مرة كما كان الحال بالنسبة لي "[62].

فالرحلة إذن تهتم بالخصوص بزيارته (للرياض) العاصمة السعودية، و (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) و كان مرجعه الذي اعتمده أثناء صياغته لهذه الرحلة يومياته الّتي كان يسجلها من وحي ما يصل إليه انتباهه وفضوله العلمي كما يقول، وقد شرع في هذا التسجيل ابتداء من مطار (الجزائر) يوم (21 أبريل 1977م) صباحا، ووصولا إلى مطار (جدة) مساء، حيث قضى الليلة على مقاعد المطار في انتظار الصباح لاستئناف الرحلة على أول طائرة تقلع في اتجاه (الرياض) التي وصلها بعد نحو ساعة، أين كان افتتاح الندوة العالمية الأولى الخاصة بمصادر تاريخ الجزيرة العربية خلال العصور المختلفة في نفس اليوم بعد الظهر، فيذكر الكاتب حسن الاستقبال، كما يشير إلى قلة المشاركة الجزائرية مقارنة بالبلدان العربية الأخرى، فلم يمثلها سوى كاتب الرحلة و زميله الدكتور (رشيد بورويبة) ويعلل ذلك بكسل بدا شبه مزمن "رغم أنّ الدعوات قد وجهت إلى عدد آخر من الجزائريين فإنهم لم يشتركوا لأسباب لا نعلمها، ولكن يبدو أن أهم سبب كان وراء ذلك هو الكسل العقلي الذي يعاني منه الجزائري والذي يحرمه من المساهمة في الندوات والمؤتمرات العالمية وتمثيل بلاده فيها أحسن تمثيل، وقد أصبحت هذه ظاهرة تلفت النظر لدى علماء

(*) وهو حضور الندوة العالمية الأولى التي دعت إليها جامعة (الرياض) في موضوع "مصادر دراسات تاريخ الجزيرة العربية" وذلك في شهر أبريل 1977م.

(62) - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

الجزائر في كل الملتقيات، ذلك أن تونس مثلا قد اشتركت بخمسة من الباحثين بينما اشترك المغرب الأقصى بستة منهم" [63].

يحدثنا الكاتب عن افتتاح الندوة، وانطلاق أشغالها العلمية بالبحوث في قاعتين من قاعات الجامعة، كما يشير إلى طبيعة البحوث ومستوياتها المختلفة ، كما تحدث عن اللجان الإثنتي عشر الّتي أشرفت على الندوة تحت رئاسة عميد قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب في جامعة (الرياض) والانضباط في العمل بما في ذلك التنظيم المحكم في المواعيد الّذي يكسر ما يتهم به الإنسان العربي من سوء تقدير للوقت "فقد كانت السيارات تتحرك من الفندق إلى القاعتين في الموعد المضروب بالضبط، وهي تنطلق منهما أيضا في الموعد المضبوط، ويكاد المتخلف عن لموعد يضيع فرص الحضور تماما"[64].

إضافة إلى جلسات الندوة العلمية كان هناك برنامج الزيارات والجولات المختلفة، ومآدب الطعام، فبالإضافة إلى (الرياض) [65] التي وصفها الكاتب، هناك الزيارات الأخرى التي تحدث عنها الكاتب، ومنها تلك التي تمت إلى مدينة (الدرعية) منشأ أول دولة سعودية، وهي تبعد عدة كيلومترات عن (الرياض) وقد أثبت الكاتب انطباعاته عنها وعن الطريق إليها المحفوف بقصور الملك والأمراء.

كما حرص وفد (المغرب العربي) الخصوص على زيارة (المدينة المنورة) ثم (مكة) المكرمة لأداء العمرة، فرأى الكاتب في زيارته المدينة تحقيقا لأمل عريض فغمره شعور طافح بالمودة والألفة والطمأنينة وهو يخطو خطواته الأولى على تراب (المدينة) التي قضى فيها ثلاثة أيام " لم أكن أصدق أنني أسير على تراب المدينة وانظر إلى جبالها ونخيلها وعمرانها عندما كانت

---

63 ـ أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ص 243

64 ـ المصدر السابق، الصفحة نفسها.

65- وهي المدينة التي كانت تقيم فيها الوفود، فقال عنها الكاتب "تجعلك تحس أنك في أعظم عواصم العالم الحديثة".

السيارة التي أقلتنا من المطار تقطع الطريق إلى فندق (الرحاب) الذي وضعنا فيه رحالنا، والذي كان معدا لإقامتنا والذي لا يفصله عن الحرم النبوي سوى الطريق. وبعد أن اغتسلنا وغيرنا ملابسنا توجهنا فورا إلى الحرم فأدينا حق المسجد وحق الرسول صلى الله عليه وسلم. ولا أستطيع في هذه العجالة أن أصف المشاعر التي غمرتني وأنا أشاهد المسجد من بعيد ثم وأنا داخله من قريب، وكذلك عندما كنت أقف عند الضريح الطاهر"[(66)].

ومن (المدينة) انتقل الجميع إلى (جدة) التي أحرم الكاتب من مطارها قاصدا (مكة) لأداء العمرة، حيث عبر عن حسه الديني اتجاه المكان شوقا إليه "كان الجو رطبا والنفس مشوقة رغم الحاجة إلى النوم والطعام" [67]. فقضى في مكة خمسة أيام منها ثلاثة في بيت أخيه المهاجر هنالك، فكانت تلك الأيام فرصة للتعرف على الحياة التي تتسم بالبساطة عموما.

وكما باح الكاتب بمشاعره وخواطره وآرائه وهو يزور الأماكن والمدن خاصة (مكة) و(المدينة) و(الرياض) تحدث عن مآدب الطعام، مثل حفلة العشاء التي أقامها للوفود مدير جامعة (الرياض) "في الموقع الجديد للجامعة، في الهواء الطلق، حيث اصطفت الوفود على شكل قوس كبير على فرش وأرائك" [68] كما تحدث طويلا عن الأشخاص الذين التقاهم، والذين تحاور معهم، خاصة منهم "عدد من علماء السعودية من الجيل الجديد ومن الجيل القديم" [(69)] فذكر من شارك منهم في الندوة وغيرهم بأسمائهم غالبا، معلنا انطباعاتهم التي كانت إيجابية غالبا.

66- أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص 249.

67- المصدر نفسه، ص 251.

68- المصدر السابق، ص 244.

(69) أبو القاسم سعد الله ، " تجارب في الأدب و الرحلة " ، ص 246.

فالرحلة رغم طابعها الثقافي الاستطلاعي في الوقت نفسه بشكل محدود اكتست ظلالا دينية بمشاعر الكاتب وخواطره وانطباعاته، سواء وهو في (المدينة) أو في (مكة) أو متنقلا إليهما أو متشوقا قبل بداية الرحلة، وخلالها، وحتى أثناء الندوة في مدينة (الرياض).

سجل ذلك في هذه المرحلة معتمدا يوميات كانت كل واحدة بنت نهارها أو ليلتها بدءا من مطار (الجزائر) ذهابا وانتهاء بمطار (جدة) إيابا. أبرز فيها الجهود العلمية الجادة المخلصة لرجال العم في جامعة (الرياض) والإمكانات المتاحة لرجال الفكر والمحيط الثقافي الجامعي الجيد الذي برز فيه لرجل العلم دوره واعتباره في مختلف المواقع، وللجامعة مكانتها، ولها الوسائل الكثيرة المتاحة لها في وضع علمي راق مع الثقة التامة في رجالها، لأنهم رجال علم أقوياء وجامعيون أصلاء، وليسوا (صعاليك) دخلاء تربطهم بالجامعة مآرب ومغانم مادية ظرفية عبر دروب الانتهازية في أوضاع متردية.

من هنا جعلنا الكاتب نحس بأن السياسة بقيت بعيدة عن الحرم الجامعي خاصة بوجهها السلبي (في الخطاب السياسي والأسلوب الدعائي) فسارت أشغال الندوة في جو علمي، منظم محكم، كما تمت الزيارات للأماكن التاريخية وغيرها ضمن برنامج مضبوط يعرف فيه المنظمون ما يهم ضيوفهم ويحترمون رغباتهم، ويسهرون على راحتهم ورضاهم.

صاغ الكاتب ذلك بلغة تراوحت بين السرد الذي لا يخلو من شرح بعض الأشياء والوصف المطعم بأشواق الروح التي بدت بظلالها الدينية خفاقة في نفس الرحالة إلى الأماكن المقدسة يتوق إليها، وينتقل بين ربوعها في النهاية، للمرة الأولى.

-رحلته إلى مصر :

رحلة الكاتب إلى (مصر) قام به ا في (نوفمبر 1988م) ونشرها تحت عنوان "فلسطين في مصر"[70] وهي رحلة رسمية ذات طابع ثقافي لحضور ندوة في (مصر) موضوعها (حماية المقدسات والتراث الثقافي في فلسطين) دعته إليها (الإدارة الثقافية) في (منظمة التحرير الفلسطينية) بالاشتراك مع (المنظمة العربية للتربية والثقافة) و(اتحاد الفنانين العرب) فسافر في (17 نوفمبر) حيث شارك في أشغال الندوة التي انطلقت يوم (19) منه في مقر (الجامعة العربية) "وقد ركز الجميع على نقطة واحدة هي إبراز الحق العربي في فلسطين، وتعاون المسلمين والمسيحيين لاستعادة ذلك الحق المغضوب... وقد كانت كلماتهم تنبض بالولاء لفلسطين العربية، وبالارتباط بالتاريخ الإسلامي على أساس الحماية والأمن والاحترام الّذي ضمنته وثيقة الخليفة عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس"[(71)].

بدأ الرحالة إذن يحدثنا عن عنوان الندوة، وتنوع موضوعاتها في كلمات المدعوين، بجوانبها المختلفة: التاريخي منها والسياسي والقانوني، في تتبع المسار الخاص بتطور قضية (فلسطين)، وينقل لنا إحساسه من متابعة كلمات بعض المدعوين حيث بدأ يدرك أنّ (الإسرائيليين) يتبعون في الاستيطان نفس الأساليب الّتي اتبعها المحتلون (الفرنسيون) في (الجزائر)، ثم يتوقف قليلا عند الحديث عن جوانب من بيت المقدس دون أن يسهو عن ذكر الحضور الثقافي الفلسطيني في المناسبة، حيث أسهم فيه محاضرون، وشعراء، وممثلون من بينهم أطفال.

أثناء ذلك كله لمسنا ألفة المحيط في (القاهرة) لدى الكاتب ونوعا من العاطفة الحميمية تربطه به، فبدت سعادته كبيرة وهو يزور (القاهرة) رمزا ل

70 - جريدة (الشعب) الجزائرية، عدد: 7841، الصادرة في 08 جمادى الثانية 1409ه (16 جانفي 1989م).
71 - المصدر نفسه.

(مصر) كلها "رأت عيناي أرض الكنانة من جديد بعد غربة دامت أكثر من إحدى عشرة سنة" " و يا لها من مسافة زمنية طويلة على من عاش في هذه المنارة العربية أيام كانت قلب العروبة النابض " [72] ففيها درس وقضى فترة من زهرة شبابه في جامعة (القاهرة) الّتي كانت تسمى (كلية دار العلوم) لذا لم يتأخر كثيرا لزيارتها الليلة الثانية من وصوله استعادة لألذ فترة في عمر أي امرئ مثقف وأزهارها، لكن الانكسار النفسي كان ينتظره هناك "بالغريزة بادرت في اللّيلة الثانية إلى التوجه نحو كلية دار العلوم حيث قضيت خمس سنوات طالبا في الليسانس والماجستير، ولدهشتي: وجدت البناية أثرا بعد عين، فقد هدمت تماما وأقيمت مكانها حديقة أطفال ومسليات، وكتب عليها (حديقة دار العلوم) فأين مدرج علي مبارك وكراسي أعلام اللغة والأدب أمثال إبراهيم اللبان وعمر الدسوقي، وإبراهيم أنيس، وعبد السلام هرون، وبدوي طبانة، وأحمد الحوفي، ومحمود قاسم وعباس حسن وعلي الجارم؟ ويعلم الله أنني عدت مكتئبا اكتئابي يوم زرت مسقط رأسي بقمار، فوجدت منزلنا قد تساقط بعضه على بعض من فعل الرمال والإهمال والحدثان".

وكما وصف الكاتب الجو الذي جرت فيه الندوة تحدث عن (الثورة الفلسطينية) وهي تنوع أدواتها، فجاءت الانتفاضة الشعبية في (فلسطين) وقد انطلقت من المساجد والساحات العامة، سلاحها حجارة وتحد، فجعلت "العرب والعالم أجمع يعرفون أن الثورة الفلسطينية هي قبل كل شيء ثورة شعب لا ثورة زعماء، وثورة أرض لا ثورة صالونات، وأن الذي يقف على أرضه وبيده سلاح ولو كان من حجارة أفضل ألف مرة ممن بيده منشور سياسي يتجول به في المحافل الدولية، فالنصر للانتفاضة والمجد لفلسطين" فكانت مشاعره إيجابية اتجاه صمود الشعب الفلسطيني ونضاله مثل كفاح (الجزائر) بالأمس التي لم

[72] - عمر بن قينة ، " الشكل و الصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة " ، دار الأمة ، الجزائر ، ص 89 .

يجدها نفعا (سماسرة) السياسة في (صالونات) العالم بقدر ما فرضت إرادتها على المحتلين بالصمود والإباء والكفاح المستميت في قمم الجبال وسهولها والصحاري مثل مدنها ومداشرها.

هكذا تحدث الكاتب عن (الندوة) وعن (الثورة) وعن الذكريات الجميلة في (مصر) بحس قومي، متعرضا أيضا لذكر الأشخاص الّذين التقاهم، خاصة في (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة الّذي انتخب عضوا في سنة 1988م[73]، حيث التقى رئيسه ونائب الرئيس وأمينه العام.

يلفت النظر في الحديث عن الأشخاص في القاهرة – عموما – أو الذين استمع إليهم في (الندوة) خصوصا حديثه عن الشيخ (عبد الحميد السايح) رئيس المجلس الفلسطيني مقارنا بين حيويته ونشاطه والكسل المزمن المتمكن من بعض أمثاله في (الجزائر) فقد كان يراه في (الندوة): "القلب النابض رغم تقدم السن، فقد كان يتمتع بذاكرة قوية سواء تعلق الأمر بالتاريخ أو الحوادث القريبة أو أسماء الأعلام، فكان يتدخل موضحا أو مصححا، وقد ساعده أيضا لسان عربي مبين، وهيبة السن وروح النضال. فأين منه شيوخ في مثل سنه اعتبروا أنفسهم قد انتهى دورهم في الحياة قبل الأوان؟".

هذه الملاحظة عن ظاهرة الإحباط الفكري والثقافي الّتي تشجع البعض عن الكسل أعادها هنا كما ذكرها مرتين في الرحلتين السابقتين له في هذا الفصل تعبيرا عن إحساسه الشديد بفداحة النتائج السلبية لهذه الظاهرة المرضية: من كسل عقلي ولا مبالاة أمام ما يجد من قضايا وطنية وقومية، وما يفرزه المحيط من ظواهر مختلفة، وغير ذلك.

---

73 - يذكر الكاتب أنه أصدر قرار في ذلك من الوزارة الوصية، في شهر (جوان 1988م) وهو المجمع الذي يحضر لأول مرة مؤتمره السنوي، في شهر (فبراير 1989م).

لقد أعرب الكاتب في هذه الرحلات الثلاث وغيرها عن حب مكين للتّرحال، شديد الحرص على تسجيل مذكّراته اليومية التي يستمدّها لكتابة رحلاته، كما عبّر عن غبطته هنا بالمشاركة في الملتقيات العلمية والتقاء المثـقّـفين، تكبر تلك الغبطة حين يكون الملتقى أو النّدوة أو الزّيارة ذات طابع وطني أو قومي، معبرا في جميع الحالات عن حس حضاري ارتباطا بالعروبة والإسلام، وهو في كل ذلك مسكون بشخصية المؤرخ الذي لا تفلت منه جزئيات، وروح الأديب الإنسانية حتى في التأثر بمشهد أو حركة أو موقف.

-رحلته إلى باريس :

رحلة سعد الله إلى باريس[74] كانت لأجل إلقاء محاضرة بعنوان " نجم الشمال الأفريقي و الحركة الوطنية الجزائرية " بعد خمسين سنة من إعلان حركة النجم المطالبة باستقلال الجزائر منذ سنة 1927 م و هي ندوة نظمها (المركز الثقافي الجزائري) في باريس الّذي وجه له الدعوة ، فكتب رحلته تلك بعنوان " في ملتقى النجم بباريس " [75] و قد قبل تلبية الدعوة باعتبار ذلك واجبا وطنيا " قلت في نفسي : إنّ مسار حركة النجم يمتد من حوالي 1920 م إلى 1954 م . فجذوره هي حركة الأمير خالد و غصونه هي : حزب الشعب الجزائري و حركة انتصار الحريات و ثمرته هي ثورة التحرير المظفرة " فاختار " العامل الديني في الحركة الوطنية الجزائرية . و قد وصف الكاتب الجمهور الذي حضر الندوة ، " فكان أكثر من جيل ، مع رصد جيد لطبيعة الحاضرين و انتماءاتهم " فيهم العجائز الّذين ابيض شعرهم و صلع رأسهم ، و فيهم الشباب الذين لا ينفكون عن التعبير عن ولائهم لأساتذتهم الفرنسيين ، و فيهم الوطنيون

74 - وصل إلى باريس يوم 26 فيفري 1987 م .
75 - جريدة الشعب ، عدد: 7354 في 21 شوال 1407 هـ (18 جوان 1987 م).

الّذين عاصروا الإرهاق الاستعماري و حلموا و هم في غياهب السجون باليوم الّذي تشرق فيه شمس الحرية على بلادهم ، و فيهم الشيوعيون الذين لا يرون في الدنيا إلّا اللون الأحمر و لا يفهمون من الإنسان إلّا أنه حيوان يأكل الطعام و يمشي في الأسواق " [76]

أما أعمال الملتقى أو الندوة فقد بدت في انطباعات الرحالة : فرنسية علمانية من بدايتها إلى نهايتها ، لا علاقة لها بالجزائر ، فاللغة فرنسية و لم يرتفع صوت العربية إلا في بحثه و بحث زميل له هو " قناش " فاختفى وجه الجزائر حتى من خلال ما جرت به العادة من افتتاح بالبسملة و اختتام بالسلام عليكم ، فلا قرآن ولا حتى دقيقة صمت ترحما على الشهداء : " كان ملتقى علمانيا بداية و نهاية و محتوى " و قد اختلفت مستويات البحوث اختلافا كبيرا ، مثل اختلاف مستويات الباحثين : العريقين في البحث و التأليف و حديثي العهد به ممن لم تتعدّ كلماتهم مستوى تلاميذ المدرسة الثانوية ، كحال ايطالية شيوعية تحاول أن تكون مستشرقة كما تعددت أهداف حضور البعض و مشاربهم ، حيث يسجل الرحالة انطباعات مختلفة غلب عليها الجانب السلبي عن بعض الباحثين الجزائريين فيقول : " من الباحثين الجزائريين من ينتسب بالموقع إلى الجزائر و بالقلب إلى فرنسا ، و من هؤلاء بعض الباحثين الّذين جاؤوا من وهران ، فهم في الواقع قدموا صورة غير مشعة عن مستوى البحث المعمول به الآن ، إنّهم لا ينتسبون إلى الجامعة الجزائرية و مواصفاتها التعليمية و التربوية و التوجيهية ، فاتخذ الكاتب من ذلك منايبة ليبرز تبعية عمياء من بعض الباحثين عندنا في فرنسا و الفكر الاستعماري قلبا و قالبا .

وصف الكاتب جو الملتقى الّذي كان يجري بأكثر من خلفية ، أهمها أنه بدا ملتقى فرنسيا بأموال جزائرية ، يسوده الفكر الفرنسي الاستعماري ، و حنين

[76] - عمر بن قينة ، " اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة " ، ص328

أبناء المدرسة الفرنسية الاستعمارية إلى ذكريات الشباب في العشرينات و الثلاثينات ، كما أنّ بقاء التبعية للمدرسة الفرنسية الاستعمارية برزت حقيقة واضحة بشكل مخز في الملتقى ، بل إنّ الكاتب شك في الأمر أكثر من وجه ذهب من الجزائر شكّك خاصة في صلته بالبحث و الثقافة و الجامعة الجزائرية بالخصوص " لاحظت أن من ذهب من الجزائر لا نعرف له هوية ، و إنما هو من أولئك الصنف الذي يعيش بيننا متحركا بالليل ساكنا بالنهار ، لقد ذكرني أحدهم (بليون روش) ذلك الرجل الفرنسي الذي تظاهر بالإسلام و اختار اسم عمر و تجسس على الأمير عبد القادر حتى عرف كل أسراره ، ثم هرب إلى العدو "

و قد خرج الكاتب في رحلته هذه "بانطباعات ذات أهمية ثقافية ، لعل من أهمها ما عبر عنه بقوله : " إذا كنت لا أعجب بكثير مما تنتجه فرنسا ، فإني شديد الإعجاب بشيئين فيها : و هما وفرة الكتابة و وفرة الحرية في التعبير ، و لا شك أن الفرنسيين وصلوا إلى ذلك بعد طريق مشوك و صراع مرير ، فالكتب و المجلات و الجرائد تكاد تتجاوز عدد السكان ... و أنت تحسب إذا تأملت في ذلك أنّ أول ما يتعلمه الفرنسي في المدرسة هو اتقان فن الكتابة و حرية التعبير ، وإن أغرته هذه المطبوعات المختلفة خاصة منها الكتب و المجلات و حالت أسعارها المرتفعة دون اقتنائها ، فقد وجد في جهاز التلفاز الفرنسي نفحة عزاء ،وهو جهاز متنوع القنوات ، فيه كثير من صور الإفادة و الفكر الرزين و الثقافة الجادة رغم كل السلبيات "[77]

4- منهج سعد الله:

[77] - عمر بن قينة ، " الشكل و الصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة " ، دار الأمة ، الجزائر ، ص : 88 ، 89

تمتاز كتابات الأستاذ أبي القاسم سعد الله الّتي تهتم بأدب الرحلات بأنها كتابات علمية دقيقة وهذا ما جعل الروح العلمية التحليلية السّمة ال غالبة عليها، كما يلاحظ الباحث فيها أنّ صاحبها يهتم في الكثير من الأحيان بعرض ما يرد من أحداث وأراء في الرحلة التي يكون بصدد الحديث عنها دون أن يعلّق على الأحكام الواردة فيها، أو يعبر عن موقفه منها، " ويبدو أنّ هذا يعود إلى المنهج الّذي يستعين به الأستاذ الباحث في أعماله والقارئ لكتاباته يستنتج بنفسه ما يمكن استخلاصه."

و لعل الباحث يلاحظ ذلك جليا عندما يعود إلى الجزء السابع من موسوعة " تاريخ الجزائر الثقافي"، ففي حديثه عن رحلة القائد بن الشريف الّذي يصف فيها الحكومة الفرنسية بأنها الحكومة المثالية الّتي تحدث القرآن عنها، حيث يقول بصورة غير مباشرة عن الرّحلة نفسها وعن الرّحالة: " ويبدو أن الرّحلة تخدم المصالح الفرنسية، أو على الأقل تسير في الاتجاه الرسمي للحكومة العامة في الجزائر، فإلى جانب نقد أوضاع الحجاج في الحجاز.... ومن جهة أخرى فإن الّذي قدّم الكتاب للقرّاء هو الحاكم العام شارل جينور "[78]يمكن للمتتبع أن يستنتج مباشرة أنّ هذا الرّحالة عميل من عملاء الاستعمار الفرنسي وهذا دون أن يصرّح سعد الله بذلك.

زيادة على ما سبق ذكره ، يمكن للدّارس أن يلاحظ على منهج سعد الله في حديثه عن الرّحلة والرّحالة الجزائريين ، التّرابط والتّسلسل في الأفكار والنّصوص والتّحليل ، خصوصا إذا تعلّق الأمر بالشّواهد الّتي يستشهد بها ، فهي منطقية

و مقبولة في الغالب ، و لعل هذا ما يؤدي إلى دقة الأحكام الّتي يصدرها.

[78] ـ أبو القاسم سعد الله ، " تاريخ الجزائر الثقافي " ، ج 7 ، ص 467

كما تمتاز " كتابات سعد الله بعدم الاكتفاء بعملية السرد التاريخي للرحلات مع في هذا من الأهمية، وإنّما تتعدى ذلك إلى وصف الظروف الاجتماعية وحتى السياسية والأسرية والاقتصادية للرحالة .

ثانيا :القصة القصيرة عند سعد الله

1 – نشأة القصة [79] القصيرة و تطورها في الجزائر:

القصة القصيرة من أقدم الفنون الأدبية انتشارا، ومن أقدرها تعبيرا عن أزمة الإنسان ،" فهي مثل قلب هذا الإنسان، مأزومة ملول مبتورة، لكنها في الوقت نفسه ذكية وناضجة لا صبر لكاتبها ولا لقارئها على الإسهاب، فالكلمة فيها تغني عن الجملة، واللمحة تفي عن الحكاية، والجزء يحمل خصائص الكل"[80].

و القصة " في الأدب شكل من أشكال التعبير تتبلور فيه أذكى نفحات المشاعر ، و تتجلى فيه شتى النوازع و العواطف ، من إنسانية و قومية و تاريخية و اجتماعية و وجدانية من خلال سرد حادثة معينة ، بأسلوب يستحوذ على القارئ و يثير انتباهه " [81]

وللقصة العربية عموما "أصول في أيام العرب الجاهلية، وذلك لاهتمامهم بقص الأساطير والخرافات والأمثال التي تنطوي على مغزى أخلاقي أو موعظة للاعتبار"[82].كما ظهر عندهم الخبر شكلا من أشكال القصة في بداياتها الأولى وهو نوع من "التفصيل لحادث ذي قيمة في حياة الجماعة، وبناء على ذلك فإن صاحبه يتحرى صدق الرواية، ويسوق خبره للعلم لا للتأثير"[83]،

---

[79] - القصة : الخبر و هو القصص ... و القصَصُ : الخبر المقصوص بالفتح ، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه ، و القِصَصُ ، بكسر القاف ، جمع القصة التي تكتب ، أنظر ، ابن منظور ، جمال الدين ،" لسان العرب" ، دار صادر بيروت ، ط2 ، المجلد الثاني، 1994

[80]- د.عبد الرحيم الكردي، " البنية السردية للقصة القصيرة " ، ط 3 ، دار النشر للجامعات، مصر 1999م ، ص8.

[81] -- عزيزة مريدن ، " القصة الشّعرية في العصر الحديث " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 م، ص 13

[82]- أحمد طالب،"الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة،، في الفترة ما بين 1931-1976 "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م، ص 89 .

[83]- شكري محمد عياد، "القصة القصيرة في مصر"، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1979م، ص23.

كما ظهرت القصة عندهم "في أشكال القص القرآني"[84] و دليل ذلك ما جاء في في عدة آيات من الذكر الحكيم كقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾[85] وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَ إِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[86] بل يكفي هذا الأسلوب شرفا أن سميت به سورة بأكملها (سورة القصص)

كما ظهرت القصّة أيضا في أسلوب المقامات منذ فجر النهضة العربية " لكن نشأتها بشكلها الفني المتطور لم يظهر إلا بعد الاحتكاك بنتاجات فكرية وأدبية في الغرب".[87]

وتعد القصة في الأدب العالمي من أحدث الفنون الأدبية، فقد أشار معظم الباحثين ممن تناولوا تاريخ القصة إلى المحاولات التي ألفها "بوكاشتو" [88] في القرن الرابع عشر، باعتبارها الإرهاصات الأولى في كتابة القصة القصيرة، ويذكر "رني جودنور" أن "بوكاتشو" <<استطاع بتأليفه الديكاميرون [89] أن يجذب إليه جمهور القراء، كما نجح في التأثير في عدد كبير من الكتاب>>[90].

وبعد فترة زمنية طويلة، جاء " إدجار ألانبو..[91]" الأمريكي ، " الّذي فضل كتابة القصة القصيرة على الرواية، لأنه كان يشعر دائما أن الجمهور يرغب في لون أدبي يتفق مع الحياة الحديثة، وتطور العصر"[92].

---

[84]- صالح الدين ملفوف، "بيبلبوغرافيا القصة الجزائرية القصيرة "، " الأثر " ، ورقلة، الجزائر، العدد السابع، ماي، 2008، ص 161.

[85] - (سورة يوسف ، الآية 111)

[86] - (سورة آل عمران ، الآية 62)

[87] - صالح الدين ملفوف ، "بيبلبوغرافيا القصة الجزائرية القصيرة "، ص 161

[88] - Giovanni BOCCACCIO عاش ما بين (1313 – 1375)

[89] - Decameron" وهي مائة قصة يحكيها عشرة من الفتيان و الفتيات بعضهم لبعض ، منهم سبع نساء و ثلاث رجال ، في عشرة أيام ، ففي كل يوم ، إذن عشر قصص .أنظر "غنيمي هلال ، " النقد الأدبي الحديث " ، ص 501 .

[90]- أنظر René Godenore, La nouvelle Française, p 4 de France, Paris 1974, p 17

[91]-عاش ما بين (1809 - 1849) .

[92]- رشاد رشدي، "فن القصة القصيرة"، دار العودة، بيروت، ط 2، 1975م، ص 13.

ثم جاء "موباسان"[93] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان يعتقد أن الحياة تختلف عما ترسمه القصص..." بالنسبة له لم يكن ضروريا أن يتخيل الكاتب مواقف أو شخصيات غريبة ليبدع قصة ما، بل يكفيه أن يصور أفراد عاديين في مواقف عادية حتى يتسنى له بذلك أن يفسر الحياة تفسيرا سليما. وبهذه النظرة الواقعية الجديدة لفن القصة، استطاع "موباسان" أن يسجل القصة القصيرة باسمه كما يسجل المخترعون اختراعاتهم، فسارت من بعده على الشكل الذي رسمه لها"[94].

ثم " انتقل هذا الفن الحديث إلى العالم العربي وقد تمثله محمود تيمور وشحاته عبيد، وحسن محمود. وتقدم على يد أحمد خيري سعيد ومحمود طاهر لاشين[95]، وحسن فوزي وسعيد عبده ويحي حقي وغيرهم "[96]، " وقد اختلفت فترات التأثير بين أقطار الوطن العربي، فكان لمصر قصب السبق في ذلك بشكل

بارز "[97]، من خلال جهود تيمور وعبد القادر المازني وطه حسين وغيرهم والتي كان لها دور واضح في الرّيادة.

وإذا كان هذا حال القصة العربية عموما، فما هو حال القصة الجزائرية؟

إنّ نشأت القصّة القصيرة الجزائرية جاءت متأخّرة عن القصّة في المشرق العربي لظروف تتّصل بالثّقافة العربيّة وبالأدباء أنفسهم وبثقافتهم

---

[93] - " جاي دي موباسان ، Guy de MAUPASSANT " عاش ما بين (1850 – 1893) ، يعتبر من أشهر الكتاب الفرنسيين في عصره ، من أشهر قصصه (Bel Ami) (Un vie) (Boule de suif) أنظر :
Guy de MAUPASSANT , Une vie , CASBAH editions ,Alger , ALGERIE , 1998 , P 7

[94] - أنظر ، رشاد رشدي ، " فن القصة القصيرة " ، ص 13 .

[95] - عاش ما بين (1894 – 1954) للكاتب مجموعتين قصصيتين هما " سخرية الناي " (القاهرة 1926) و " يحكى أن ..." (القاهرة 1929) و" تتصف أعمال محمود لاشين بتوازن مدهش بين الشكل و المحتوى و هذه الصفة في أدبه تطور حقيقي و هام في تاريخ الأدب العربي الحديث " للاستزادة أنظر ، فؤاد مرعي ، " في تاريخ الأدب الحديث : الرواية ، المسرحية ، القصة " ، منشورات جامعة حلب ، 1989 م ، ص 188 .

[96]- أنظر سيد حامد النساج، "تطور فن القصة القصيرة في مصر"، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1968م.

[97]- صالح الدين ملفوف،"بيبليوغرافيا القصة الجزائرية،" ص 161.

الخاصّة و تكوينهم الفكري الّذي ارتبط بالتراث ارتباطا كليّا منذ البدايات الأولى للنّهضة الأدبية في الجزائر وارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية، بدعوتها ومبادئها وأهدافها وهي في مجملها تستند إلى الدين والإصلاح وتتسم بالمحافظة في النظرة والرؤية، ومن ثم فإن الأدباء الذين اعتنقوا هذه الفكرة حصروا أنفسهم في نطاق ضيق لم يستطيعوا الخروج عنه وبالتالي لم يحاولوا أن يجربوا في مجال الفنون الأدبية الجديدة مثل القصة القصيرة.

ولم يتفق معظم الباحثين في مجال القصة القصيرة في الجزائر عن زمن محدد يؤرخ لبدايتها حيث يرى الدكتور عمر بن قينة [98] أن سنة 1908 كانت معلما بارزا لظهور هذا الفن، أما الدكتور عبد المالك مرتاض [99] فيرجعها إلى سنة 1925م حين أخرج محمد السعيد الزاهري قصة " فراسنوا و الرشيد" في حين تؤثر عايدة أديب بامية[100] سنة 1926 كإيذان لميلاد هذا الفن في الجزائر، أما الدكتور عبد الله الركيبي[101]فقد عالج بداية هذا اللون النثري بكثير من التحفظ – في مرحلة زمنية مفتوحة لا تبتدئ بسنة معينة كما أنها لا تنتهي بسنة معينة.

ولأننا في هذا البحث لسنا بصدد تغليب رأي على الآخر، ارتأينا أن نجمع كل هذه الآراء وغيرها، دون إصدار حكم صارم يؤرخ لبدايات هذا الفن في الجزائر.

وقد تأخر ظهور القصة لأسباب كثيرة ومختلفة نوجزها على النحو التالي[102]:

---

[98]- " في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وقضايا وإعلاما)"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص 165.

[99]- "فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 306.

[100]- تطور الأدب القصصي الجزائري (1925- 1967)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص 306.

[101]- "القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر".

[102]- أنظر ، عبد المالك مرتاض ، " فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931 – 1954) " ، من ص 175 إلى 196.

أ – الاستعمار الذي وضع الثقافة القومية في وضع شل فاعليتها وحركتها مما نتج عنه تأخر الأدب الجزائري عامة ولا سيما أحدث فنونه وهي القصة القصيرة.

أ – التقاليد وأبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع إذا كانت مغلقة لا يسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، ولهذا كان من الصعب أن نعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة أو نتعرض إلى هذا الموضوع.

ب – ضعف النشر.

ت – انعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب القصاص كي يكتب وينتج ويجرب.

ثم بدأ الأدباء في محاولات جادة لكتابة القصة القصيرة – في أواخر الأربعينات و أوائل الخمسينات وهي الفترة التي بدأ فيها التطور القوي لها – ولكن هذه المحاولة تعددت حوافزها:

- " فهناك من كتب بدافع ملء الفراغ والشعور بأنّ الأدب الجزائري قد خلا من القصة القصيرة."[103]
- وهناك من كتب القصة للتجربة أو بدافع الحماس بسبب الثورة، فأراد أن يسجل أحداثها أو يصور أبطالها.

ولكن هناك من كتب القصة بدافع فني، بدافع أدبي يحقق فيه ذاته ووجوده ،وهذا النوع الذي استطاع أن يساهم في تطور القصة القصيرة الجزائرية وأن يوصل التجربة في هذا المجال.

---

[103]- أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، "سعفة خضراء " ، ص 5 .

ولا شك أنّ الثورة فتحت مجالا أكبر لكتاب القصة القصيرة، فغيرت كثيرا من نظرتهم إلى الواقع. فبعد أن كان الحديث عن الواقع لا يعدو أن يكون تسجيلا له، أصبح التعبير عن هذا الواقع وتصويره هو هدف كتاب القصة القصيرة.

فظروف النضال كشفت للكتاب عن إمكانيات ضخمة وتجارب جديدة دفعتهم للبحث عن جديد، سواء أكان ذلك في الموضوع أو في المضمون أو في الشكل.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية، انتشرت الصحافة العربية في الجزائر من جديد بعد الحضر الّذي ضرب عليها ردحا من الزمن " فظهر كتاب جدد عالجوا الفن القصصي بنوع من الفهم والنجاح معا"[104]، كما " برز كتاب عديدون خلال سنوات الثورة التحريرية (1954-1962)، بعضهم استمر في ممارسة عملية الإبداع، وواصل كتابة القصة القصيرة، وبعض آخر قل إنتاجه أو توقف مع أن كتابات هؤلاء تتوافر على الحس الفني والموهبة الأدبية الرفيعة من مثل الدكتور حنفي عيسى والدكتور أبو القاسم سعد الله"[105].

و بذلك يمكن اعتبار هذه المرحلة جديدة سواء على مستوى المضامين أو على مستوى النضج الفني الذي ظهرت فيه قصص هذه الفترة، وهذا شيء طبيعي لأن ميلاد القصة الفنية في الجزائر لم يأت إلا بعد مراحل، "فلم يكن تطورها مفاجئاً، وإنما سارت في طريق التطور ببطء".[106]

---

[104]- عبد الله شريط ، "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2009 م ، ص 18

[105]- عبد القادر سالم، "مكونات السرد القصصي" ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2001 م ، ص16

[106] - المرجع السابق ، ص 17

ولعل أهم الموضوعات التي عالجها القصاصون الجزائريون بعد الحرب العلمية الثانية تلك التي تعنى بالعاطفة والظواهر الاجتماعية والمواض يع الوطنية والأخلاقية بالإضافة إلى الموضوعات النفسية.

وقد كان لذلك تأثيره في اقتحام الكتابة في مجال القصة. ومن المرتكز نفسه يمكن اعتبار هذه المرحلة جديدة سواء على مستوى المضامين أو على مستوى النضج الفني الذي ظهرت فيه قصص هذه الفترة، وهذا شيء طبيعي لأن ميلاد القصة الفنية في الجزائر لم يأت إلا بعد مراحل، " فلم يكن تطورها مفاجئاً، وإنّما سارت في طريق التطور ببطء".

وممن عالج الموضوعات العاطفية نجد " أحمد رضا حوحو" الّذي صبّ عناية شديدة على مشاكل الحب وما ينج ر عنها من عنت وعناء الآباء والأبناء جميعا"[107]. ويظهر ذلك جليا من خلال مجموعته القصصية، " صاحبة الوحي"[108].

أمّا عن الّذين عالجوا الموضوعات الاجتماعية فنجد أحمد بن عاشور الّذي كتب قصة له بعنوان " تضحية" [109]. كما نجد قصة نشرت بمجلة "صوت المسجد" تعني بالأخلاق وهي "زليخة والعفة تتذمران من الحمامات البحرية الماجنة "[110].

[107]- أنظر ، عبد المالك مرتاض ، " فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931 – 1954) " ، ص 182.
[108]- أحمد رضا حوحو " صاحبة الوحي وقصص أخرى" ، مطبعة قسنطينة ، الجزائر ، 1954 م .
[109]- " فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931 – 1954) " ، ص 182.
[110]- نقلت عن :عبد المالك مرتاض ، " فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931 – 1954) " ص 184.

وممن عالج الموضوعات النفسية أبو القاسم سعد الله في قصة له بعنوان " سعفة خضراء"[111]، وهذا الموضوع لم يكن مألوفا في الأدب القصصي الجزائري قبل ذلك[112]

ونشير هنا أيضاً إلى مسألة أخرى جديرة بالمعالجة والتناول وهي " أن معظم كتاب القصة قد تحولوا بعد الاستقلال (1962) إلى الكتابة في فنون أدبية أخرى، أو توقف بعضهم عن الكتابة الأدبية لسنوات عديدة، إما بسبب الظروف الحياتية الجديدة وإما لتغير حوافز الكتابة التي كانت قبل الاستقلال شكلاً من أشكال النضال ضد المستعمر، فقد استهوت الأبحاث التاريخية القاص الدكتور أبو القاسم سعد الله، ولم نعد نقرأ جديداً للدكتور عبد الله ركيبي منذ سنوات "[113]. وتحول بعض الأدباء إلى الكتابة الروائية، وذلك منذ ظهور رواية "ريح الجنوب" 1970 كأول عمل روائي فني جزائري باللغة الوطنية [114]، ثم صدرت بعدها للطاهر وطار روايته الأولى "اللاز" [115] على أنّ دودو ظل طوال هذه السنين وفياً لفن القصة[116].

2 – دراسة بعض الخصائص الفنية للقصة القصيرة عند سعد الله

كما سبق و أن أشرنا في الفصل الأول ، فإن "سعفة خضراء " هو العنوان الّذي اختاره سعد الله لمجموعته القصصية وهي تدل على مدى ما عرفه إنتاج

[111]- نشرت هذه القصة في جريدة البصائر الثانية في أعدادها الثالثة 272 الموافق ل 21 ماي 1954، 273 الموافق ل 8 ماي 1954، 274 الموافق ل 11 جوان 1954.

[112]- " الأثر " ، ص 167.

[113]- عبد الله شريبط ،" تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة " ، ص 80

[114] - عبد الحميد بن هدوقة " ريح الجنوب " ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1970 م .

[115]ا - الطاهر وطار ، " اللاز "، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975 م .

[116] - أنظر ،أبو العيد دودو، " بحيرة الزيتون " الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1968 م .

المؤلف من تنوع ووفرة. كما تدل من جهة أخرى على ما كان له من ريادة في بعض الأنواع والدراسات الأدبية. وتدل أيضا على أنّ محاولاته في ميدان القصة القصيرة كانت ناجحة أيضا.

لذلك سأسعى من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض الخصائص الفنية الّتي امتازت بها قصصه .

و قد آثرت أن أبدأ بقصة "سعفة خضراء " لأنها تعتبر من الناحية الفنية أكثر نضوجا من باقي قصص المجموعة "[117]، فتعرضت للحدث ، ودرست البناء المورفولوجي و الداخلي للشخصيات و علاقة السارد بشخصياته كما أشرت لزمن و مكان القصة . أمّا باقي القصص فقد درستها دراسة مقتضبة تقتصر على المضمون فقط .

سعفة خضراء :

الحدث:

الحدث عنصر أساسي في القصة،" يجري في بيئة ما. قد تتحدد ملامحها، وقد تبدو بيئة عامة ، ويخضع هذا الحدث لطبيعة المثير فيه، حيث تنهض الشخصية القصصية كعنصر ثان جوهري في القصة بدور في إعطاء، الحدث زحمة."[118]

و الملاحظ على هذه القصة أنها واقعية في الجوهر . فالحوادث عادية ، و من الممكن تمييز السمات الجغرافية فيها ، كما أنّ بالإمكان نسبة الشخصيات إلى زمان و مكان معينين ، و طبقة محددة ، كما أنها " القصة الوحيدة الّتي نشرت وقرأها الناس في حلقاتها المسلسلة بجريدة البصائر، وذلك قبل اندلاع الثورة وقبل أن يُعرف هذا النوع من القصص الفني الّذي يعالج أزمات نفسية حادة، تعكس مستوى الوعي الّذي وصل إليه بطل القصة " [119]الّذي يعيش منذ البداية

[117] - أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص10

[118] - تطور فن القصة القصيرة في مصر"، ص 123

[119] - أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص28

وضعا غير عادي، وهو يعرف هذا الوضع معرفة جيدة، تمت عن طريق الوعي، وتمثل فرقا و تباينا بين عالمين، عالم الدراسة، وعالم الغربة، وكانت أيام الطلب بالنسبة له عالما خاصا. عالما غامضا، حاول دائما أن ينيره بفكره، ليستشف مستقبله، إلّا أنه عجز عن ذلك لأسباب عديدة، تكمن كلها في العالم الغريب الّذي يعيش فيه.

وغموض عالم الطّلب بالنسبة إليه كان عالما بلا هدف، بلا حياة. فقد كان البطل يعيش مع أساطيره المترسبة، ويتعلم أفكارا، ويتبنى آراء، ويكتشف أضواء، ولكن ذلك كله لا يمثل شيئا من حياته وواقعه..، وفي عالم الواقع من الغموض ما في عالم الطلب. كلاهما صنو للآخر، وأساس الغموض في عالم الطلب أن البطل كان يعيش بعيدا عن كل شيء، كان يعيش العلم في صورته المجردة، يعيشه بعيدا عن كل شيء ، عن الناس، عن العالم، وعن الدنيا الواعية

وهذا العلم نفسه ، لا هدف له غير الخضوع، " غير الاستسلام للغيبيات والهدوء الروحي، الاستسلام للتقاليد والأعراف السائدة، وكأن يهيئ نفسه لعالم آخر غير عالم الواقع ولكن طبيعته كانت تنزع به إلى شيء آخر، كانت تريد له أن يترك أثره في هذه الدنيا، في هذه الحياة.. الّتي لم تعرف طعم الحياة بعد، وانتهاؤه من دراسته هو الّذي جعله يحس بذلك بصورة أكثر حدة."[120]

" أمّا أساس غموض عالم الغربة.. الواقع القديم الجديد، الّذي هو عائد إليه، فيتمثل في أنه عالم لا يتلاءم مع روحه المتمرّدة، لأنّ عالم هذه الرّوح ليس هو عالم الواقع، ليس عالم المدينة، الّذي رفضه في أيّام الطّلب بكلّ ما فيه من صخب وضجيج وحركة، إذ لم يكن له من هدف آنئذ غير العلم وتحصيل المعرفة، وإنّما هو عالم شبه مثالي، في ظروف واقعة على الأقل، قد يغدو في

[120] ـ أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص 11

يوم ما نضاليا إصلاحيا ولعلّه تمثل بالذات في الفرحة بالوصول إلى هدفه العلمي، ببلوغه زهرة الخيال..ولو على نحو ما.

" وليس أدلّ ذلك من إحساسه وهو يحزم أمتعته، فقد كان يشعر أنّ اللّحظات نفسها تحمله رسائل، تحمل شهادته العلمية أمانات عليه أن يبلغها، وتبليغها هو أثره في الحياة، هو بصماته في عالم الواقع، وهي بصمات لا تخلو من خطر ما دامت ستلج منطقة محرمة. ومما يحيره انه يكاد يجهل طبيعة البصمات التي سيتركها في الواقع، فهو يعلم مسبقا أن واقعة الغريب أكبر منه، وهو غريب بتقاليده من ناحية، وبطغيانه من ناحية أخرى. ذلك أن الواقع يمثل واقعين، واقعا تقليديا، وواقعا استعماريا، والواقع الاستعماري يحتل الصدارة عنده، ومع ذلك فإنه لا يستطيع أن يبوح به بشكل صريح، فالتقية تمنعه من ذلك. ولهذا يرمز إليه بالشمس المحرقة التي ترسل سياط لهيبها المدمر، وإنها لترسلها في يوم تخرجه، مما يجعل هذا الواقع الاستعماري حاضرا معه في كل لحظة، وقمعه يشتد كما يشتد قيظ الشمس كلما طلع النهار.. كلما أشرق صباح العلم وانتشر الوعي وامتد ظل المعرفة " [121].

ولكنّ ظل المعرفة، حين يمتد، يصطدم بالصبر، ويصطدم بالفضيلة وبالمثل العليا، قبل كل شيء.. بالتقية، وكلها لا تطفئ حرارة الشمس، كلها تخدم الاستعمار. ولا بد من الثورة على ذلك كله والبطل ثائر فعلا، إلّا أنّ ثورته لا تستطيع أن تبلغ مداها..في عالم الواقع لأنّ في أعماقه الكثير مما يحول بينه وبين أداء رسالته العلمية. ولذلك لا يبقي له في النهاية غير البحث عن مهنة متواضعة.. علها تبقي على طاقته الفكرية.

ومن هذه المهنة المتواضعة نكاد نلمح نهاية القصة. فهو الواقع الّذي سينتهي البطل إليه فعودته إلى مسقط رأسه، وإقامته بين أهله وذويه لا تحرره

[121] ـ أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص29

من حيرته، ولا تريه بارقة من أمل، فأسرته هي هذا العالم أو الواقع التقليدي. وما أسرع ما يعود إلى حيث بدأ أيام الطلب، يعود ليخضع لهذا الواقع قبل أن يضع أي مشروع لتحقيق آماله وطموحاته. ومن الواضح أنّ سقوطه في حضن التقاليد والسحر والشعوذة يدل على أنّ تمرّده – رغم ما بلغه من إدراك لواقعه – لم تكن له جذور حقيقية، ومن هنا نجده يستسلم كالحمل الوديع عند أول بادرة.

وقد تكون السعفة الخضراء رمزا لطغيان التقاليد على بيئة البطل، وذلك ما يجعلنا نتصور أنّ الأيام هي الّتي كانت تحلم.. بالتمرد والثورة والعمل النضالي، أمّا البطل فقد كان يعيش يقظة الحياة الخاصة فقد زف زفتين، زفة الفرح والاحتفال التقليدية، وزفة الزواج السحرية .. دون أن يستجيب لبركانه ودون أن يحرك ساكنا وفي ذلك ما فيه من السخرية من المثقف، الّذي سرعان ما ينهار.. أمام تمائم والدته الحنون، وهو نموذج للمثقف الشرقي بشكل عام.

الشخصيات :

من المعلوم أنّ الحدث " وحده لا يكفي في تأليف قصة ما ، بل لا بد من وجود الشخصية الّتي تدور القصة معها أو حولها " [122] فالشخصية هي الكائن الإنساني الّذي يتحرك في سياق الأحداث " [123]

و غالبا ما تتقدم هذه الشخصيات " شخصية بارزة متميزة، تنهض بالبطولة في مسار الحدث، أو في صياغة الموقف."[124]

[122] ـ عبد العالي بشير ، " تحليل الخطاب السردي و الشعري " ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، الجزائر ، 2003 ص 25 .

[123] ـ عبد الحميد بن هدوقة ، "غدا يوم جديد " ، منشورات الأندلس ، 1992 م .

[124] ـ عزيزة مريدن ، " القصة و الرواية "دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1980 م . ص : 26 ، 27 .

"و الحدث يخضع لمعطيات ظرف عام أو خاص، أو بيئة....ما، وحوافز ومثيرات، لها فعلها في سمات الشخصيات الّتي قد تأتي شخصيات متطورة حيادية أو منحازة، وربما جامدة، وقد تأتي وفي ملامحها وحركاتها، وعلى لسانها رؤى الكاتب المختلفة ونظرته للحياة، وفلسفته وأهدافه الإيديولوجية الّتي يحمّلها شخصياته للتعبير عنها، لا بِلُغة الخطابة وأسلوب المقالة الأدبية والصحفية والحكاية العادية الشعبية وسواها. بل بلغة الفنّ القصصي، أي لغة الإيحاء في تحريك الشخصيات. وفي ملامحها ومواقفها، باللّغة الفنية الّتي تلمح ولا تجتر أو تصرّح إلّا في حدود ينتفي فيها الغموض غير الفني، فتعلن المواقف الّتي تستنتج من المسار القصصي في النسيج العام المتكامل، ولا تلقي الأوامر الصريحة والآراء المباشرة في سرد خطابي جاف، أو في أسلوب تقريري رتيب أو وعظي مكشوف"[125]

نلاحظ من خلال قراءتنا لقصص سعد الله أنّ رسم الشخصية القصصية عنده مقاربة للواقع ، دون الإسراف في واقعيتها ، كما أنّها تبتعد عن المثالية ، الّتي تجردها من حقيقتها الإنسانية ، و غالبا ما نجده يختار نماذج بسيطة " تشبه القارئ ، و تنأى عن الشخصيات الخارقة ، الّتي لا يعرفها إلّا في الخرافات " 126

ويفتتح الكاتب القصة بضمير الغائب،" ليس في الوجود ما يشعره بالتفاؤل أو ينسيه – لحظة – عالمه الغريب ..."[127] لكنه يعلن البطل (جمال) في الصفحة الثانية، يقدمه غارقا في التشاؤم، " فيكاد يختنق بأنفاسه " [128]يلفه الإحساس بالضيق والضياع في الغربة خارج وطنه يعيش تجربة نفسية قلقة ، قذفته في

125 - احسان عباس ، " فن القصة " ، ص 20

126 - صبري حافظ ، " الخصائص البنائية للأقصوصة " مجلة فصول ، القاهرة ، م2 ، ع 4 سبتمبر 1982 ، ص 23 .

127- أبو القاسم سعد الله ،" سعفة خضراء " ص 30 .

128 - المصدر السابق ،ص 31 .

ظلمة من الحيرة والوجوم"[129] لكنه لم يستسلم للمنغصات، وعوامل الإحباط تكتسحه، فتكاد تشل إرادته في الدراسة، فقاوم واجتهد، حتى ظفر بالنجاح حلمه " اللّذيذ وزهرة خياله الجميلة" [130] ، ثم يقدم لنا صديقه الّذي صحبه إلى محطة القطار لتوديعه ، فيصفه بالإخلاص و الوفاء لصديقه و الشفقة على حاله فيقول : " وفي عينه بريق من دموع الشفقة على صديقه الحزين، وقد ودّ مخلصا لو عرف الأجواء الّتي أثارت آلامه واطلع على كامل علته"[131].

ثم تظهر لنا شخصية الأم، "و قد فارقها السقم"[132]حتى غدت كتلة من الحيوية والنشاط، احتفاء بولدها العائد من الغربة (عالما) يتردد اسمه على كل لسان بعدها يعرض علينا شخصية الأب و قد "أخذ عليه الفرح أحاسيسه" [133]و قد بدت شخصيته قيّمة مهذبة ، تعكس واقعية الإنسان الجزائري الريفي.
ثم تأتي شخصية(نرجس) و هي الفتاة الّتي اختارتها الأم لتكون زوجة لابنها مستقبلا
تلك كانت أهم الشّخصيات الّتي جاء ذكرها في القصة ، و سنتعرض فيما يلي إلى البناء المورفولوجي لهذه الشخصيات :

البناء المورفولوجي للشخصيات :

يلاحظ القارئ لقصة " سعفة خضراء " أنّ الكاتب لم يكن مولعا برسم ملامح شخصياته رسما دقيقا إلّا في رسمه لشخصية البطل و هو " شاب فارع وسيم في

[129] - المصدر نفسه ، ص30 .
[130] - أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص 30
[131] - المصدر نفسه ، ص 32
[132] - المصدر نفسه ،ص 35
[133] - المصدر نفسه ، ص 36

منتصف العقد الثالث من ربيعه الجميل " [134] ، ثم جاء وصف ل (نرجس) على لسان الأم ، فهي على حد قولها : " الجوهرة المكنونة... الحبيبة الطاهرة التي فتقت أكمام خمس عشرة وردة من ربيعها الخالد الندي" [135] تلك "الريحانة العطرة

و الملاك الشادي بتسابيح الجمال"[136] و لعل الملاحظ في هذه القصة هو الدلالة الاسمية للشخصيات الّتي قد تكون ذات مغزى ، فاسم البطل جمال يطابق المواصفات الّتي أتى على ذكرها الكاتب ، و كذلك اسم نرجس الّذي يوحي بأن الفتاة على قدر كبير من الجمال و الحيوية و هو الوصف الّذي ينطبق غالبا على الأزهار.

البناء الداخلي للشخصيات :

إن لم يهتم سعد الله بالوصف المورفولوجي لشخصياته ، فقد وفق إلى حدّ بعيد في رسم شخصياته من الداخل فمثلا: يقدم بطل القصة (جمال) غارقا في التشاؤم، " فيكاد يختنق بأنفاسه " [137]يلفه الإحساس بالضيق والضياع في الغربة خارج وطنه " يعيش تجربة نفسية قلقة ، قذفته في ظلمة من الحيرة والوجوم"[138] لكنه لم يستسلم للمنغصات ، فقاوم واجتهد، حتى ظفر بالنجاح حلمه " اللذيذ وزهرة خياله الجميلة" [139]

علاقة السارد بشخصياته :

[134] - أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ،ص 34 .
[135] - المصدر نفسه ،ص 34
[136] - المصدر نفسه ، ص36
[137] - المصدر نفسه ، ص 31
[138] - أبو القاسم سعد الله ، سعفة خضراء " ، ص30
[139] - المصدر نفسه ، ص 30

إنّ " العمل السردي كتابة يكتبها شخص " اصطلح على تسميته بالمؤلف ، و هذا المؤلف تتغير الشخصية بداخله باستمرار على مدى النسيج السردي ....ويتكون السرد من الأحداث و الوقائع الّتي يرويها الراوي "[140]

و " طبيعة راوي القصة هي بحد ذاتها مسألة غير بسيطة . فهي تتضمن أمورا كالمدى الّذي يكون هو نفسه شخصية تؤثر شخصيا في فهمنا لسردها و المدى الّذي تكون رؤيته للحوادث محدودة بالزمان و المكان أو بقدرته على النفاذ برويٍ إلى أذهان الشخصيات المتنوعة "[141]

و لعل الملاحظ في هذه القصة أنّ الراوي يتحدث عن نفسه و لكن عن طريق بطل القصة ، إنّه " الأنا " الّذي يربطها بالقوة الناشئة عن الاشتراك فيها "[142] لأن قصة جمال تشبه إلى حد بعيد الحياة الّتي عاشها الكاتب على أرض الواقع فالعادات هي نفسها ، و البيئة كذلك هي قرية قمار الّتي نشأ بها الكاتب .

إضافة إلى أنّ البطل رجل مثقف سافر ليواصل دراسته ثم عاد إلى مسقط رأسه ليفيد أهله و عشيرته بما حصّله من علم فيحقق بذلك أمل والديه المنشود وهي الغاية نفسها الّتي كان يسعى إليها أبوي الكاتب. كما أنّ إلحاح والدة البطل في الزواج أمر شبيه بما كان يحدث للمؤلف في زهرة شبابه .

ورغم ملامح الانقباض وهي تضغط على نفس البطل وقد أحسن بمرحلة جديدة في حياته، كمن يرتقي " ربوة جديدة من ربوات الحياة" فإن أملا وافدا قد شرع ينافس يأسا مقيما في عناق مع الطبيعة" وهل قبيح أن تخضر المروج الغدير الضحل جدولا رقراقا ينساب عبر الأعشاب؟ وهل قبيح أن تخضر المروج بعد

---

[140]- ROLAND Barths « poétique du réçit » du seuil paris 1977 p 17

[141]- روبرت شولز ، " عناصر القصة " ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، طلاس للدلراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، 1988 م ، ص45 .

[142]- برنار دي فوتر ، عالم القصة " ، ترجمة : محمد مصطفى هدارة ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، 1969م ،ص 208 .

ــمجال وعبوس؟ إنه ليس بين الشباب سوى التجارب مع نسائم الصبابة، وهتاف العواطف، وليس بين جمال و (الحياة الجدية) سوى هذه المسافة الذاتية".

الزمن :

ما يمكن ملاحظته في هذه القصة هو طول الزمن . وقد بدا قطارا لزمن روائي، إلاّ أنّ الكاتب أجاد اختزاله في النهاية من دون ضرر كبير، فبعد فارق زمني من دون تحديد ولا سرد يبرز لنا (جمال) ذات أمسية يتنزه " في حقول النخيل ومعه طفلان يخيّل للناظر أنّهما ملكان هبطا من السماء، وليسا بابني جمال".

وبذلك تنتهي القصة معلنة عن سطوة التقاليد وانتصارها، في محيط ضار يدعمها، يناوئ ويراود في الوقت نفسه الرافض والتأثر عليها حتى يذعن إليها صاغرا، كمن اجبر ملغيا كل أسلحته العقلية والفكرية.

المكان :

إنّ بناء المكان لا ينفصل عن بناء الزمان " وقد يمثل في كثير من الأحيان ، البنية العميقة للفضاء القصصي "[143]

و تتنوع الأمكنة و الأشياء بحسب تنوع أبعاد القصة ففي بعض الأحيان يكون المكان " عاملا مؤثرا في الحوادث و الشخصيات ، أو أحاسيسها الداخلية تجاه موقف من المواقف فيكون المنظر الطبيعي ، حلقة في تطور الشخصية ، أو باعثا من البواعث التي تشكل نفسيتها . "[144]

[143] ـ أحمد طالب ، " الأدب الجزائري الحديث " ص 74 .
[144] ـ محمد نجم ، " فن القصة " ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 5 ، 1966 .

و لعل القارئ لهذه القصة يلاحظ أنّ أولى الأماكن التي قام بوصفها الكاتب هي قرية "قمار" الصحراوية، في أقصى الجنوب الشرقي من الجزائر (قرية الكاتب)، "غارقة في رمال بيضاء ناصعة، يزيدها وهج الظهيرة لآلاء، فيخل وقد التقت من حولها غابات النخيل، غنها زورق مشحون يمخر العباب، ويتهادى ثملا برفيق النسيم".[145]

فوصف الكاتب ذلك وصفا حيا، بلغة رشيقة، وقد انتهى ببطله (جمال) إلى أسرته في هذه القرية الصامتة، في وداعة طفولية، وقد ملأ الفرح به أباه، فملك أحاسيسه وأعصابه

لكن ما يمكننا ملاحظته في بقية هذه القصة ، هو تعدد الأماكن .

و خلاصة القول هو أن هذه القصة الفنية تبدو على مستوى جيد من التطور في " شخصياتها انسجاما وتطورا وتنافسا، وبناء الحدث فيها، وأسلوبها العربي الصافي، ورغم صيغ الوعظ (ص35) والتعليق (ص37) والافتعال (ص 40) تبقى في عمومها لغة قصصية بحيويتها، وتدفقها، ومرونتها في نقل ما يمور في فؤاد الشخصية القصصية، فيكون حديث النفس (ص 39،38) كما يكون ذلك الوصف الرقراق للوحات من المواقف، ثم وصف الطبيعة . "[146]

لذلك يمكن اعتبارها"علامة واضحة أصلية في مسار القصة الجزائرية القصيرة، في انتقالها من قالب الحكاية والمقالة القصصية إلى قالب قصة فنية ناضجة تماما، بحدثها وشخصياتها، والبناء فيهما، ثم بلغتها وبأسلوبها، وما هنالك من مآخذ فنية تبقى طبيعية في مرحلة التأسيس الفني الجاد هذه في الخمسينات وهي فترة بدأت تزداد غنى".

[145] ـ أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص35 .

[146] ـ المصدر السابق ، ص 41

2) فتاة القرية :

وهي القصة التي تتصدر المجموعة تصور العلاقة الغرامية التي قامت بين القائد وإحدى فتيات القرية. وتبدأ حيثيات هذه القصة في الكتاب، فتضع القارئ وسط التلاميذ بألواحهم الناصعة البياض. فيتوقع أن يقرأ قصة شيقة عن عالم المدرسة القرآنية، إلا أن المؤلف سرعان ما يبعد الحدث عن الوسط الكتابي. ويحصره في ذهن تلميذ يعتبره أكبر التلاميذ سنا، وأكثرهم إدراكا لما يقع حوله. أما بطل القصة الحقيقي وعشيقته فلا نعرف عنهما شيئا إلا عن طريق الرواية أو عن طريق ما يدور في ذهن الطفل صالح.

" وقد اعترف المؤلف أن هذه القصة صياغة حديثة لحادثة قديمة، ولذلك لا يستغرب حين نجده يحدثنا عن موضوع القصة في كلمات قليلة، ثم يبدأ في رواية الحدث، كأنه يستعمل هنا المنهج التاريخي "، فالحدث يعتبر في الحقيقة منتهيا، حين أخبرنا في الفقرة السادسة أن "ذلك هو موضوع العلاقة بين القائد والفتاة عبير، وما نتج عن ذلك من سيلان دماء، وهروب البعض من القرية، ثم خروج الموضوع من المجون والغيرة إلى السياسة والاقتصاد، فكيف لا يشغل هذا الموضوع أهل القرية، كبيرهم وصغيرهم، ولو كان هؤلاء الصغار في سن صالح."

غير أن أسلوب الرواية، الذي استعمله المؤلف، جعله يقدم تفاصيل لا تخدم القصة، كما أنه قام بتكرار بعض الأحداث بدون مبرر، فقد تحدث عن انقاذ الكلب لسيده ثلاث مرات، وتحدث عن انتقال العشيقة وأمها إلى قصر القائد مرتين، كما استعمل أسلوب التحري...و كلها أساليب لا تخدم فنيات القصة

القصيرة . ولعل إشارة صالح إلى ما سيطلع عليه زميله من أخبار القائد الجديدة لاتصلح لأن تكون نهاية للقصة."[147]

3) مرارة التبغ"

تعتبر قصة "مرارة التبغ" من أروع قصص هذه المجموعة، فهي تقدم صورة في منتهى الصدق عن نضال الفلاح في سبيل إعالة أطفاله. فبطلها أحمد يكافح ويتعب في زراعة التبغ، ولكن المعمر يستولي على معظم ما ينتجه، فيدفعه ذلك إلى إخفاء التبغ، بطريقة سرية. فذهب في إحدى الليالي مع صديقه عبد الحميد، وأخفاه تحت الرمل، ثم عاد إلى بيته لينام .ومضى بعد أيام إلى البحث عنه، فلم يجد له أثرا، إلا أنه تذكر في النهاية أنه وضعه في المكان الذي أشار به عليه صديقه.

وعاد إلى بيته بعد عثوره عليه، وقد خالط نفسه بعض الاطمئنان، إلا أن ذلك لم يزل عنه قلقة النفسي، ولم ينسه خوفه من المفتشين، الذين سيحضرون بين لحظة وأخرى لجمع التبغ والبحث عمن تسول له نفسه إخفاءه عن الأنظار.

وبعد أن يتم الاتفاق على البيع بينه وبين أحد المهربين يذهب إلى السوق ويشتري اللحم، ويحمله إلى زوجته، ويطلب منها أن تطبخه، وأن توزعه على الجيران، مما جعل أطفاله يتصورون أنهم في يوم عيد، لأنهم لم يكونوا يعرفون اللحم إلا في العيد السعيد.

ويزوره المهرب فيذبح له الدجاجة الوحيدة التي يملكها، ويقدمها له طعاما في المكان المتفق عليه، وقبل أن يسلمه بضاعته، خيل إليه أنه يسمع صوت صديقه عبد الحميد، فهو الذي يعرف وحده مكان إخفاء التبغ. فمضى نحو الصوت ليجد نفسه بين أيدي رجال المخابرات الفرنسية. فهذه القصة مؤثرة جدا.. رغم أن الحوار فيها طويل في أغلب الأحيان

[147] ـ أنظر ، " أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص48

4) "ليلة غرام"

وقصة "ليلة غرام" تستمد صفاءها وشاعريتها من عالم الأحلام، فهذا العاشق يزور حبيبته في يقظة الليل، فترتاع الحبيبة، وتبدأ في محاورته ولكل منهما منطلق مختلف، هو يتحدث عن عالمه الخيالي، وهي تحاول أن تقترب من الواقع أكثر، هو يخشى الزمن ويخشى المستقبل عنده إلا صورة من صورة الخيالية. أما هي فتريد أن تبني علاقتها على أساس ما تشعر به، تطمح إلى أن تبني عالمها على الصدق، فصفاء القلب يقهر الزمن والمستقبل. وحين يستيقظ البطل من حلمه يجد يده قابضة على الفراغ.. يعرف أنه لم ينعم بما نعم به في حلمه الجميل.

وفي هذه القصة يخبرنا المؤلف منذ البداية أنه يروى حلما عاشه البطل مع حبيبة قلبه. ويخيل إلى انه يكفي أن نعرف أن ما سيروى عبارة عن حلم لنتصور ما يتخلل هذا الحلم من نجوى قد تحتد، وعتاب قد يطول، ثم يعقب ذلك الاتفاق والوئام، ولا يكتفي المؤلف بالحديث عن هذا الحلم في بداية القصة، وإنما يعود إلى الحديث عنه في نهاية القصة. وحبذا لو اكتفى بحلم النهاية، واستغنى عن الرسالة كلها، فتلك هي المفاجأة التي يهيئها القاص لقارئه.

و قارئ هذه القصة قد يتوقع من الكاتب أن يدخله في عالم العواطف، ما دام الأمر يتعلق بالحب، إلا أنه يلجأ إلى نقاش فكري بين الحبيب وحبيبته القاسية، وقسوتها هذه مستمدة، فيما يبدو، من الحلم الذي عاشه الحبيب ..ذلك أن الحبيبة لا تظهر الحب لحبيبها إلا في ..النهاية وما يمكن ملاحظته على هذه القصة هو أن المؤلف فصلالفقرة الأخيرة المتعلقة بالعناق والدموع عن الحلم بكامله مع

أنها تابعة له ومن صميمه ولعله بذلك أعتبرها جزءا من المستقبل الذي يخشاه على غرار بطل السعفة الخضراء ."[148]

5) "<u>ممنوع الدخول</u>"

تقوم قصة "ممنوع الدخول" على حادثة بسيطة، وهي أن مناضلا مغتربا استدعته جبهة التحرير إلى الجزائر، فحالت السلطات الفرنسية بينه وبين العودة خشية أن ينضم إلى الثوار.. رغم إظهاره لرسالة تخبره بمرض أبيه، فيحتال على السلطة الفرنسية إلى ان يتمكن من الدخول إلى وطنه والشروع في تدريب المتطوعين. ورغم بساطة هذه الحادثة فإن المؤلف استطاع أن يجعل منها قصة شيقة، لم تخل من عنصر المفاجأة.

ولعل أجمل ما في القصة الحوار النفسي، الذي يدور في أعماق بطلها. فنجده يقلب أمر رجوعه على وجوهه المختلفة، ويناقش كل ما يخدم قضيته القومية، لكي يستطيع أن يتحمل مسؤوليته على الوجه الأكمل، ويقدر من يستطيع تحمل هذه المسؤولية بعد خروجه، وذلك دون أن ينسى التفكير في زملائه وما قد تخبره عليهم أفعاله هو من مصاعب. وتأتي أهمية هذه القصة أيضا من أنها تصور فترة من فترات النضال الوطني داخل التراب الفرنسي، وتعكس الجو القومي، الذي يعيشه المواطنون هنالك.

الأسلوب

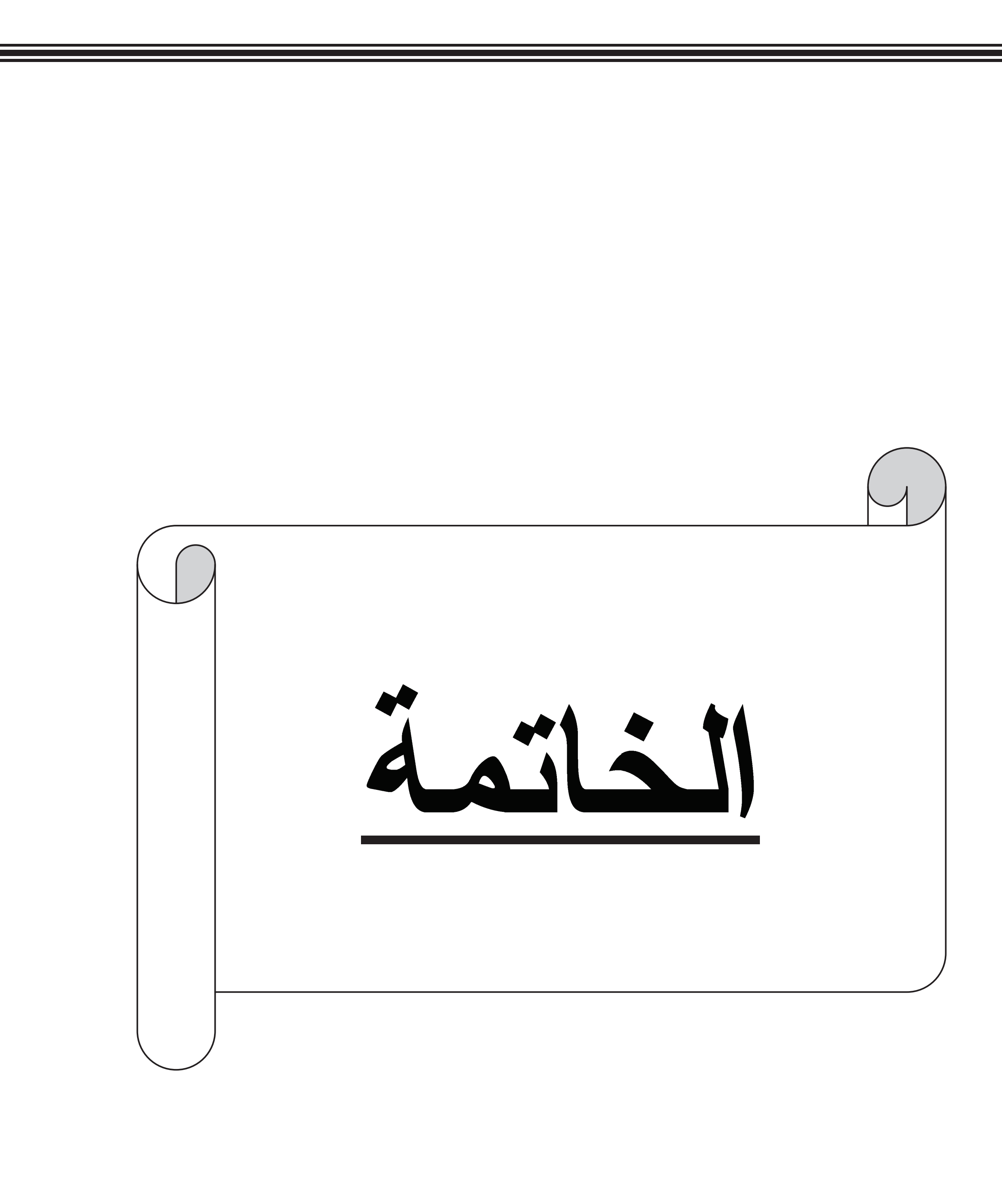
يجمع أسلوب سعد الله في هذه القصص بين الواقعية والرومانسية، وأجمل وصف واقعي يقدمه لنا هو وصفه للطريقة التي يمحو بها التلاميذ ألواحهم

[148] - أنظر ، أبو القاسم سعد الله ، " سعفة خضراء " ، ص50

ويجففونها في الشمس، وكذلك وصفه للألعاب التي يقومون بها أثناء الراحة، ثم جلوسهم حول معلمهم. إن هذا الوصف جدير أن يعجب به كل من عاش هذه التجربة، ويشعر بالحنين إلى تلك الفترة البريئة وذلك ما تصوره قصة فتاة القرية. ولا تعدم أن نجد الأسلوبين معا، كما هو الأمر في قصة السعفة الخضراء نفسها.

ولعل الكاتب في قصصه جمع بين استعمالات لغوية قديمة، وأخرى حديثة، وهي انعكاس للفترة التي عاشها جيله مع تجديدات المشرق والمهجر وحركة الإحياء، وكثيرا ما لجأ إلى استعمال العبارات الشعرية، وخاصة أثناء وصفه لأزمة نفسية أو لقلق مؤرق، و لعل ذلك مرجعه لكونه في تلك الفترة يهتم بنظم الشعر.

ومع أنّ الدكتور سعد الله لم ينشر، كما سبق أن ذكرت، سوى قصة واحدة، فإني أعتقد أنه استطاع أن يجد لنفسه مكانة خاصة في عالم القصة القصيرة ، كما كان له دور في تطورها، تمثل بشكل خاص في إدخال العنصر النفسي حينا، والاتجاه بها نحو الحوار الفكري حينا آخر، كما تمثل في تجديد الدعوة إلى الاهتمام بهذا الجنس الأدبي الجميل وكذلك الدعوة إلى التعبير عن الواقع الاجتماعي ومعالجة مشكلاته معالجة صادقة، وذلك ما نستشفه من المقدمة التي كتبها لقصة السعفة الخضراء.



الخاتمة

الخاتمة

من خلال إنجازي لهذا البحث المتواضع توصّلت إلى عدة نتائج أساسية تتلخّص فيما يلي :

أولا : كان للبيئة الّتي نشأ فيها أبو القاسم سعد الله دور بارز في تكوين ملكاته الأدبية ، و ذلك باعتبار منطقة واد سوف من القرى المحافظة الّتي تسعى إلى التمسك بكلّ ما له علاقة بالموروث الإسلامي و اللّغة العربية .

ثانيا : كان للعائلة الّتي ترعرر فيها سعد الله أثر هام في تحديد مساره العلمي بدأ بأمه الّتي شجّعته على حفظ القرآن الكريم ، ثمّ والده الّذي وفّر له سبل السفر إلى تونس قصد مواصلة دراسته حتى يصبح عالما و يشارك بدوره في عملية الإصلاح الّتي كانت تشهدها الجزائر آنذاك ، ثمّ زوجته الّتي شجّعته على المضي قدما في ميدان البحث .

ثالثا : تعدّد الأماكن الّتي قصدها سعد الله أثناء مشواره العلمي جعلته يطّلع على مختلف الثقافات العربية و الغربية ، و عرف مدارس أدبية كثيرة ، كما أكسبه ذلك زادا علميا وافرا مكّنه من الكتابة في مختلف مجالات الأدب و التاريخ .

رابعا : رغم ابتعاد سعد الله عن فنّ الشعر إلاّ أنّه استطاع أن يترك بصمته في الشعر الجزائري الحديث و بالأخص الحرّ منه ، حيث اتّكأ على التاريخ و تعلق بالتراث التليد ، فوظفه في قصائده لاستنهاض الهمم على درب المقاومة والتصدي للاستعمار الدخيل ، كما استعان بالدّين الحنيف فكان له نبراسا و هاديا في أوقات المحن .

خامسا : إنّ التجربة الشعرية عند سعد الله كانت ثرية ، فقد تجلّت فيها العديد من الرؤى الوطنية و الجمالية .

سادسا : تعد محاولات الدكتور سعد الله في مجال النقد ناجحة ، رغم قلتها مقارنة بحالة الركود الّتي كان يعرفها النقد الأدبي الجزائري الحديث مطلع الخمسينات .

سابعا: اهتم سعد الله كثيرا بدراسة التاريخ الثقافي بصورة خاصة للجزائر وهذا ما جعله يهتم في دراساته بأدب الرحلة و الرحالة الجزائريين ، كما كان له أيضا تجارب في الكتابة حول رحلاته الخاصة داخل الوطن و خارجه .

ثامنا : رغم أنّ بدايات سعد الله الأولى في الكتابة، كانت في مجال الشّعر إلاّ أنّه ساهم في تطوّر القصّة القصيرة في الجزائر، و قد تمثّل دوره بشكل خاص في إدخال العنصر النفسي حينا، والاتجاه بها نحو الحوار الفكري حينا آخر، كما تمثّل في تجديد الدّعوة إلى الاهتمام بهذا الجنس الأدبي الجميل وكذلك الدعوة إلى التعبير عن الواقع الاجتماعي ومعالجة مشكلاته معالجة صادقة .

كانت هذه أهم النقاط الّتي عالجتها من خلال هذا البحث المتواضع .

مكتبة البحث

مكتبة البحث

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية :

❖ **ابن بطوطة**

- " رحلة ابن بطوطة 1 " ، موفم للنشر ، 1989 م .

❖ **ابن منضور(جمال الدين)**

- " لسان العرب" ، دار صادر بيروت ، ط2 ، المجلد الثاني ، 1994

❖ **أدونيس**

- " الثابت و المتحول " ، ج 3 ، دار العودة ، بيروت ، 1983 م .

❖ **إسماعيل (عز الدين)**

- "الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية "، دار العودة ،ط 2 ،بيروت ، لبنان ، 1981 م .

❖ **الابراهيمي (محمد البشير)**

- " في قلب المعركة " ، دار الأمة ، الجزائر ، 2007 م ،

❖ **الأعرج (واسيني)**

- " اتجاهات الرواية العربية في الأدب الجزائري الحديث"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م .

❖ **الأعوج (زينب)**

- " السمات الواقعية للتجربة الشعرية في الجزائر" دار الحداثة، ط1، بيروت، 1985م .

❖ **الأمير محمد(بن الأمير عبد القادر الجزائري)**

- " تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" ، دار اليقظة،ط 2، بيروت، 1964 م .

❖ **بلال(عمارية)**

- " شظايا النقد و الأدب "- دراسات أدبية - المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1989م .

❖ **بن رمضان (محمد) و بن حمدان (الغوثي)**

- " إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر " ، ج 3 ، مطبعة بريكسي ، تلمسان ، الجزائر ، 2001 م .

❖ **بن زايد(عمار)**

- " النقد الأدبي الجزائري الحديث"، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990م.

❖ **بن سمينة (محمد)**

- " النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها ، بدايتها ، مراحلها " مطبعة الكاهنة ، الجزائر ، 2003م

❖ **بن عبد الله (بلقاسم)**

- "بصمات و نوقيعات " ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 م .

❖ **بن قينة (عمر)**

- " اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة"ديوان المطبوعات الجامعية،بنعكنون،الجزائر،1995م

- " شخصيات جزائرية " ، دار البعث ، الجزائر ، 1983 م.

- " الشكل و الصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة " ، دار الأمة ، الجزائر ، د . ت

- " في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د .ت

❖ **بن نعمان (أحمد)**

- " التعريب بين المبدأ و التطبيق " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 م .

❖ **بن هدوقة (عبد الحميد)**

- " ريح الجنوب " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1970 م .

- " غدا يوم جديد " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1973

❖ **بوطارن(محمد الهادي) ،**

- " رمضان حمود شاعر التقليد و التجديد " ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 م .

❖ **بوقرورة(عمر)**

- " الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، (1954-1962)" منشورات جامعة باتنة ،الجزائر ،

❖ **حامد النساج (سيد)**

- تطور فن القصة القصيرة في مصر"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، 1968م.

❖ **الحفناوي (أبو القاسم)**

- " تعريف الخلف برجال السلف " مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1982 م .

❖ **الجزائري (الأمير عبد القادر)**

- "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر" ، شرح و تعليق ممدوح حقي ، دار اليقظة ،ط 2، بيروت، 1964 م ،
- " ذكرى العاقل و تنبيه الغافل " تحقيق ، عمار طالبي ، دار القصبة ، الجزائر ،2005 م .
- "المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل و الإلحاد " منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،د.ت .
- " ديوان الأمير عبد القادر الجزائري "شرح و تحقيق ممدوح حقي ، منشورات دار اليقظة العربية ، ط 2 بيروت ، 1964.

❖ **جعفر العلاق (علي)**

- " في حداثة النص الشعري " ، دار الشروق للنشر ، عمان ، 2003 م

❖ **خرفي(صالح)**

- " أطلس المعجزات " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 2 الجزائر ،1982 م .

- " الشعر الجزائري الحديث " دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان ، 1985م .

- " شعراء من الجزائر"، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969 م.

- " صفحات من الجزائر : دراسات و مقالات من 1962-1972" ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1973م .

- " محمد العيد خليفة "، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م .

- " المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1983 م .

❖ **الدسوقي (عبد العزيز)**

- " جماعة أبوللو " ، معهد البحوث و الدراسات العربية العليا ، القاهرة ، مصر ، 1960 م .

❖ **دودو(أبو العيد)**

- "كتب و شخصيات " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971 م .

❖ **رابح عمامرة ، (تركي)**

- " الشيخ عبد الحميد بن باديس ، باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة " ، موفم للنشر ، ط 2 ،الجزائر ، 2003 م.

❖ **رشدي (رشاد)**

- " فن القصة " دار العودة ،ط 2 ، بيروت ، لبنان 1975.

❖ **رضا حوحو (أحمد)**

- " صاحبة الوحي و قصص أخرى " ، مطبعة قسنطينة ، الجزائر ، 1954 م

❖ **الركيبي (عبد الله)**

- " تطور النثر الجزائري الحديث " ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 م.
- " الشّعر الديني الجزائري الحديث" الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981 م.
- " الشّعر في زمن الحرية" ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1994م.
- " قضايا عربية في الشّعر الجزائري المعاصر"معهد البحوث لا الدراسات العربية ، القاهرة ، 1970 م .

❖ **رماني (ابراهيم)**

- " المدينة في الشعر العربي ، الجزائر نموذجا (1925 – 1962)" وزارة الثقافة ،الجزائر ، 2007 م .

❖ **زوزو (عبد الحميد)**

- " دور المهاجرين الجزائريين في الحركة الوطنية " ،الجزائر ، 1980 م .

❖ **زيدان (جرجي)**

- "تاريخ آداب اللغة العربية " موفم للنشر ، ج 4، مصر ، 1993 م .

❖ **سالم (عبد القادر)**

- " مكونات السرد القصصي " منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2001 م .

❖ **سعد الله (أبو القاسم)**

- " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1978 م .
- " أفكار جامحة " المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988م .
- " تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) " معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، 1976 م .
- " تاريخ الجزائر الثقافي " الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 م .
- " تاريخ الجزائر الثقافي " المجلد الثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998
- " تاريخ الجزائر الثقافي " المجلد السابع ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1998
- " تجارب في الأدب و الرحلة " المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م .
- " ثائر و حب " منشورات دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، 1967م .
- "الحركة الوطنية الجزائرية " دار الآداب ، بيروت ، 1969 م .
- "حوارات "دار الغرب الإسلامي ، ط2،بيروت ،2005 م .

- " خارج السرب "دار البصائر، الجزائر، 2009 م .

- " دراسات في الأدب الجزائري الحديث " دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007م .

- " الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 م

- " في الجدل الثقافي " دار المعارف للطباعة ، و النشر ، سوسة ، تونس ، 1992 م .

- " القاضي الأديب محمد الشادلي القسنطيني " الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1974 م .

- " قضايا شائكة " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1989م .

- " مجادلة الآخر" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د . ت

- " مسار قلم " دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2005 م .

- " المفتي الجزائري ابن العنابي " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1977 م .

- " منطلقات فكرية " الدار العربية للكتاب، تونس، 1982م .

- " محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث" المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 3 ، الجزائر ، 1984م.

- "النصر للجزائر "آمال ، ط 2 ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 1984 م .

- " هموم حضارات " دار الأمة ، الجزائر ، 1993م .

❖ **سيف الإسلام (الزبير)**

- "تاريخ الصحافة في الجزائر"، ج 2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971 م

❖ **شاهين (عبد الصبور)**

- " في علم اللغة العام " ، مؤسسة الرسالة ، ط 4 ، بيروت ، لبنان ، 1984 م .

❖ **شرف (عبد العزيز)**

- " المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر " ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1971 م.

❖ **شريط (عبد الله)**

- "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة " دار القصبة ، الجزائر ، 2009 م .

❖ **شكري (عبد الرحمن)**

- " الديوان " ،جمعه و حققه : نقولا يوسف ، مراجعة و تقديم : فاروق شوشة، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، 2000 م .

❖ **شلتاغ (عبود شراد)**

- " حركة الشعر الحر في الجزائر " المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1985م /

❖ **الشيخ صالح (يحي)**

- " شعر الثورة عند مفدي زكريا " ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1987 م .

❖ **صالح السيد (فؤاد)**

- "الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

❖ **صاوي الجويني (مصطفى)**

- " أبعاد في النقد الأدبي الحديث "الإسكندرية، مصر، 1998م .

❖ **الصاوي (أحمد)**

- " مفهوم الجمال في النقد الأدبي : أصوله و تطوره ، 1984 م

❖ **الصديق (محمد الصالح)**

- " وقفات ونبضات" الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982 م.
- " أعلام من المغرب العربي " ، ج 1 ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2000 م

❖ **صيام (زكريا)**

- " ديوان الأمير عبد القادر " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 م .

❖ **ضيف (شوقي)**

- "الرحلات " دار المعارف ، ط 3 , مصر. د . ت

❖ **طالب (أحمد)**

- " الأدب الجزائري الحديث (المقال القصصي و القصة القصيرة)" دار الغرب ، وهران ، الجزائر ، 2007 م

- "الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة "، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ،الجزائر،1989م .

- "المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق " دارالغرب ، وهران، الجزائر ، 2005 م .

❖ **طالبي (عمار)**

- ابن باديس ، حياته و آثاره " ج 1 ، الشركة الجزائرية ، ط 3 ، الجزائر ، 1997 م .

❖ **طمار (محمد)**

- " تاريخ الأدب الجزائري " ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2، الجزائر ، 2006 م .

❖ **عامر (مخلوف)**

- " أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر "، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران،2005 م .
- " متابعات في الثقافة والأدب "، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ،2002م

❖ **عباس (احسان)**

- " فن السيرة " دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، د . ت.

- " فن الشعر " دار الثقافة ، ط الثانية ، بيروت ، لبنان ، د .ت .

- " اتجاهات الشعر العربي المعاصر" المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978م.

❖ **عباس (محمد)**

- " البشير الإبراهيمي أديبا " ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 1983 م .

❖ **عبد العالي (بشير)**

- " تحليل الخطاب السردي و الشعري " ، دار الغرب ، وهران ، الجزائر،2003 م .

❖ **عبد القادر(فضيل)**

- " إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس " ، دار الأمة ، الجزائر ، 1998 م .

❖ **عزوي (محمد الطاهر)**

- " ذكريات المعتقلين " ، منشورات الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1994م .

❖ **عشراتي(سليمان)**

- " الأمير عبد القادر السياسي" دار الغرب، ط 1 ، الجزائر، 2002 م .

- " الأمير عبد القادر الشاعر" دار الغرب، ط 1 ، الجزائر، 2002 م .

- " الأمير عبد القادر المفكر"دار الغرب، ط 1 ، الجزائر، 2002م .

❖ **عشري (علي)**

- " عن بناء القصيدة العربية الحديثة " ، مكتبة دار العلوم ، ط 1 ، القاهرة ، 1978 م.

❖ **العلاق علي جعفر**

- " في حداثة النص الشعري " ، دار الشروق للنشر ، عمان ، 2003 م .

❖ **عياد (محمد شكري)**

- " القصة القصيرة في مصر " دار المعارف ، ط 2 ، القاهرة ، 1979 م .

- " موسيقى الشعر العربي " ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1965 م .

❖ **غريب (جورج)**

- " أدب الرحلة : تاريخه و أعلامه " سلسلة الموسوعة في الأدب العربي ، دار الثقافة ، ج 7 ، بيروت ،

❖ **غنيمي (هلال)**

- " النقد الأدبي الحديث" دار العودة، ط 3 ،بيروت، لبنان ، 1964 م.

❖ **فتح الباب (حسين)**

- " شاعر و ثورة قراءة في ديوان الزمن الأخضر " دار المعارف ،تونس ، 1991 م .

❖ **فتوح أحمد (محمد)**

- " الرمز و الرمزية في الشعر العربي المعاصر " دار المعارف ، ط 3 ، القاهرة ، 1984 م .

❖ **قناش (محمد)**

- " ذكرياتي مع مشاهير الكفاح " ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 م .

❖ **الكردي (عبد الرحيم)**

- "البنية السردية للقصة القصيرة " دار النشر للجامعات ، ط 3 ، مصر ، 1999 م .

❖ **كرو (أبو القاسم محمد)**

- "الشابي : حياته و شعره " ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984 م .

❖ **كمال زكي (أحمد)**

- " النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

❖ **لونيسي (رابح) و آخرون،**

- " تاريخ الجزائر المعاصر 1830 – 1989 " ،الجزء 1 ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2010 م

❖ المحافظة (علي)
- " الاتجاهات الفكرية عند العرب " ، الأهلية للنشر ، بيروت ، 1983م .

❖ محمد (حسن زكي)
- " الرّحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1981 م .

❖ محمد حسين (حسين)
- " أدب الرّحلة عند العرب " مكتبة الثقافة الشعبية ، القاهرة ، 1976 م .

❖ محمود العقاد (عباس)
– " ديوان العقاد" ، منشورات المكتبة العصرية ، المجلد 1 – 6 ، بيروت ، لبنان .

❖ محمد علي (محمد العيد)
- " الديوان " مطبعة البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1967 م .

❖ المدني (أحمد توفيق)
- " جغرافية القطر الجزائري " مكتبة النهضة ، ط 2 ، مصر ، 1963 م.
- " هذه هي الجزائر " مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . ت .

❖ مرتاض (عبد المالك)
- " أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830 – 1962 " الجزء 1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2009 م .
- " فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931-1954) " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1983م .
- " نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر"الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1983م

❖ مرتاض (محمد)
- " النقد المغربي القديم في المغرب العربي" ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا

❖ مرعي (فؤاد)

- " في تاريخ الأدب الحديث : الرواية ، المسرحية ، القصة " ، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، 1989 م

❖ **مريدن (عزيزة)**

- " القصة الشعرية في العصر الحديث " ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 م .

- " القصة و الرواية "دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1980 م .

❖ **مصايف (محمد)**

- " جماعة الديوان في النقد" مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر، 1974م.
- " النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي "، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط 2 ، الجزائر ،1984 م .

❖ **مندور (محمد)**

- " الشعر المصري بعد شوقي"، الحلقة الثانية ، دار نهضة ،مصر،د.ت .

❖ **الميلي (محمد)**

- " ابن باديس وعروبة الجزائر " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط2، الجزائر 1980 م .

❖ **ناصر(محمد)**

- " الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته، خصائصه الفنية-1925-1975" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985 م .

❖ **نجم (محمد يوسف)**

- " فن القصة " ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 5 ، 1966 م

❖ **وزناجي (مراد)**

- " حديث صريح مع أ . د . أبو القاسم سعد الله " منشورات الحبر، الجزائر، 2007 م .

❖ **وطار (الطاهر)**

- " اللاز " الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1975 م .

❖ **يوسف (أحمد)**

- " السلالة الشعرية في الجزائر، علامات الخفوت وسيماء اليتم "، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس الجزائر،2004 م .

الكتب المترجمة

❖ **أديب بامية (عايدة)**

- " تطور الأدب القصصي الجزائري "ترجمة : محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 م .

❖ **تشارشل (شارل هنري)**

- " حياة الأمير عبد القادر " ترجمه و قدم له و علق عليه أبو القاسم سعد الله منشورات الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1974 م .

❖ **حداد (مالك)**

- " الشقاء في خطر " ترجمة : مالك أبيض العيسى ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 2 ،بيروت ، 1979 م .

❖ **دي فوتر(برنار)**

- " عالم القصة " ، ترجمة : محمد مصطفى هدارة ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، 1969 م .

❖ **شولز** (**روبرت**)

- " عناصر القصة " ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، 1988 م

❖ **كاتب** (**ياسين**)

- " الأمير عبد القادر و استقلال الجزائر " ترجمة : محمد هناء " المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 م

❖ **ميكال** (**أندري**)

- " الأدب العربي " ، تعريب : رفيق بن وناس ، صالح حيزم ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1980 م .

المجلات و الدوريات:

- " الأثر " العدد السابع ، ورقلة ، الجزائر ، ماي 2008 م.
- " الأصالة " عدد 6 (يناير ، فبراير 1972 م) ، الجزائر .
- " آمال " ، وزارة الثقافة ، العدد 57 ، الجزائر ، 1983 م.
- " البصائر "السنة الأولى (ديسمبر 1935 – جانفي 1937) ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1984 م .
- " التواصل"، نشرية جامعة عنابة، الجزائر ، 1996م.
- " الثقافة"، وزارة الإعلام و الثقافة، العدد 60، الجزائر199م.
- " الجزائر" ، وزارة الإعلام و الثقافة ، العدد السادس، الجزائر 2003 م.
- " الخبر "، يومية جزائرية .
- " فصول " ، م2 ، العدد الرابع ، القاهرة ، سبتمبر 1982 م.

- " الفضاء المغاربي "، العدد الرابع ، جامعة أبي بكر بلقايد ، رمضان 1428 هـ أكتوبر 2007 م
- " اللغة و الأدب " ، ع 2 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة الجزائر ، الجزائر

المذكرات و الرسائل الجامعية

❖ **بن زايد (عمار)**

- " النّقد الأدبي الجزائري الحديث من خلال دوريات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1925 - 1954"، مذكرة لنيل الماجستير مقدمة لجامعة الجزائر

❖ **وغليسي (يوسف)**

- "إشكالية المنهج والمصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض النقدية "،(مخطوط ماجيستير)، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة قسنطينة ،1995-1996.

المصادر و المراجع الأجنبية:

• **FERAOUN , Mouloud**

“ Le fils du Pauvre ” , Editions TALANTIKIT , Bejaia , Algérie , 2002

• **GODENORE , René**

- “ La nouvelle Française” , p 4 de France, Paris 1974

• **KADDACHE , Mahfoud**

- "Le parti du peuple algérien 1937 – 1939" , office des publication universitaires , Algérie , 2009 .

MA MMERI , Mouloud
"La colline oubliée " , Edition Bouchene , Alger , Algerie .

MAUPASSANT, Guy

- "Une vie , "CASBAH editions ,Alger , ALGERIE , 1998

- **MIMOUNI , Ahmida**

- " BENBADIS par lui-même " ,édition MIMONI Alger , 2009 .

- **ROLAN ,Barths**

- " poétique du récit " , du seuil , paris , France , 1974

مواقع الأنترنيت

- **www . Google .com**
- **www.chihab .net**
- **http://almostafa.info/data/arabic.pdf**
- **belk27@yahoo.com**

فهرس موضوعات البحث

فهرس موضوعات البحث

الموضوع **الصفحة**

Résumé:

Cet étude est intéressé aux travaux littéraire de “ Abou Al Kaçem Saad Allah” Qui est considérer parmi les plus grand penseur en Algérie . Il est un auteur , poète , chercheur , historien et un homme de réforme social et religieux . Il est reconnue par ses attitudes scientifiques et ses défense des valeurs .
Dans le premier chapitre , j’ai suivie son parcourt personnel et scientifique et son militantisme avec une lecture de ses ouvrages qui s’intéresse aux littérature Algérienne contemporaine .
Quant au deuxième chapitre , j’ai pu identifie ses contrebutions dans le domaine de la poésie et la critique littérature .
On ce qui concerne le troisième chapitre , je l’ai consacré a ses travaux traitant la nouvelle et la littérature itinérante.
Mots clés : La littérature Algérienne contemporaine, La poésie, La nouvelle .

Abstract:

This research is concerned by studying the literary works of “ Abou Al Kacem Saad Ellah” who is considered as one of the most important thinker in Algeria . he is an author , a poet , and a historian . He was also a man of religious and social reform , as well as , he was known by his scientific opinion and wisdom thought , and defense of values too .
In the first chapter I pursuit his personnel and scientific life , with a short reading in his books concerning the Algerian literature .
Then , I show his participation in the poetry and the literary critics
Finally , I studied his short stories and his adventures
Key word : modern Algerian literature , poetry , short story **,** adventures

الملخص :

هذه الدراسة تعنى بالأعمال الأدبية الّتي أنجزها الدّكتور أبو القاسم سعد الله ، والّذي يعتبر من المفكرين الّذين تتوفر فيهم صفة العلمية بأتم معنى الكلمة .فهو أديب وشاعر و باحث و رحالة و مؤرّخ و أحد رجال الإصلاح الدّيني و الاجتماعي في الجزائر . اشتهر بمواقفه العلمية والفكرية المعتدلة و بدفاعه عن الثّوابت و القيم .
و قد تتبعت في الفصل الأول سيرته الذاتية و العلمية و النضالية مع قراءة في بعض مؤلفاته ، خصوصا تلك التي تهتم بالأدب الجزائري الحديث . و في الفصل الثاني رصدت إسهاماته في مجال الشعر و النقد الأدبي ، أمّا الفصل الثالث فخصصته لأعماله التي تعالج فن القصة القصيرة و أدب الرحلة .
الكلمات المفتاحيّة : الأدب الجزائري الحديث ، الرحلة ، الشعر ، القصة القصيرة .